تاريخ

المملكة العربية السعودية

الجزء الأول

أستاذ تاريخ المملكة العربية السعودية

الأستاذ الدكتور:

عبدالله الصالح العثيمين

رحمه الله

العبيكان
Obeikan

ⓒ شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العثيمين، عبد الله الصالح

تاريخ المملكة العربية السعودية. / عبد الله الصالح العثيمين.- الرياض، ١٤٣٩هـ

٢٨٨ ص؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم.

ردمك: ١-١٨٣-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٨-١٨٤-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

١- السعودية - تاريخ أ. العنوان

ديوي: ٩٥٣,١ ١٤٣٩/٩٤٨٨

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الجزء الأول

الطبعة الثامنة عشرة

١٤٤٠هـ/٢٠١٨م

نشر وتوزيع العبيكان Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦+، فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ١١ ٩٦٦+

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanretail.com

العبيكان للنشر Obeikan Publishing

obeikanpub obeikan.reader

للحصول على كتبنا الورقية

وادي wadi

سوق amazon إحدى شركات

للحصول على كتبنا الصوتية

دار صاد للنشر الإلكتروني WWW.DHAD.SA

Kitab Sawti www.kitabsawti.com

للحصول على كتبنا الإلكترونية

Google Play

أجهزة amazon kindle

جميع الحقوق محفوظة. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

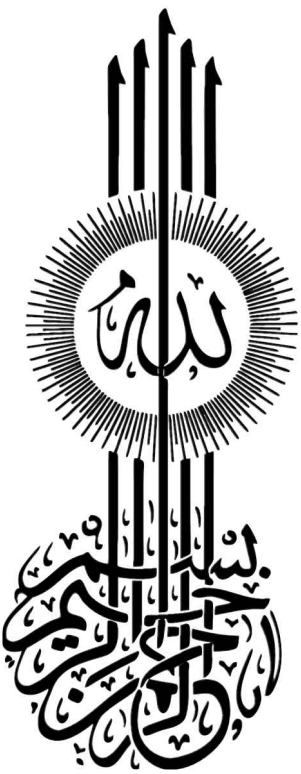
بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

الموضوع — الصفحة

- **مقدمة الطبعة السابعة عشرة ٩**
- **المقدّمة ١١**
- **أوضاع البلاد قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ١٩**

١- الحجاز ٢١

٢- جنوبي غرب البلاد ٢٦

٣- شرقي البلاد ٢٩

٤- نجد ٣٤

أ- لمحة تاريخية ٣٤

ب- الحالة الاجتماعية والاقتصادية ٣٨

ج- الحالة السياسية ٤٣

د- الحالة العلمية والدينية ٤٧

- **الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته ٥٥**

١- أسرته ومولده ٥٧

٢- نشأته ودراسته الأولى ٥٨

٣- سفره لطلب العلم ٦٠

٤- بداية دعوته في نجد وأهدافها ٦٤

٥- انتقاله إلى العُيَينة وبداية تطبيق الدعوة ٦٦

٦- ردود الفعل لتطبيق الدعوة ٦٧

- **قيام الدولة السعودية الأولى وتوحيد نجد ٧١**

١- آل سعود قبل قيام دولتهم ٧٣

٢- قيام الدولة السعودية ٧٦

٣- الدولة قبل الصراع المُسلَّح مع خصومها ٧٨

٤- توحيد نجد ٨٤

أ- المرحلة الأولى ٨٥
ب- المرحلة الثانية ٨٧
جـ- المرحلة الثالثة ٩٢
٥- الدولة السعودية والقبائل في نجد ٩٩
• **اتِّساع الدولة السعودية خارج نجد** ١٠١
١- شرقي البلاد ١٠٣
٢- الحجاز ١٠٨
٣- جنوبي غرب البلاد ١٢٠
أ-عسير ١٢٠
ب- المخلاف السليماني (جازان) ١٢١
جـ- نجران ١٢٦
٤- جهات الخليج وعمان ١٢٧
أ-قطر ١٢٧
ب- البحرين ١٢٨
جـ- الكويت ١٢٨
د- عمان ١٢٩
٥- أَوج اتِّساع الدولة ١٣٠
• **علاقات الدولة السعودية الأولى بالدول الأخرى** ١٣١
١-علاقتها بالدولة العثمانية ١٣٣
أ-الدولة السعودية والعراق ١٣٣
ب- الدولة السعودية والشام ١٤١
٢- علاقتها بفارس ١٤٣
٣- علاقتها ببريطانيا ١٤٤
• **بعض ملامح الدولة السعودية الأولى** ١٤٧
١- الإدارة والحكم ١٤٩
٢- الأمن والشؤون العسكرية ١٥١

٣- النظام المالي ١٥٤
أ-الزكاة ١٥٤
ب- الغنائم ١٥٤
ج- العقوبات ١٥٥
٤- العلم والتعليم ١٥٦
٥- العلماء والقضاة ١٥٧
٦- الأمراء وقادة الجيوش ١٦٠
٧- نهاية الدولة السعودية الأولى ١٦٥
• **الدولة السعودية الثانية ١٧٩**
١- أوضاع البلاد إثر نهاية الدولة السعودية الأولى ١٨١
٢- المحاولات الأولى لتكوين دولة نجدية جديدة ١٨٣
٣- تركي بن عبدالله وقيام الدولة السعودية الثانية ١٨٧
٤- توحيد نجد ١٩١
٥- توحيد المنطقة الشرقية مع نجد ١٩٢
٦- الإمام تركي والبادية ١٩٤
٧- الإمام تركي وجهات عمان ١٩٥
٨- الإمام تركي وآل خليفة ١٩٥
٩- الإمام تركي والعثمانيون ١٩٦
١٠- نهاية عهد الإمام تركي ١٩٧
• **الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي ٢٠١**
١-تولّيه الحكم وتثبيته ٢٠٣
٢- الغزو المصري ونهاية فترة حكمه الأولى ٢٠٧
• **البلاد بين فترتي حكم الإمام فيصل بن تركي ٢١٥**
• **الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي ٢٢٣**
١- استعادته الحكم ٢٢٥
٢- توحيد نجد والأحساء وبداية المشاكل ٢٢٧

٣- مشكلة العُجْمان ٢٢٩
٤- مشكلة القصيم ٢٣١
٥- علاقته بإمارات الخليج وعمان ٢٣٨
٦- علاقته بالدولة العثمانية ٢٤٠
٧- علاقته ببريطانيا ٢٤١
• **الدولة السعودية بعد الإمام فيصل بن تركي ٢٤٣**
١-النزاع على الحكم وانحسار الدولة ٢٤٥
٢- آل رشيد قبل حكم محمد بن عبدالله ٢٥٥
٣- نهاية الدولة السعودية ٢٥٩
• **من ملامح الدولة السعودية الثانية ٢٦٧**
١- الإدارة والحكم ٢٦٩
٢- الشؤون العسكرية ٢٧١
٣- النظام المالي ٢٧١
٤- العلم والتعليم ٢٧٢
٥- العلماء والقضاة ٢٧٢
٦- الأمراء وقادة الجيوش ٢٧٤
• **المصادر ٢٧٧**
١- مصادر باللغة العربية ٢٧٩
٢- مصادر بغير العربية ٢٨٧

*****

مقدمة الطبعة السابعة عشرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن من توفيق الله أن وجد الجزء الأول من تاريخ المملكة العربية السعودية ما وجده من إقبال القرَّاء الكرام؛ خاصة الطلبة والطالبات، منذ أن صدرت طبعته الأولى عام ١٤٠٤هـ.

ولقد دفعني هذا الإقبال، الذي أعتزُّ به كل الاعتزاز، وأقدِّره حق التقدير، إلى أن أتأمَّل بعض الأمور الواردة فيه، فأعدِّل ما يحتاج إلى تعديل، وأضيف ما يحتاج إلى إضافة. ومما أضفته نبذة عن عدد من العلماء والقضاة والأمراء والقادة أمثلة لمن شهدت لهم أعمالهم الجليلة ومواقفهم الحميدة. وكانت الطبعة السادسة من هذا الجزء قد صدرت متزامنة تقريبًا مع صدور الطبعة الأولى من الجزء الثاني من الكتاب، فوحدت طريقة تهميش المصادر في الجزأين. وذلك بإعطاء معلومات وافية عن المصدر عند ذكره أول مرَّة، ثم الاكتفاء بذكر مؤلفه ورقمي الجزء والصفحة إذا كان عمل المؤلف واحدًا. أما إذا كان للمؤلف عملان أو أكثر فلا بد من إضافة جزء من العنوان، يدل على العمل المعتمد عليه، وفي الطبعة الحادية عشرة صُحِّح ما وجد من أخطاء مطبعية، وعُدِّل ما استحسن تعديله من بعض العبارات.

وفي هذه الطبعة -السابعة عشرة- زيد ما صُحِّح من أخطاء مطبعية، فات مؤلفها تصحيحها من قبل.

والله أسأل أن يمدَّ الجميع بعونه ورعايته.

عبدالله الصالح العثيمين

المقدِّمة

اعتاد من تناولوا التاريخ السعودي بالكتابة أن يقسموه إلى ثلاثة أدوار، يبدأ الأول منها بالمبايعة، التي تمَّت بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م، وينتهي باستسلام الإمام عبدالله بن سعود لإبراهيم باشا سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م. أما الثاني فيبدأ -عند أكثر الباحثين- بنجاح الإمام تركي بن عبدالله في إخراج بقية جنود الحاميات العسكرية، التابعة لمحمد علي من نجد سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م، وينتهي بانتصار الأمير محمد بن رشيد على الإمام عبدالرحمن بن فيصل سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م. وأما الدور الثالث فيبدأ باستيلاء عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -الملك عبدالعزيز- على الرياض سنة ١٣١٩هـ/١٩٠٢. واعتاد من كتبوا عن تلك الأدوار أن يسمُّوا كل دور منها دولة.

ولقد كتب عن كل دولة من هذه الدول الثلاث كتابات كثيرة، معتمدة على مصادر تاريخية مختلفة. ولعلَّ من أوفى الكتابات باللغة العربية عن الدولة السعودية الأولى ما كتبه كل من الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، والدكتور منير العجلاني لما أورداه فيما ألَّفاه من وثائق مفيدة. على أن المؤلفين يختلفان اختلافًا واضحًا من حيث أسلوب الكتابة ومنهجها. أما الدولة السعودية الثانية فلعلَّ أوفى ما كتب عنها كتاب بيلي وايندر، الذي ظلَّ باللغة الإنجليزية حتى ترجمته أخيرًا إدارة البحوث في دارة الملك عبدالعزيز، وعنوانه: **العربية السعودية في القرن التاسع عشر**. وأما الدولة السعودية الثالثة فلم يكتب بعد عنها -حسب علمي- كتابة شاملة مستقلة تضاهي ما كتبه وايندر عن الدولة السعودية الثانية. لكن من المؤلفات المفيدة عنها تلك التي كتبها فيلبي والزركلي.

وإلى جانب المؤلفات التي تناولت تاريخ كل دولة سعودية بالتفصيل هناك بحوث قيِّمة، اقتصر كل منها على تناول تاريخ منطقة من المناطق، التي شملها الحكم السعودي، أو ناحية مُعيَّنة من نواحي النشاط فيها.

وكثير من الكتابات التي كتبت عن الدولة السعودية الأولى اعتمدت، بدرجة كبيرة، على تاريخي حسين بن غنَّام، وعثمان بن بشر، اللذين هما مصدران مُهمَّان لأحداث تلك الدولة، التي تَحمَّس كل منهما لقادتها[1].

وقد كتب ابن غنَّام تاريخه بأسلوب سيطر عليه السجع المتكلَّف، وسمّى ذلك التاريخ: **روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام**[2]. ولعله أراد باتِّباع الأسلوب الذي اتَّبعه في كتابته إظهار مقدرته الأدبية؛ وبخاصة أنه كان مدرِّسًا لقواعد اللغة العربية في الدرعية. ولكن تاريخه، على أيِّ حال، أول سِجلٍّ دُوِّن عن حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ونشأة تلك الدولة التي قامت على أساس دعوته الإصلاحية، وما بذله قادة الدرعية من جهود في سبيل نشر الدعوة الإصلاحية، وتوسيع رقعة الدولة. وقد اعتنى عناية فائقة بالجانب الديني، فَخصَّ الجزء الأول من تاريخه بالحديث عن الأوضاع الدينية السائدة في المنطقة قبل ظهور الشيخ محمد، وعن حياة ذلك المصلح، وأورد فيه كثيرًا من رسائله الشخصية، وما رأى إيراده من فتاواه وتفسيره لسور من القرآن الكريم أو آيات منه. ومع أنه جعل الجزء الثاني من تاريخه للحديث

---

(١) وُلِد حسين بن غنَّام في الأحساء. وتعلَّم فيها حتى أصبح عالمًا بقواعد اللغة العربية والعلوم الشرعية، ثم قدم إلى الدرعية بعد أن قويت دولتها، وازدهرت فيها الحركة العلمية. وقد توفي فيها سنة ١٢٢٥هـ. انظر عنه: حمد الجاسر، «مؤرخو نجد...» العرب، ربيع الأول ١٣٩١هـ. ص ٢٩٢ - ٢٩٤ أما ابن بشر فولد في جلاجل سنة ١٢١٠هـ، وتَعلَّم في الدرعية. وله عدة كتب، وتوفي سنة ١٢٩٠هـ. انظر عنه المصدر نفسه، العرب، ربيع الثاني، ١٣٩١هـ، ص٨٨١ - ٨٨٤.

(٢) الطبعة المعتمدة، هنا، طبعة القاهرة، ١٣٦٨هـ.

عن الجانبين السياسي والعسكري للدولة السعودية، فإنه ضَمَّنه رسالة مُطوَّلة كتبها الشيخ محمد ردًّا على أحد معارضيه[1]، وضَمَّنه أيضًا رسالة أخرى أجاب فيها الشيخ حمد بن ناصر ابن مُعمَّر عمَّا أثاره علماء مكة من أسئلة تتعلق بمبادئ الدعوة[2]. وقد غطَّى هذا الجزء الأحداث التي مرَّت بها الدولة السعودية الأولى منذ قيامها حتى سنة ١٢١٢هـ؛ متبعًا الطريقة الحولية التي سار عليها كثير من المؤرخين الذين سبقوه بتدوين الحوادث. ولقد مرَّت تلك الدولة بأحداث مُهمَّة جدًّا خلال السنوات التي وقعت بين تَوقُّف ما هو موجود من تاريخه وبين وفاته سنة ١٢٢٥هـ. وإذا كان من المرجح أنه قد كتب عن هذه الأحداث المهمَّة، فإن ما كتبه عنها يُعدُّ في حكم المفقود الآن.

أما عثمان بن بشر فقد كتب تاريخه بأسلوب سهل. لكنه ضَمَّنه فقرات مسجوعة سجعًا غير متكلَّف؛ وبخاصة حينما يريد أن يبرز صفة من صفات أولئك الذين يُكنُّ لهم ودًّا كبيرًا، أو يُضخِّم حادثة فريدة في نظره. وقد سمَّى تاريخه: **عنوان المجد في تاريخ نجد**[3].

ورَكَّز كتابته على النواحي السياسية والعسكرية، لكنه مع ذلك اعتنى عناية لا بأس بها بالنواحي الإدارية والاجتماعية. ولأنه يرى أن تاريخ نجد لا

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٢١ - ٤٠، وقد طبعت رسالة الشيخ محمد هذه كتابًا مستقلًّا في القاهرة بعنوان: مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، وكان رحمه الله، قد ردَّ بها على أخيه سليمان.

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص٢٠٣ - ٢٣٢. والشيخ حمد من أشهر تلاميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وقد تولَّى القضاء في مكة المكرمة من سنة ١٢٢١هـ إلى وفاته سنة ١٢٢٥هـ. ورسالته التي أوردها المؤرخ ابن غنَّام هنا، نشرت كتابًا مستقلًّا بعنوان: **الفواكه العذاب في الردّ على من لم يحكِّم السنة والكتاب**. انظر ترجمته في كتاب الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، **علماء نجد خلال ستة قرون**، مكتبة النهضة الحديثة بمكة، ١٣٩٨هـ ج١، ص٢٣٩ - ٢٤٣. وسيشار إليه، مستقبلًا، بالشيخ البسام، وذلك لئلا يشتبه اسمه باسم عبدالله البسام المؤرخ.

(٣) الطبعة المعتمدة هنا، بتحقيق عبدالرحمن آل الشيخ، وزارة المعارف السعودية، ط٢، ١٢٩١هـ.

يبدأ، حقيقة، إلا بظهور دعوة الشيخ محمد، فإنه جعل بداية تاريخه من السنة التي تبايع فيها ذلك الشيخ والأمير محمد بن سعود على نشر الدعوة. لكنه لم يرد إغفال ما وقع في نجد من أحداث قبل تلك السنة. فدَوَّن هذه الأحداث متفرقة في ثنايا تاريخه؛ واضعًا كل حدث منها تحت كلمة «سابقة». وقد بدأ تلك الأحداث بما وقع سنة ٨٥٠هـ. وانتهى الجزء الثاني من تاريخه بذكر أحداث سنة ١٢٦٧هـ. على أنه ورد في آخره ما يدل على أنه كان عازمًا على كتابة جزء ثالث له؛ إذ قال:

«تمَّ هذا الكتاب بعون الملك الوهاب. ويتلوه إن شاء الله تعالى دخول السنة الثامنة والستين، وفيها مغزى عبدالله بن فيصل على عمان... كما ستقف عليه مفصلًا إن شاء الله تعالى في الكتاب بعد هذا»[(١)].

وليس من المؤكد ما إذا كان ذلك المؤرخ النجدي قد نَفَّذ ما كان عازمًا عليه أم لم يُنفِّذه. فإن كان قد فعل ذلك فإن ما كتبه لم يعثر عليه -حسب علمي- حتى الآن.

أما الذين كتبوا عن الدولة السعودية الثانية فقد اعتمدوا اعتمادًا كبيرًا على عنوان المجد، وعلى ما ألَّفه إبراهيم بن عيسى ذيلًا لهذا الكتاب[(٢)]. وسَمَّاه: **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر**[(٣)]. وقد بدأ تسجيل الحوادث من سنة ١٢٦٨هـ، وانتهى بحوادث سنة ١٣٠٤هـ. لكن من حققه ونشره مع كتاب ابن بشر زاد عليه ما

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٣.

(٢) ولد إبراهيم بن عيسى في أشيقر سنة ١٢٧٠هـ. وتعلَّم داخل وطنه وخارجه، حتى أصبح عالمًا بالشريعة والأنساب والتاريخ. وقد استقر أخيرًا في عنيزة إلى أن توفي فيها سنة ١٣٤٣هـ. انظر عنه الشيخ البسام، ج١، ص١١٧ - ١٥٢.

(٣) الطبعة المعتمدة هنا هي المنشورة مع كتاب ابن بشر المذكور سابقًا.

دَوَّنه ابن عيسى في كتاب آخر له حتى سنة ١٣٤٠هـ[١]. **وعقد الدرر** مشابه لكتاب **عنوان المجد**، من حيث الأسلوب والمنهج. لكن مؤلفه كثيرًا ما تجاوز سنوات دون ذكر حوادثها[٢].

وما كتب عن الدولتين السعوديتين الأولى والثانية من كتابات جيدة فيه إطالة بالنسبة لعامة القراء وطلاب الجامعة؛ وبخاصة أن قسمًا من الطلاب يدرسون المقررات وفق النظام الفصلي المتَّبع في أكثر الجامعات السعودية. وهذا النظام يعيق طالب الدراسات الإنسانية عن قراءة ما يمكن أن يقرأه طالب تلك الدراسات في الجامعات التي تتَّبع النظام السنوي في تدريس المقررات. وبالإضافة إلى ذلك، فإن ما كتب عن الدولتين المذكورتين لا يخلو من أمور تحتاج إلى تدقيق وإعادة نظر.

ولما سبق ذكره جاء تدويني لما دَوَّنته عن تاريخ المملكة أملًا في إخراجه بصورة تجمع بين الشمول وعدم الإطالة. وقد أشرت في الهوامش إلى المصادر التي استقيت منها المعلومات؛ وبخاصة تلك المصادر التي غلب على ظني أنها أكثر توافرًا من غيرها في المكتبات المحلِّية، وذلك لمن أراد أن يتأكد من صحة ما كُتِب أو يستقصي حادثة مُعيَّنة[٣]. واتَّبعت فيما دوَّنت إيراد الحوادث التاريخية مع ذكر ما اتضح لي من أسبابها ونتائجها، ومناقشة ما يحتاج إلى مناقشة.

---

(١) انظر عقد الدرر، ص١٠٥ واسم الكتاب الآخر **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠هـ إلى ١٣٤٠هـ)**. وقد نشره الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة، ١٣٨٦هـ.

(٢) من ذلك أنه لم يدوِّن حوادث السنوات الواقعة بين ١٣٢٠ و١٣٣٩هـ. انظر: **عقد الدرر**، ص١٠٥ **وتاريخ بعض الحوادث**، ص٢٠٢. على أن الشيخ البسام ذكر (ج١، ص١٢٣) أن للمؤلف تاريخًا ما زال مخطوطًا، يبدأ بذكر حوادث سنة ١٣٠٣هـ، وينتهي بحوادث سنة ١٣٣٩هـ، غطَّى فيه ما نقص من الكتابين المطبوعين.

(٣) على أني أوردت أسماء المصادر الأجنبية في الهوامش مترجمة إلى العربية، تسهيلًا للطباعة واكتفاء بإيرادها، ضمن قائمة المصادر باللغة التي كتبت بها.

ولقد ارتبط التاريخ الحديث لهذه البلاد ارتباطًا عميقًا بالحكم السعودي، حتى أصبح اسمها المملكة العربية السعودية. واختير هذا الاسم ليكون عنوان المقرر الجامعي الذي يتناول تاريخ الدول السعودية الثلاث كلها، مع أن تلك التسمية لم تحدث إلا في الدولة السعودية الثالثة. وهذا هو السبب الذي جعل هذا الكتاب يُسمَّى بما سُمِّي به.

ولأن تناول تاريخ المملكة بالصورة التي سبق أن أشير إليها لو أُخرِج في مجلد واحد لكان كبير الحجم رأيت تقسيمه إلى جزأين: الأول عن الدولتين السعوديتين الأولى والثانية. والثاني عن الدولة السعودية الثالثة؛ وبخاصة أن تغيُّرًا اجتماعيًّا واقتصاديًّا كبيرًا قد حدث خلال تاريخ هذه الدولة، وهذا ما يحتاج إلى عرض وافٍ يوضح جوانبه المختلفة.

وكان الإسراع بإخراج الجزء الأول من الكتاب يهدف إلى أن أجد من تعليقات القارئ الكريم وتوجيهاته ما يساعدني في تدوين الجزء الثاني وإخراجه. وقد حدث هذا والحمد لله.

ومن بين الأمور التي سيراها القارئ الكريم في الجزء الأول من الكتاب: أن الكلام عن منطقة نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى أكثر تفصيلًا عن الكلام عن بقية المناطق التي تكونت منها المملكة العربية السعودية فيما بعد. وذلك عائد إلى سببين: أولهما أن المصادر عن تاريخ نجد في تلك الفترة أَقلُّ توافرًا من المصادر عن تاريخ المناطق الأخرى كالحجاز والأحساء. فرأيت من المستحسن إمداد القارئ بمعلومات قد لا يجدها بسهولة في المصادر التي بين يديه. وثانيهما أن نجدًا مهد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية التي قام على أساس مبادئها الحكم السعودي. ولذلك يستحسن معرفة الأوضاع التي سادت المنطقة قبلها.

ومما سيراه القارئ الكريم أيضًا، أن هناك تفصيلاً لا بأس به عن حياة الشيخ محمد وبداية دعوته. وذلك لما تحقق للبلاد من خير على يدي ذلك المصلح، لكنه سيرى بعد ذلك أن الكلام عن الأمور الحربية أكثر من الكلام عن الأمور الأخرى. وذلك عائد إلى أن تاريخ الدولة السعودية الأولى اتَّسم بالحروب والفتوحات؛ إذ لم تَمرَّ سنة واحدة من ١١٥٩هـ إلى ١٢٣٣هـ إلا وقد حدثت فيها معركة أو عدة معارك بين أنصار الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية وبين خصومهم. ومع أن الحروب في الدولة السعودية الثانية كانت أَقلَّ من الحروب في الدولة السعودية الأولى، فإنها كانت من الكثرة بحيث شغلت حيِّزًا كبيرًا من كتابات المؤرخين المعاصرين لها. على أني استعرضت بعض الملامح الأخرى في كلتا الدولتين، آملًا أن يكون ما ذكرته وافيًا بالغرض الذي كتب من أجله.

والله ولي التوفيق،

عبدالله الصالح العثيمين

أوضاع البلاد
قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

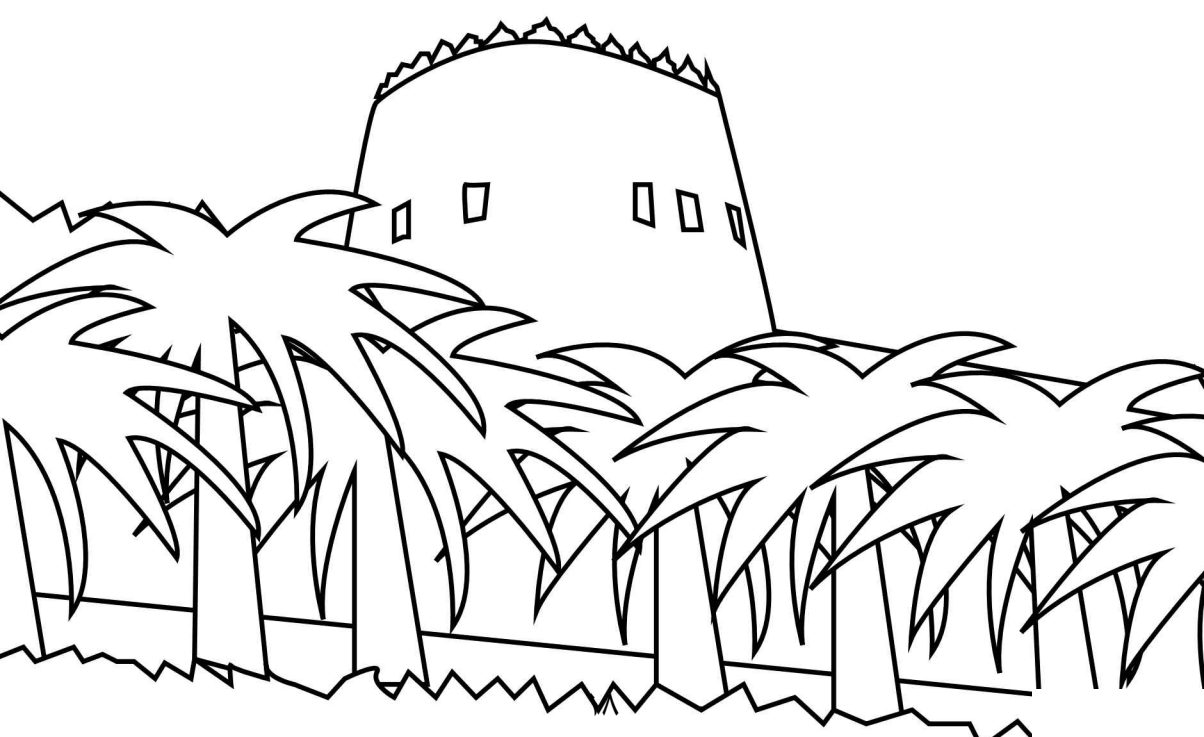

١ - الحجاز:

كانت الحجاز من المناطق التي شهدت حركات علوية عنيفة ضد الدولة العباسية منذ قيامها. ولقد استطاعت هذه الدولة أن تقضي على تلك الحركات في عهود خلفائها الأقوياء. لكن ضعفها في أواخر القرن الثالث الهجري أغرى زعماء العلويين باستئناف نشاطهم. فانتزع محمد بن سليمان الحسني إمارة مكة من الوالي العباسي سنة ٣٠١هـ، واستقل بها[١]. ومع أن المصادر لا تعطي تفصيلات عمَّا حدث لمحمد بن سليمان بعد ذلك، فإنها تفيد بأن حكم البلدة المقدسة بقي في أيدي الأشراف الحسينيين حتى دخلها القرامطة سنة ٣١٧هـ[٢]. وقد نجح العباسيون في استعادة نفوذهم الرسمي على الحجاز بعد سنوات قليلة من هذا التاريخ، مسندين ولايتها لأتباعهم الإخشيديين الذين كان مركز حكمهم في مصر.

وحينما بدأت علامات الانهيار تَدبُّ في أوصال كيان الإخشيديين أمام الزحف الفاطمي انتعشت روح الأمل مرة أخرى في نفوس العلويين في الحجاز، وفرض الزعيم جعفر بن محمد الحسني سيطرته على سير الأحداث في مكة وما حولها. ولما سقطت مصر في أيدي الفاطميين سنة ٣٥٨هـ استولى على مقاليد الأمور في البلدة المذكورة. ودعا في الخطبة للخليفة الفاطمي[٣]. وكان ذلك إيذانًا بتأسيس حكم الطبقة الأولى من طبقات حكام الأشراف، وهي طبقة الموسويين[٤].

---

(١) عبدالملك العصامي، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ج٤، ص١٩٢.

(٢) أحمد الزيلعي، **مكة وعلاقتها الخارجية** (٣٠١ - ٤٨٧هـ)، عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض (جامعة الملك سعود)، ١٤٠١هـ، ص٢٣ - ٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٢.

(٤) نسبة إلى موسى الجون من نسل الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، انظر عن نسبه أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، دار قريش للطباعة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ، ج١، ص١٧٣.

وكما دُعِي للخليفة الفاطمي في مكة المكرمة دُعِي له في المدينة المنورة من قِبَل العلويين الحسينيين، الذين سيطروا على الأوضاع هناك[1]. وبذلك أصبحت الحجاز تحت النفوذ الفاطمي وإن بذل الوزراء العباسيون من بني بُوَيه محاولات لمدِّ نفوذهم عليها. وقد بلغ الحاكم الثالث من الطبقة الموسوية، أبو الفتوح الحسن بن جعفر، درجة من القوة مَكَّنته من انتزاع حكم المدينة المنورة من أبناء عمه الحسينيين، وأغرته بأن يعلن نفسه خليفة مستقلًّا[2]. على أن خلافته لم تطل. ذلك أن الدسائس الفاطمية استطاعت أن ترغمه على التخلِّي عنها وإعلان تبعيته لحكام مصر[3]. وكما شهد عهد هذا الأمير مَدَّ نفوذ الطبقة الموسوية، ثم جزره النسبي كانت وفاة ابنه شكرَ، سنة ٤٥٣هـ، بمثابة إعلان نهاية حكم تلك الطبقة، فقد انتزع السليمانيون حكم مكة من عبد شكر بعد مدة قصيرة جدًّا من استيلائه عليه[4].

ومع أن كثيرًا من المؤرخين يَعدُّون السليمانيين طبقة من طبقات الأشراف، التي تداولت حكم مكة، إلا أن حكمهم لم يستمر أكثر من سنتين. ذلك أن ميلهم للعباسيين دفع حاكم اليمن المتحالف مع الفاطميين إلى الإطاحة بهم، وتسليم حكم البلاد إلى طبقة أخرى من الأشراف، تُسمَّى الهواشم[5].

ولقد شهد القرن الأول من حكم طبقة الهواشم تنافسًا شديدًا بين العباسيين والفاطميين لكسب ولاء أمراء مكة، وإغرائهم بالدعاء لهم في الخطبة.

---

(١) عبدالله عنقاوي، **تاريخ الجزيرة العربية من القرن الثالث الهجري**... طبعته بالآلة الكاتبة دار المعارف السعودية بالرياض، ص١٢.

(٢) ولي إمارة مكة سنة ٣٨٤هـ بعد وفاة أخيه عيسى، وتوفي عام ٤٣٠هـ. انظر: النجم عمر بن فهد، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق فهيم شلتوت، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ، ج٢، ص٤٢٣ و٤٥٩.

(٣) الزيلعي، ص٥٠ - ٥٧.

(٤) السباعي، ج١، ص١٨٢.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص١٨٢ - ١٨٣.

وكان ولاء بعض هؤلاء الأمراء يتذبذب بين الفريقين المتنافسين حسب الظروف. لكن النصيب الأوفر من الولاء كان للفاطميين بصفة عامة[١]. وبالإضافة إلى ذلك شهدت تلك الفترة صراعًا حادًّا بين أشراف الطبقة الحاكمة ذاتها على الإمارة[٢].

وحينما نجح صلاح الدين الأيوبي في إنهاء حكم الفاطميين لمصر، واستولى على مقاليد الأمور فيها سنة ٥٦٧هـ، أصبح له نفوذ في الحجاز، تَمثَّل في إضافة اسمه إلى اسم الخليفة العباسي في الخطبة[٣].

على أن الصراع الداخلي بين الهواشم استمر حتى انتزع الإمارة منهم قتادة بن إدريس سنة ٥٩٧هـ[٤]. وبذلك بدأ حكم الطبقة الرابعة من الأشراف، وهي الطبقة التي بقيت تحكم الحجاز حتى سنة ١٣٤٣هـ.

ولقد أَدَّى صراع أبناء قتادة على الحكم إلى تَدخُّل بني رسول، حكام اليمن، في شؤون مكة منافسين بذلك حكام مصر من الأيوبيين وخلفائهم المماليك، الذين استولوا على مقاليد الأمور هناك سنة ٦٤٨هـ. لكن المماليك كسبوا الجولة في نهاية الأمر، وأصبح لهم نفوذ كبير في الحجاز؛ وبخاصة في القرن التاسع الهجري. وقد ظل هذا النفوذ واضحًا حتى زالت دولتهم في مصر على أيدي العثمانيين سنة ٩٢٣هـ[٥]. وكان من أبرز الأشراف في تلك الفترة الحسن بن عجلان، الذي استطاع أن يَمدَّ نفوذه من ينبع شمالًا إلى المخلاف السليماني (منطقة جازان) جنوبًا[٦].

---

(١) الزيلعي، ص٦٧ - ٧٠.

(٢) السباعي، ج١، ص١٨٠ - ١٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٢.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٥.

(٥) انظر عن نفوذ المماليك في الحجاز كتاب **العلاقات الحجازية زمن سلاطين المماليك**، لعلي بن حسين السليماني، القاهرة، ١٣٩٣هـ.

(٦) سميت منطقة جازان بالمخلاف السليماني نسبة إلى سليمان بن طرف الحكمي، الذي وحَّد تلك المنطقة تحت إمرته سنة ٣٧٣هـ.

وحينما استولى السلطان سليم الأول العثماني على مصر، سنة ٩٢٣هـ، كان أمير مكة الشريف بركات الثاني، الذي أوفد ابنه أبا نُمَيّ إلى ذلك السلطان معلنًا ولاءه له[١]. وهكذا أصبحت الحجاز تحت نفوذ العثمانيين. وكان من مظاهر هذا النفوذ الدعاء للسلطان العثماني في الخطبة، وأخذ موافقته على ولاية الشريف الجديد، ووجود مُمثِّل له يشارك في إدارة شؤون المدينة المنورة، وتعيين شيخ الحرم، ومشاركة أمير الحجاز في واردات جدة من الجمارك.

ولقد كان الصراع الأُسريّ بين أشراف الحجاز على الحكم دمويًّا، ارتُكِبت خلاله أنواع من القسوة والعنف[٢]. ولم يخلُ تاريخهم الطويل من ذلك الصراع، إلا في أوقات قليلة جدًّا. وكان أولئك الأشراف يعتمدون في صراعهم مع منافسيهم على من ينضم إليهم من أسرتهم ومماليكهم وقبائل المنطقة. وفي بعض الأحيان كان أمراء الحج العثمانيون يَتدخَّلون بقواتهم الخاصة لمصلحة هذا الشريف أو ذاك[٣].

ونتيجة لذلك عانى الأبرياء من السكان والحجاج كثيرًا من المصائب والمحن.

وكان عماد اقتصاد بادية الحجاز الثروة الحيوانية ومنتجاتها.

أما سكان السواحل فمن أهم وجوه نشاطهم صيد السمك.

وأما غالبية سكان المدن الحجازية الكبيرة فكانت التجارة دعامة حياتهم الاقتصادية.

---

(١) السباعي، ج٢، ص٧.

(٢) انظر مثلًا لذلك، المصدر نفسه، ج٢، ص٦١.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٦.

وكما كان الأشراف والتجار يستفيدون من الحج استفادة كبيرة، فإن بقية سكان البلاد كانوا ينتفعون به بوسائل مختلفة. وكان لرؤساء القبائل؛ خصوصًا أولئك الذين في شمال الحجاز، منافعهم الذاتية من الحج. ذلك أنهم كانوا يفرضون إتاوات على القوافل المارة بمناطق نفوذهم، ويَتسلَّمون هدايا من قادة تلك القوافل.

على أن الأوضاع الاقتصادية في الحجاز كانت تتأثر تأثرًا كبيرًا بالأوضاع السياسية العامة. فإذا استقرت الأوضاع السياسية الداخلية، وكانت علاقة الشرافة بالقوى الإسلامية الكبرى طيبة تَحسَّنت الأوضاع الاقتصادية، وساد البلاد نوع من الرخاء. وإن لم تكن كذلك حلَّت الكوارث الاقتصادية وتدهورت الأحوال.

وتشير إحدى الدراسات إلى أن أشراف الحجاز كانوا يتَّبعون المذهب الزيدي حتى القرن التاسع الهجري، ثم اعتنقوا المذهب السنِّي خلال النصف الأول من هذا القرن[1]. أما باقي سكان الحجاز فكانوا، بصفة عامة، سُنَّة قبل ذلك التاريخ وبعده. وكان لوجود الحرمين الشريفين في البلاد أثره الكبير في الحياة العلمية. فقد كان بعض العلماء من الأقطار الإسلامية المختلفة يجاورون في مكة المكرمة والمدينة المنورة. وكثيرًا ما قام بعضهم بالتدريس والتأليف.

ومع وجود العلماء وازدهار الحركة العلمية في مكة والمدينة، فإن الحجاز لم تَخلُ من أصحابِ المذاهب التي يستنكرها المحققون من علماء المسلمين، كما أنها لم تَخلُ من الأمور البدعية والخرافية المنتشرة في كثير من البلدان الإسلامية. وكان كثير من فئات القبائل الحجازية على جهل كبير بأحكام الدين

(١) ريتشارد مورتيل، وترجمة عنوان بحثه: «**المذهب الزيدي وأشراف مكة الحسنيون**»، **مجلة دراسات الشرق الأوسط الدولية**، العدد ١٩، ١٩٨٧م، ص٤٦٨. وهذه الدراسة مبنية على مصادر معاصرة للأحداث.

الإسلامي. ولذلك لم تكن محافظة على ممارسة شعائره أو ملتزمة بواجباته. وهناك من المصادر ما يشير إلى انحطاط الأخلاق وانتشار بعض الأمور التي يُحرِّمها الدين الإسلامي الحنيف، وتأباها القيم العربية الأصلية؛ وبخاصة بين أفراد الطبقة المتنفِّذة في البلاد[1].

٢- جنوبي غرب البلاد:

ويشتمل ذلك على عسير والمخلاف السليماني ونجران. وقد امتد نفوذ أشراف الحجاز إلى القنفذة جنوبًا. وهذا يعني أن منطقة عسير، بسراتها وتهامتها، قد دخلت تحت نفوذ أولئك الأشراف. وإذا كان من المرجح أن نفوذ الأشراف كان واضحًا في تهامة لسهولة التحرك العسكري في الجهات الساحلية، فإنه من المحتمل أن نفوذهم في الجهات الجبلية لم يكن أكثر من تحالف بعض القبائل هناك معهم. أما ولاء السكان الحقيقي فكان للزعماء المحلِّيين التقليديين.

وكانت الحياة الاقتصادية في عسير تقوم على عدة أمور، أبرزها الزراعة والثروة الحيوانية والسمكية. وكانت الزراعة والثروة الحيوانية تتأثران بالعوامل الطبيعية والظروف السياسية المحلِّية. ولكن وجود الأمطار الموسمية في تلك المنطقة يوحي بأن الحياة الاقتصادية هناك لم تكن سيئة.

وكانت منطقة عسير بعيدة نسبيًّا عن مركز الحركة العلمية في مكة والمدينة واليمن. ولهذا فإن المصادر المتوافرة لدى الباحثين لم تشر إلى توافر علماء فيها خلال تلك الفترة. ويبدو أن الوضع الديني هناك لم يكن حسنًا، لا من حيث العقيدة، ولا من حيث القيام بأركان الإسلام والالتزام بواجباته.

---

(١) محمد بن عبدالوهاب، **مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٨هـ، ج٥، ص٩٧.

أما المخلاف السليماني فقد شهد وحدة إقليمية في القرن الرابع الهجري على يد سليمان بن طرف الحكمي، الذي سُمِّي المخلاف باسمه[١]. لكن إمارته انتهت على يد الحسين بن سلامة، أحد موالي الدولة الزيادية الأقوياء، قبل نهاية ذلك القرن[٢]. وبعد ذلك أصبح المخلاف إمارات متعددة تتولَّى قيادة أكثرها زعامات من الأشراف الذين يدينون بالولاء لحكام صنعاء[٣]. وظل الوضع السياسي للمخلاف هكذا، حتى قرب منتصف القرن الثاني عشر الهجري، حينما نجح الشريف أحمد بن محمد بن خيرات في كسب ولاء الزعماء المحليين، ثم نجح ابنه محمد في توحيد البلاد تحت قيادته[٤].

وكان سكان المخلاف السليماني يعتمدون في حياتهم الاقتصادية على الزراعة والتجارة والثروة الحيوانية والسمكية. وكان وضعهم الاقتصادي جيدًا بصفة عامة. ذلك أن الأمطار الموسمية في المنطقة غزيرة والتربة خصبة، وكانت الموانئ هناك مراكز تجارية نشيطة[٥].

ومن الواضح أن الحياة العلمية في المخلاف السليماني كانت لا بأس بها. على أنها لم تصل حينذاك إلى مستوى الحياة العلمية في الحجاز أو اليمن. وكان بعض سكان المنطقة يعتنقون المذهب الزيدي، وبعضهم يعتنقون المذهب السنِّي؛ وبخاصة الشافعي[٦]. وقد ظهر بين أولئك السكان علماء أَجِلَّاء في أحقاب

---

(١) أحمد بن محمد العقيلي، **من تاريخ المخلاف السليماني**، ط٢، دار اليمامة، ١٤٠٢هـ، ج١، ص٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٧٢.

(٣) سواء كان أولئك الحكام محليين أو غير محليين كالعثمانيين.

(٤) العقيلي، ج١، ص٣٩٠ - ٣٩١، ٤٢٠ - ٤٢٤.

(٥) مـيّ العيسى، **المخلاف السليمان في عهد الدولة السعودية الأولى**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، ١٤٠٣هـ، ص٢٦ - ٢٧ و٣١ - ٣٢.

(٦) المصدر نفسه، ص٣٤.

تاريخية مختلفة. على أن الصوفية وجدت لها موطئ قدم هناك[1]، كما أن البدع والخرافات انتشرت في المنطقة بدرجة تشبه انتشارها في بلاد إسلامية أخرى[2].

وأما نجران فأكثر سكانها من قبائل يام. وكانت من المناطق التي وصلت إليها الحركة القرمطية في أثناء مدِّ تلك الحركة في أواخر القرن الثالث الهجري[3]. وحينما تَغلَّب الأئمة الزيديون على الإسماعيليين في اليمن بعد عدة قرون اضطر بعض المهزومين إلى الهجرة من جزيرة العرب إلى بلدان مختلفة، وانحصر بعضهم الآخر في نجران، التي أصبح المكارمة زعماءها الدينيين. وقد بقيت الزعامة لهم هناك حتى دخلت تلك المنطقة تحت حكم آل سعود.

وكانت قبائل نجران اليامية نشيطة جدًّا من الناحية العسكرية. ولذلك، فإن زعماء المخلاف السليماني كثيرًا ما استعانوا بتلك القبائل في حروبهم ضد منافسيهم المحلِّيين وخصومهم من الخارج. ومن هنا، فإن النشاط العسكري كان من مصادر دخل القبائل النجرانية المهمَّة.

وكان الجهل الديني كبيرًا بين القبائل الرحَّل في ذلك الإقليم. ويبدو أن ممارستها لأركان الإسلام من صلاة ونحوها كانت قليلة حينذاك؛ مثلها في ذلك مثل كثير من فئات بادية القبائل في مناطق متعددة.

---

(١) ولعل أحسن مرجع لهذا الموضوع كتاب محمد العقيلي، **التصوف في تهامة**، مطابع الأصفهاني بجدة ١٣٨٤هـ.

(٢) ميّ العيسى، ص٣٤ - ٣٥.

(٣) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، ١٣٨٨هـ، ص١٩٩.

٣- شرقي البلاد:

كان شرقي البلاد يُسمَّى البحرين. ويشتمل على جهتي الأحساء والقطيف، أو ما أصبح يدعى الآن المنطقة الشرقية. وكانت قبيلة بني عبد القيس الساكنة هناك من أولى القبائل التي استجابت للإسلام.

ولهذا، فإن أَوَّل جمعة أُقيمت في غير المسجد النبوي كانت في مسجد جواثى المقام في تلك المنطقة[١]. ثم أصبح المدُّ الشيعي الباطني فيها أَشدَّ عنفًا منه في بقية مناطق الجزيرة العربية. ذلك أنها كانت مركز دولة القرامطة التي بدأت في أواخر القرن الثالث الهجري. وقد بلغت هذه الدولة عنفوان قوتها العسكرية في الربع الأول من القرن الذي تلاه. وما قام به زعماء القرامطة حينذاك من أعمال رهيبة في الحجاز والعراق والشام من الأمور التي فَصَّلتها المصادر التاريخية المختلفة[٢].

على أن الضعف حَلَّ في كيان الدولة القرمطية خلال القرن الخامس الهجري. وبدأت كثير من القبائل، التي انضمت إليها في السابق لأغراض مادية، تنفصل عنها وتقاومها. وفي سنة ٤٦٦هـ استطاع عبدالله بن علي العُيوني من بني عبد القيس أن يحصل على معونة عسكرية من الدولة العباسية، تمكَّن بها من القضاء على دولة القرامطة، وأسس في المنطقة دولة له ولأسرته من بعده[٣].

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن هذا الموضوع، انظر كلًّا من: **تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد**، لمحمد آل عبدالقادر، مطابع الرياض، ١٣٧٩هـ، ج١، ص١١، **والمعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: المنطقة الشرقية**، لحمد الجاسر، دار اليمامة، ١٣٩٩هـ، ج١، ص٤٢٣ - ٤٣٢.

(٢) من الكتب الحديثة التي تناولت تاريخ القرامطة في البحرين بتفصيل جيِّد كتاب محمد آل عبدالقادر السابق الذكر، ج١، ص٨٤ - ٩٨. وللباحث ناصر الزامل دراسة بعنوان: **قرامطة البحرين**، نال بها درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٣هـ.

(٣) آل عبدالقادر، ج١، ص٩٨: الجاسر، **المنطقة الشرقية**، ج١، ص٦٨.

وظَلَّت الأسرة العيونية تحكم المنطقة الشرقية من جزيرة العرب، حتى دَبَّ الخلاف بين أفرادها، مما أدَّى إلى زوال حكمهم قبيل منتصف القرن السابع الهجري. وكان من أشهر رجال تلك الأسرة في أواخر عهدها الشاعر علي بن المقرَّب، الذي يُعدُّ ديوانه مصدرًا مُهمًّا من مصادر تاريخ البلاد في تلك الفترة[1].

وكانت قبيلة بني عامر من أقوى القبائل في شرقي الجزيرة العربية. وقد استغل فريق منها، بزعامة عصفور بن راشد، فرصة ضعف العيونيين، فانتزع حكم البلاد منهم[2]. واستمر بنو عصفور يحكمون البلاد حتى أنهى حكمهم لها سعيد بن مُغَامس[3]. على أن حكم سعيد للمنطقة لم يطل؛ إذ لم يزد على خمس سنوات. ثم انتقل حكم البلاد إلى فريق آخر من بني عامر بزعامة جَرْوان المالكي. وقد أشارت المصادر إلى ثلاثة أمراء من أسرته، كان آخرهم يحكم سنة ٨٢٠هـ. ثم بدأ حكمه يضعف تدريجيًّا إلى أن استولت على البلاد أسرة عامرية أخرى، هي أسرة زامل الجَبْرِي[4].

وكان أشهر أمراء أسرة زامل- بل أشهر زعيم حكم تلك البلاد في العصر الإسلامي الوسيط- أجود بن زامل، الذي اتسع نفوذه اتساعًا عظيمًا،ا

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن الأسرة العيونية، انظر آل عبدالقادر، ج١، ص٨٦ - ١١٨؛ علي الخضيري، **علي بن المقرب العيوني: حياته وشعره**، بيروت ١٤٠١هـ.

(٢) آل عبدالقادر، ج١، ص١١٩.

(٣) يرى محمد آل عبدالقادر (المصدر نفسه، الصفحة ذاتها)، أن نهاية حكم آل عصفور كانت في مستهل القرن الثامن، لكن الدكتور عبداللطيف الحميدان يرى أنها كانت حوالي نهاية ذلك القرن. انظر دراسته القيِّمة «**إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية**»، **مجلة كلية الآداب**، جامعة البصرة، العدد ١٥ سنة ١٩٧٩م، ص١٢٣.

(٤) آل عبد القادر، ج١، ص١٢٠. والمالكي نسبة إلى فخذ من بني عامر، يسمّى بني مالك، وليس نسبة إلى المذهب المالكي.

شمل شرقي الجزيرة العربية وأجزاء كبيرة من عمان ونجد[1]. ولعل مما زاد في شهرته؛ إضافة إلى قوته العسكرية، ما كان يتصف به من صفات جليلة ورعاية كريمة للعلم وأهله. ومن أمراء تلك الأسرة المشهورين مُقْرِن بن زامل الذي استشهد على أيدي البرتغاليين وحلفائهم من الهرمزيين، دفاعًا عن بلاده سنة ٩٢٧هـ[2].

وبعد استشهاد الأمير مُقْرِن حَلَّ الخلاف بين أفراد أسرته على الحكم. وبذلك أصبح هناك عاملان يُقوِّضان كيان حكم تلك الأسرة: الصراع الداخلي، والغزو الخارجي. ونتيجة لهذه الظروف، لم تبق الأسرة الجبرية في الحكم بعد مقرن إلا أربع سنوات؛ إذ استولى راشد بن مُغَامس على مقاليد الأمور في البلاد سنة ٩٣١هـ[3].

وفي أثناء ذلك كان القادة العثمانيون قد عزموا على إدخال الجزيرة العربية تحت نفوذهم؛ وبخاصة بعد أن أصبحت الحجاز تابعة لهم. وكان يدفعهم إلى ترسيخ وجودهم في الجزيرة عاملان مُهمَّان. أحدهما: ما يحس به، عادة، قادة كل دولة قوية من رغبة في التوسع. وثانيهما: ما كان القادة العثمانيون يشعرون به من واجب الدفاع عن منطقة تضم الأماكن الإسلامية المقدسة

---

(١) قال السخاوي عن أجود: «إنه ملك البحرين وعمان». انظر: **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، القاهرة، ١٣٥٣هـ، ج١، ص١٩٠. ووصفه السمهودي بأنه «رئيس نجد ورأسها سلطان البحرين والقطيف». انظر: **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، القاهرة، ١٣٢٦هـ، ج٢، ص٢٨٨. ولعلَّ المراد برئاسته لنجد نفوذه في كثير من أجزائها، أو مقدرته على فرض رعي أتباعه في مراعيها الجيدة، وحماية قوافله المارة عبرها.

(٢) لعلَّ أوفى دراسة عن الدولة الجبرية تلك التي قام بها الدكتور عبداللطيف الحميدان بعنوان «**التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية**»، **مجلة كلية الآداب، بجامعة البصرة**، العدد ١٦، سنة ١٩٨٠م، ص٣١ - ١٠٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٨٥: الجاسر، **المنطقة الشرقية**، ج١، ص٩٨.

من الأخطار البرتغالية التي كانت تُهَدِّدها حينذاك. ولقد نجح العثمانيون في الحصول على ما كان لأسلافهم المماليك من نفوذ في اليمن. ثم عَمَّقوا ذلك النفوذ حتى أصبحت اليمن ولاية عثمانية[1]. وبذلك نجحوا في مجابهتهم للبرتغاليين في البحر الأحمر. وحينما استولوا على العراق سنة ٩٤١هـ كثَّفوا نشاطهم ضد البرتغاليين في الخليج العربي، وأحرزا بعض النجاح. وكان من نجاحهم هناك أن استولوا على الأحساء سنة ٩٥٧هـ تقريبًا[2]. والواقع أن بعض زعماء هذه البلاد كانوا يَتطلَّعون إلى الدخول تحت الحكم العثماني، لعلَّه يحميهم من الأخطار البرتغالية المحدقة بهم. وقد ظلت المنطقة الشرقية خاضعة للعثمانيين حوالي مئة وعشرين عامًا.

وكانت قوة زعماء بني خالد تزداد وتتوطد في شرقي الجزيرة العربية. وكانوا يثيرون المشكلات للحكام العثمانيين، الذين لم يجدوا بُدًّا من استرضائهم بالمال حينًا وبالمناصب حينًا آخر[3]. على أن طموح أولئك الزعماء لم يتوقف. وحينما اضطربت أحوال الحكام العثمانيين في المنطقة نتيجة الخلافات بين والي بغداد وحاكم البصرة انتهز برَّاك بن غُرَير آل حُمَيِّد الفرصة فثار ضدَّهم.

---

(١) من الكتب التي تحدثت عن ذلك بالتفصيل: **البرق اليماني في الفتح العثماني**، لقطب الدين النهرواني، دار اليمامة، ١٣٨٧هـ.

(٢) جون مندافيل، وترجمة عنوان بحثه: «**منطقة الحسا العثمانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر**»، **مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية**، ١٩٧٠م، ج٩٠، ص٤٨٨. وقد بنى ما ذكره على وثائق عثمانية، على أن آل عبدالقادر أرَّخَ فتح العثمانيين للأحساء سنة ٩٦٣هـ. انظر كتابه السابق ذكره، ج١، ص١٢١. ولعلَّ ما جعله يميل إلى هذا التاريخ أن أول حاكم عثماني لتلك البلدة قد بنى مسجدًا في السنة المذكورة. لكن بناء المسجد قد يكون حدث بعد استيلائه على المنطقة بسنوات. أما ابن بشر فقد أخطأ في كلامه عن هذا الحدث؛ إذ قال (ج٢، ص١٩٥): إنه وقع سنة ألف من الهجرة. وقد ناقش الباحث عبدالكريم المنيف هذا الموضوع بتفصيل جيد. انظر كتابه: **بنو خالد وعلاقتهم بنجد** ١٠٨٠ - ١٢٠٨هـ، الرياض، ١٤١٠هـ، ص١١٩ - ١٢٣.

(٣) مندافيل، ص٤٩٨ - ٤٩٩.

وقد نجح في الاستيلاء على الأحساء بين سنتي ١٠٧٤هـ و١٠٧٦هـ[١]. وبذلك أصبح حكم المنطقة الشرقية لآل حميد زعماء بني خالد. وظَلَّ هؤلاء الزعماء يحكمونها، حتى دخلت تحت حكم الدولة السعودية الأولى في العقد الأول من القرن الثالث عشر الهجري[٢].

وتتوافر المياه في المنطقة الشرقية أكثر مما تتوافر في غيرها من مناطق الجزيرة العربية، وسواحلها على الخليج العربي طويلة، توجد فيها موانئ جيدة. ولذلك كانت في تلك المنطقة فرص طيبة للعمل في مجالات الزراعة والتجارة وصيد الأسماك واللؤلؤ، ونعم أهلها برخاء اقتصادي؛ وبخاصة في فترات الاستقرار السياسي، أكثر من جيرانهم في الجزيرة العربية. وبذلك كانت المنطقة الشرقية من أَهمِّ مناطق هجرة أولئك الذين أجبرتهم ظروفهم المعيشية على النزوح من نجد[٣].

وكان المذهب الشيعي الباطني هو المذهب السائد في المنطقة الشرقية زمن القرامطة. ثم أصبحت تلك المنطقة موطنًا يوجد فيه المذهب الشيعي الجعفري جنبًا إلى جنب مع المذاهب السُنِّية الأربعة[٤]. على أن زعامتها السياسية منذ

---

(١) يذكر ابن بشر (ج٢، ص٢١١) أن استيلاء برَّاك على الأحساء كان سنة ١٠٨٠هـ. أما آل عبد القادر فيشير (ج١، ص١٢٣) إلى أن ذلك حدث سنة ١٠٨١هـ، على أن المنيف أوضح في دراسته (ص١٦٣ - ١٧٨): أن ما ذكر في المتن هو الأرجح. ولعلَّ ما أشار إليه ابن بشر وآل عبدالقادر متعلِّق باستيلاء برَّاك على القطيف.

(٢) انظر صفحة (٧٨) من هذا الكتاب.

(٣) محمد الفاخري، **الأخبار النجدية**، تحقيق عبدالله الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دون تاريخ للطباعة، ص٧٦ و٩٨؛ ابن بشر، ج٢، ص٢١٣ و٢٣٥.

(٤) ليس هناك ما يؤيِّد ما ذكره فؤاد حمزة، **قلب جزيرة العرب**، القاهرة ١٣٥٢هـ، ص٢٩٢ من وجود قرامطة في المنطقة حتى القرن الرابع عشر الهجري، كذلك لا يوجد من المصادر ما يدعم رأي عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم من انتشار المبادئ الإباحية في معظم قرى تلك المنطقة ومدنها. انظر كتابه: **الدولة السعودية الأولى** ١١٥٨ - ١٢٣٣هـ، الطبعة الثانية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٦م، ص٨٠.

القضاء على الحكم القرمطي فيها كانت سُنيَّة بصفة عامة[1]. وربما كان لوجود مذاهب دينية مختلفة في تلك المنطقة أثر في تَقدُّم الحركة العلمية فيها وقدوم طلاب العلم إليها من مناطق أخرى[2]. وبالرغم من تَقدُّم الحركة العلمية في المنطقة فقد انتشرت فيها البدع والخرافات المنتشرة في كثير من بلدان العالم الإسلامي حينذاك. وكانت الأوضاع الدينية عند قبائلها الرُّحل مشابهة لأوضاع القبائل الأخرى في بلاد العرب من حيث غلبة الجهل الديني والإخلال بممارسة شعائر الدين.

٤- نجد:

أ- لمحة تاريخية:

تُكوِّن منطقة نجد وسط الجزيرة العربية. وتنقسم إلى عدة أقاليم، أهَمُّها وادي الدواسر والفُرَع- حوطة بني تميم والحَرِيق- والأفلاج والخرج والعارض والمحمل وسدير والوشم والقصيم وجبل شمَّر. وكان يُطلق على هذه الأقاليم- باستثناء وادي الدواسر والقصيم وجبل شمَّر- اسم اليمامة في كثير من الفترات التاريخية[3]. وكانت ولاية اليمامة في القرنين الأول والثاني من الهجرة مربوطة بعاصمة الخلافة مباشرة حينًا، وتابعة لمناطق إدارية حينًا آخر.

---

(١) من المعلوم أن العيونيين كانوا سنَّة. ويبدو أن بني عصفور كانوا سنَّة أيضًا. أما بنو جروان فقد ذكر ابن حجر **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، تحقيق محمد سيد جاد الحق، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٥هـ، ج١، ص٧٥) أنهم كانوا شيعة، على أن حكم هؤلاء لم يكن طويلًا. وأما آل أجود فكانوا سُنَّة. وكذلك كان زعماء بني خالد. فإضافة إلى ظاهر عبارات آل عبدالقادر (ج١، ص١٢٣- ١٢٤) نص على كونهم سنَّة مرتضى بن علوان الذي زار المنطقة سنة ١١٢١هـ. انظر رحلته ضمن مجموعة خطية في مكتبة برلين رقم ٦١٣٧ ورقة ١١٣أ.

(٢) عبدالعزيز الخويطر، **عثمان بن بشر: منهجه ومصادره**، الطبعة الثانية، الرياض، ١٣٩٥هـ، ص٧.

(٣) حمد الجاسر، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، دار اليمامة ١٣٨٦هـ ص٩ - ١٠.

وفي منتصف القرن الثالث الهجري قامت ثورة علوية في الحجاز بقيادة إسماعيل بن يوسف. لكن هذا القائد توفي بالجدري[1]. ولم ينجح أخوه محمد -الملقّب الأُخَيْضر- في مواصلة الثورة هناك. فهرب إلى اليمامة، واستطاع أن يستولي عليها سنة ٢٥٣هـ. وبذلك بدأت الدولة الأُخَيضرية التي كانت تعتنق المذهب الزيدي، واستمرت حوالي مئتي سنة[2].

وبعد زوال الدولة الأُخَيضرية أصبحت نجد مُفكَّكة؛ كل بلدة لها زعامتها المستقلة المعادية في كثير من الأحيان لجارتها، وكل قبيلة تسيطر بقدر استطاعتها على منطقة رعوية خاصة بها. ولذلك أصبحت الأراضي النجدية مجال تَوسُّع التي قامت بجوارها شرقًا أو غربًا.

ويستفاد من شعر ابن المقرَّب أن دولة العيونيين كانت من القوة في فترة من الفترات مَكَّنتها من أن تحمي القوافل التابعة لها عبر نجد[3]. ولكنها، فيما يبدو، لم تكن قادرة على بسط أي نوع من النفوذ السياسي المستقر لها في الأراضي النجدية. ولم يكن وضع بني عصفور وبني جروان، على الأرجح، أفضل من وضع العيونيين فيما يَتعلَّق ببسط نفوذهما في نجد، لكن حينما قامت دولة آل جَبْر، ورسخت قدمها في شرقي الجزيرة العربية، بدأت تغزو بعض القبائل النجدية[4]، ولعل انتصاراتها على تلك القبائل هي التي جعلت المؤرخين يصفون أجود بن زامل الجبري بأنه رئيس نجد[5].

---

(١) السباعي، ج١، ص١٤٦.

(٢) عن هذه الدولة انظر: عبدالله الشبل، «**الدولة الأخيضرية**»، **مجلة اللغة العربية والعلوم الاجتماعية**، جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد السادس، ١٣٩٦هـ، ص٤٥٩ - ٤٦٦.

(٣) **ديوان ابن المقرَّب**: تحقيق عبدالفتاح الحلو، القاهرة ١٣٨٣هـ، ص٥٤٨.

(٤) عن هذه الغزوات انظر: عبدالله المحمد البسام **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، بخط نور الدين شريبة، الورقات ٨ب، ١٠أ، ١١أ، ١٥ب، ١٦أ، ١٩ب، ٢١ب و٢٤أ. وسيشار إليه مستقبلًا بالمؤرخ البسام تمييزًا له عن الشيخ عبدالله.

(٥) انظر صفحة (١٩)، هامش ١ من هذا الجزء من الكتاب.

وحينما دخلت المنطقة الشرقية تحت نفوذ العثمانيين، وذلك بعد ضَمِّهم الحجاز واليمن، أصبحت نجد محاطة بمناطق عثمانية من أكثر جهاتها. وقد واكب ذلك ظهور شخصيات قويَّة بين أشراف مكة المكرمة؛ مثل أبي نُمَي الثاني وابنه حسن. وكان لهذا وذاك أثر واضح على نجد. ذلك أن الأشراف، التابعين من الناحية الرسمية للعثمانيين، استغلوا الظروف الجديدة إلى أبعد حد ممكن، فبدأوا يغزون الأراضي النجدية ليبسطوا نفوذهم عليها. ومن أشهر غزواتهم الأولى ما قام به الشريف حسن بن أبي نُمَي سنة ٩٨٦هـ من مهاجمة لبلدة مِعْكال، التي أصبحت جزءًا من مدينة الرياض الحالية[١]. واستمرت الغزوات الشريفية للأراضي النجدية خلال القرن الحادي عشر، وإن كانت متباعدة في أزمان حدوثها[٢].

وكان أكثر الغزوات الشريفية لنجد مُوجَّهًا ضد سكان المدن والقرى. وبما أن الحضر، عادة لا يعتدون على قوافل الحج أو التجارة، فإنه من غير المحتمل أن تكون حماية تلك القوافل، المهمَّة بالنسبة لاقتصاد الأشراف، سببًا قويًّا لغزواتهم لنجد، بل المرجح أن الهدف الأساس من الغزوات المذكورة هو الحصول على غنائم، وفرض نفوذ على البلاد تُسَنُّ من خلاله ضرائب سنوية على السكان[٣]. وكانت البلدان التي لا تفي بالتزامها لأولئك الأشراف، أو تحاول الثورة ضدهم، تعاقب بشدة[٤].

على أن نفوذ العثمانيين في الجزيرة العربية لم يستمر قويًّا. ذلك أن المشكلات التي بات يعانيها قادتهم داخليًّا خلال القرن الحادي عشر الهجري أرغمتهم على التَّخلِّي عن اليمن وتسليمها للثائرين من أئمتها الزيديين. ثم

---

(١) العصامي، ج٤، ص٣٦٨.

(٢) ابن بشر، ج٢، ص١٩٥، ١٩٦، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٥، ٢٠٨، ٢٠٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٧؛ دي جوري، وترجمة عنوان كتابه: **حكام مكة**، لندن ١٩٥١م، ص١٥٨.

اضطروا إلى مغادرة الأحساء أمام ثورة زعيم بني خالد، بَرَّاك بن غُرَير، كما سبق أن ذكر.

وما إن تمكن الزعيم الخالدي من السيطرة على شرقي الجزيرة العربية حتى اتَّجه نظره إلى نجد محاولًا، فيما يبدو، أن يحصل على ما كان لدولة آل جبر من نفوذ فيها، وكانت أولى غزواته للأراضي النجدية سنة ١٠٨١هـ. ومن الواضح أن غزواته وغزوات خلفائه قد نجحت في مَدِّ النفوذ الخالدي على بعض الأماكن النجدية؛ وبخاصة العارض.

وهكذا بدأ النفوذان الشريفي والخالدي يتنافسان على نجد. لكن نفوذ الأشراف أخذ يضعف نتيجة لتلاشي الوجود العثماني المؤيِّد لهم من معظم مناطق الجزيرة العربية. ولذلك لم تعد الغزوات الشريفية تصل إلى الأماكن التي كانت تصل إليها قبل بداية الغزوات الخالدية.

وعلى أَيِّ حال فإن نجدًا لم تشهد نفوذًا عثمانيًّا مباشرًا في تلك الفترة، وما ورد من أن بعض أئمة المساجد النجديين كانوا حينذاك يُمجِّدون السلطان العثماني، أو يدعون له، في الخطبة ربما كان سببه ما يُكنُّه السنَّة عامة من مشاعر طيبة تجاه ذلك السلطان[1]. وربما كان ناتجًا عن استعمال أولئك الأئمة لخطب من أهم أغزر علمًا في المناطق الخاضعة خضوعًا مباشرًا للعثمانيين[2].

على أن نجدًا لم تشهد نفوذًا قويًّا يحقق الاستقرار السياسي داخلها لأَيِّ جهة خارجية. فرغم نفوذ الجبريين وبني خالد في بعض جهاتها، ورغم نفوذ

---

(١) أبطل الشيخ محمد بن عبدالوهاب تمجيد السلطان على أساس أنه من الأمور البدعية. انظر: ابن غنام، ج١، ص١١٣ و١٣٢.

(٢) ولعلَّ ما يُؤيِّد ذلك أنه وُجِد من الأئمة في المملكة العربية السعودية من كان يدعو للسلطان العثماني بعد زوال السلطنة. وما ذلك إلا لأنه كان يستعمل خطب أئمة سبقوه.

أشراف الحجاز في بعض جهاتها الأخرى. ظَلَّت الحروب قائمة بين البلدان النجدية، وبقي الصراع حادًّا بين القبائل المختلفة.

ب- الحالة الاجتماعية والاقتصادية:

كانت نجد من أَقلِّ مناطق جزيرة العرب تَأثُّرًا من حيث اختلاط العناصر غير العربية بالسكان العرب المحلِّيين، لأنها بعيدة عن مواطن الامتزاج السكاني المتمثِّلة، عادة، بالمناطق الساحلية والأماكن المقدَّسة. وعلى هذا الأساس فإن الغالبية العظمى من أهلها كانت تنتمي إلى قبائل عربية معروفة النسب. أما الأقلية منهم فكانت فئات متعددة؛ بعضها- على الأرجح- عربية الأصل، لكن أصلها ضاع، أو سُلِبَ منها، لسبب من الأسباب. وبعضها من أصول غير عربية أتت إلى البلاد بطرق مختلفة كالرق ومزاولة بعض المهن.

وكانت النظرة الاجتماعية لدى النجديين، بصفة عامة، نظرة قبلية. ومن هنا كان ثبوت الانتماء العربي مُهمًّا لتحديد مكانة الفرد أو الأسرة في المجتمع. واتَّضحت هذه النظرة في قضية الزواج ومزاولة بعض الأعمال والحرف[1].

أما من حيث طريقة المعيشة، فإن المجتمع النجدي كان منقسمًا إلى قسمين: حضر وبدو. غير أنه كانت توجد مرحلة انتقالية مُعيَّنة يَمرُّ بها بعض السكان. وهذه المرحلة من الصعب إلحاق مجتازيها بأَيٍّ من القسمين السابقين. ذلك أن هؤلاء لم يقطعوا الصلة بحياتهم البدوية التي كانوا بصدد تركها، ولم يألفوا بَعدُ الحياة الحضرية التي كانوا في سبيل الانتقال إليها.

---

(١) جرت العادة ألَّا يتزوج من هو من أصل عربي معروف بمن هي ليست من أصل عربي معروف، ولا تتزوج من هي من أصل عربي معروف بمن هو ليس من أصل عربي معروف، وألا يزاول حِرَفًا معيَّنة؛ مثل الجزارة والحدادة.

وكان من أَهمِّ دوافع الاستقرار عوامل المناخ. فقد ترغم أيام القحط البدو على الالتجاء إلى البلدان إبقاء لحياتهم. وأكثر هؤلاء كانوا- بدون شك- يغادرون هذه البلدان بمجرد تَحسُّن الوضع بنزول المطر ونبات الكلأ[1]. لكن منهم من كان يستمرئ حياة الحاضرة فيبقى مستقرًّا.

وكما هو متوقع جاء استقرار النجديين حول الأمكنة التي تتوافر فيها مصادر المياه اللازمة لقيام الزراعة؛ مثل جوانب الأودية المشهورة والواحات المختلفة. وقد يكون اختيار موضع الاستقرار ناتجًا عن وقوعه على طريق تجارية. لكن صلاحيته للزراعة كانت تفوق كل اعتبار.

ولأن الزراعة كانت أَهم مُقوِّمات الحياة الاقتصادية لدى حاضرة نجد، أولوها عناية كبيرة حسب ظروفهم وإمكاناتهم. وكانت البلاد تنتج أنواعًا مختلفة من المحصولات الزراعية والخضراوات والفواكه. لكن النخيل كانت أَهمَّ تلك الأنواع لدى السكان. ذلك أن ثمارها كانت مُهمَّة جدًّا في تغذيتهم، كما أن كل جزء منها كان يستخدم في غرض من أغراض حياتهم اليومية وغير اليومية. وبلغ إعجابهم بها درجة جعلتهم يتفانون في الدفاع عنها، ويَتغنَّون بمدحها[2].

وكانت تواجه المزارعين النجديين مشكلات متعددة؛ منها ما يعود إلى ظروف المنطقة الطبيعية. ومنها ما يحدث نتيجة أعمال الخصوم. فقد كان على المزارعين في أكثر الأقاليم النجدية: أن يحفروا آبارًا يستخرجون منها الماء. وفي ذلك ما فيه من إنفاق مالي. واستخراج الماء من الآبار يَتطلَّب حيوانات تقوم

---

(١) يعبِّر ابن بشر، عادة، عن التجاء البدو إلى البلدان في مثل تلك الظروف بكلمة «هثل». انظر ابن بشر، ج٢، ص٢٠٩.

(٢) انظر قول حميدان الشويعر في كتاب **خيار ما يلتقط من الشعر النبط**، لعبدالله الحاتم، الطبعة الثانية، دمشق ١٣٨٧هـ، ص١٣٠ - ١٣٤.

به، ويدًا عاملة تلاحظ تلك الحيوانات وترعاها. وفي ذلك ما فيه من إنفاق وجهد مستمرين. وكان عدم نزول الأمطار على بعض الجهات مشكلة كبيرة للمزارعين؛ وبخاصة في إقليم سدير؛ إذ ينتج عنه جفاف الآبار[1].

على أن نزول المطر، أحيانًا، بغزارة مصحوبًا بعواصف أو بَرَد كان مشكلة أخرى. ذلك أنه يتلف المحصولات الزراعية. وكثيرًا ما تَعرَّضت تلك المحصولات، أيضًا، لهجمات الجراد أو لتخريب الأعداء[2].

وكانت هناك أهمية كبيرة لأنواع من الحيوانات بالنسبة لحاضرة نجد. فقد كانت الإبل تستخدم من قِبَل التاجر والمسافر والمحارب. وكان لحمها من أهم مصادر اللحوم اللازمة لتغذية السكان. وكانت البقر ذات فائدة في المجال الزراعي وفي إمداد الأهالي باللبن واللحم. وكانت حاضرة نجد تقتني، أيضًا، الأغنام للانتفاع بألبانها ولحومها[3].

والمُقوِّم الثاني من مُقوِّمات الحياة الاقتصادية المهمَّة لدى حاضرة نجد هو التجارة. وكان يوجد ثلاثة أنماط من التجارة حينذاك: مَحليَّة، وإقليمية، وخارجية.

أما التجارة المحلِّية فقد تَجلَّت في التعامل التجاري الذي كان سائدًا بين السكان الحضر أنفسهم في كل بلدة على انفراد. وكانت المنتجات الزراعية والمصنوعات المحلية تباع إلى المستهلك مباشرة أو عن طريق وسيط بينه وبين المنتج.

وأما التجارة الإقليمية فهي تلك التي كانت قائمة بين البلدان النجدية أو بين حاضرة نجد من جهة وباديتها من جهة ثانية، فبعض البلدان كانت أكثر

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص٢٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٠ و٢٣٨.

(٣) الفاخري، ص٧٧، ٧٩و٩٧.

إنتاجًا زراعيًّا من البعض الآخر. وكان الفائض من إنتاجها يُصدَّر إلى تلك البلدان المحتاجة إليه. وكان كلٌّ من الحضر والبدو يحتاج إلى الآخر اقتصاديًّا. فالبدوي كان لا بد له من أن يأتي إلى البلدان ليشتري ما يحتاج إليه من تمر وحبوب وملح وملابس وأوانٍ وأسلحة، وليبيع ما يزيد على حاجته من إبل وأغنام ودهن وأصواف[1].

وأما التجارة الخارجية فهي تلك التي كانت قائمة بين سكان نجد؛ حاضرة وبادية، وبين سكان الأقطار الأخرى. ذلك أن نجدًا لم تكن تنتج كل ما تحتاج إليه. ولذا كان لا بد من استيراد ما كان غير متوافر فيها، أو ما كان غير كاف لسكانها؛ مثل بعض الأطعمة والملابس والأسلحة. ولكنها من ناحية أخرى كانت غنية ببعض المنتجات الحيوانية كالإبل والخيل. ولصلاحية مراعيها للإبل من ناحية، ووفرة تلك الإبل فيها من ناحية أخرى، سُمِّيت «أم البل»[2]. ومن هنا انطلق التجار النجديون من بلادهم إلى الأقطار الأخرى بائعين ومشترين. على أنه من الملاحظ أن التجارة الخارجية بخاصة كانت لها مشكلات، من أكبرها عدم الأمن؛ إذ كثيرًا ما تَعرّضت قوافل التجارة للنهب[3].

ومن أشهر العملات التي كان النجديون يتعاملون فيها الأحمر والمحمَّدية والجَديدة والمِشْخص[4].

أما بالنسبة للبادية فأهم مقوِّمات حياتهم الاقتصادية الثروة الحيوانية ومنتجاتها. وكانت تلك الثروة تتأثر بعاملين أساسين: أحدهما المطر، والثاني

---

(١) المصدر نفسه، ص٩٥ و١٠١؛ ابن بشر، ج٢، ص١٣١ و٢٣٨.

(٢) بوركهارت، وترجمة عنوان كتابه: **ملحوظات على البدو الوهابيين**، لندن، ١٨٣١م، ج١، ص٦٩.

(٣) ابن بشر، ج٢، ص٢٠٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٩ و٢٣٢؛ أحمد المنقور، **الفواكه العديدة في المسائل المفيدة**، دمشق، ١٣٨٣هـ، ج١، ص١٥٨.

الغزو. فالحيوانات تنمو بنزول الغيث، وتقلُّ وتضعف بالقحط. ونزول الغيث في جهة دون أخرى كثيرًا ما أدَّى إلى حرب بين قبيلة وقبيلة حول موطن الكلأ. والغزو كثيرًا ما نتج عنه فقر من كان غنيًّا، وغنى من كان فقيرًا.

وكانت الإبل لدى البادية أهم الحيوانات؛ إذ هي مصدر من مصادر اللبن الذي يعتمدون عليه كثيرًا في التغذية، كما أنها وسيلة مواصلاتهم المهمَّة. بل هي معيار لكثير من أمور حياتهم الاجتماعية؛ سواء منها ما حَدَّدته الشريعة كالديات، أو غيرها كالمهور التي تُقدَّر بأعداد من الإبل. وما دامت هذه هي مكانتها فلا عجب أن حفل شعر فرسانهم بذكرها جنبًا إلى جنب مع ذكر المحبوبة في الدفاع عنها، والاستماتة من أجلها[1].

أما الأغنام فكانت مُهمَّة للبادية. ذلك أن البدو كثيرًا ما اشتروا بثمنها وثمن ما تنتجه من سمن وأقط وصوف، ما كانوا يحتاجون إليه من أمور موجودة لدى الحاضرة.

وأما الخيل فكانت منفعتها الخاصة للبادية تَتَّضح في الحروب لسرعتها. وكانت حياة تلك البادية مليئة بمفاجآت الغزو دفاعًا أو هجومًا. على أن الخيل، أيضًا، كانت مما يُعتزُّ باقتنائه ويفتخر في المجال الاجتماعي.

وكان كلٌّ من حاضرة نجد وباديتها يستفيد من قوافل الحج، التي تَمرُّ بالمنطقة بطريقته الخاصة. فقد كان هناك تبادل تجاري بين رجال تلك القوافل وسكان البلدان النجدية التي يَمرُّون بها. وكان رؤساء القبائل يَتسلَّمون مبالغ مالية من القوافل التي تعبر الأراضي الواقعة تحت سيطرتهم، كما كانوا يبيعون عليهم منتجاتهم الحيوانية، ويعملون أَدلَّاء لهم.

---

(١) الحاتم، ج٢، ص٢٣٦.

وكانت المرأة النجدية؛ سواء في الحاضرة أو البادية، تقف مع الرجل للتغلُّب على ظروف الحياة التي لم تكن ميسورة بصفة عامة.

فكانت نساء الحاضرة يقمن بأعباء المنزل ورعاية الأطفال، كما يساعدن في أعمال الزراعة. وكانت الفقيرات منهن يخرجن، أحيانًا، من البلد لجمع العشب أو الحطب وبيعهما، وكانت نساء البادية يقمن بحاجات بيوتهن، ويساعدن في الرعي والإنتاج المختلف. وقد أشارت المصادر إلى بروز بعض النساء النجديات في المجالات الاجتماعية العامة[1]. لكن الدور القيادي كان، بطبيعة الحال، للرجل.

ج- الحالة السياسية:

يمكن أن يقال: إن الصفات التي كان المجتمع الحضري النجدي يرى ضرورة توافرها في الزعامة السياسية لم تكن تختلف، بصفة عامة، عمَّا هو معروف عن مؤهلات الزعامة العربية التقليدية، التي من أَهمِّها أصالة النسب والشجاعة والكرم. ولقد كانت زعامات البلدان النجدية تنتمي إلى قبائل عربية مختلفة. على أن قبيلة بني تميم احتلَّت فيما يبدو، مكانًا واسعًا بين تلك الزعامات، لكثرتها العددية بين السكان من ناحية، ولنزعتها الاستيطانية المعهودة منذ زمن طويل من ناحية أخرى. ومن أمثلة الأمراء المنتمين إليها أمراء العُيَينة- أقوى بلدة نجدية حينذاك- وأمراء ثَرمداء وروضة سُدير وبُرَيدة[2].

على أن الأسر التي كانت تسيطر على مقاليد الأمور في البلدان النجدية وصلت إلى الإمارة بطرق مختلفة، منها أن يكون جد الأسرة هو الذي أنشأ البلدة

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص٢٣٧.

(٢) ابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث**، ص٣٥، ٥٥، ١٠٥.

أو أحياها بعد أن هجرها آخرون[1]. ومنها أن يستولي على البلدة بالقوة وينتزع الإمارة ممن كانوا يَتولَّون زعامتها[2]. وفي كلتا الحالتين السابقتين جرت العادة أن تكون الإمارة وراثية في الأسرة، أو تذهب إلى فرد من أفرادها باختيار منهم. وذلك باستثناء الصراعات التي قد تقوم داخل الأسرة أحيانًا.

والصراع حول السلطة أمر مألوف في تاريخ جميع الأسر في مختلف بلاد العالم وفي سائر الفترات التاريخية. ولكن نسبة ذلك الصراع وشراسته تتأثران باختلاف الظروف. وعلى هذا الأساس، فإن الصراع داخل الأسر الحاكمة في نجد حينذاك لم يكن أمرًا غريبًا. ولَعلَّه لم يبلغ في عنفه ما بلغه الصراع بين أشرف الحجاز في بعض الفترات التاريخية. وما دام الصراع حول السلطة موجودًا داخل الأسر الحاكمة ذاتها، فإنه لم يكن غريبًا ألَّا تجدي صلة القرابة القبلية، التي كانت موجودة بين أمراء بعض البلدان، في إيجاد جو من التآلف أو الوحدة الإقليمية، بل إن وجود مثل تلك الصلة لم يمنع قيام الحروب بين أولئك الأمراء، وقد أصبح التفكك السياسي نتيجة طبيعية لتلك الأوضاع، حتى غدت كل بلدة مستقلة بذاتها، ذات علاقة غير وُدِّية مع جارتها في أغلب الأحيان. وكان على كل أمير أن يَظلَّ في حالة استعداد عسكري: إما لمهاجمة خصمه، أو الدفاع عن بلدته.

ولقد تعاقبت على الإمارات النجدية المختلفة فترات ضعف وقوة. لكن أقوى إمارة ظهرت في تلك الفترة كانت إمارة العُيَينَة- كما ذكر سابقًا- وبخاصة في عهد رئيسها عبدالله بن معمَّر (١٠٩٦ - ١١٣٨هـ)، الذي قال عنه ابن بشر: إنه لم يذكر مثله «في زمانه ولا قبل زمنه في نجد في الرئاسة وقوة الملك والعدد

(١) ابن بشر، ج٢، ص١٨٩.

(٢) الفاخري، ص٦٥ و٦٧.

والعُدَّة والعقارات والأثاث»[1]. ومع ذلك، فإنه من الواضح أن تلك العظمة لم تصل إلى درجة تُمكِّن العيينة من الإخلال بميزان القوة السياسي والعسكري لصالحها في نجد.

أما بالنسبة للقبائل الرحَّل في المنطقة، فقد كانت المؤهلات التي يصل بها صاحبها إلى مركز القيادة هي صفات الزعامة لدى القبائل العربية في مختلف العصور. ومع أن زعيم القبيلة كان يختار حسب مؤهلاته القيادية الذاتية من قِبَل رؤساء العشائر والبطون، فإن قرب الفرد من الزعيم القديم كان من بين مرجحات زعامة من سيخلفه. ولهذا يلاحظ أن الزعامة لا تخرج في كثير من الأحيان عن أسرة الزعيم القديم ذاتها، حتى أصبحت لدى معظم القبائل وراثية تقليدية.

وكانت العلاقات بين القبائل النجدية سيئة بصفة عامة. وكانت القوة هي الفيصل فيما يحدث بينها من نزاع؛ سيرًا على المثل المشهور: «نجد لمن طالت قناته». وقد تَعدَّدت القبائل المتنازعة حول موارد المياه ومواطن الكلأ في نجد. وطمح بعضها إلى احتلال مركز الصدارة في هذه المنطقة. وكان ذلك المركز لبني لام في بداية القرن العاشر الهجري[2]. لكنه من الواضح أن قبيلة عنزة كانت أقوى من غيرها خلال بقية ذلك القرن والقرن الذي تلاه[3]. ومن أشهر القبائل التي أشارت المصادر إلى قوتها في تلك الفترة بنو خالد والدواسر والظَّفير وسُبيع والفُضُول وقحطان ومُطَيْر.

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص٢٣٦، ويرجع إنشاء العيينة إلى منتصف القرن التاسع الهجري، حينما اشترى جد آل معمَّر، حسن بن طوق، مكان تلك البلدة من آل يزيد سنة ٨٥٠هـ. انظر المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٩.

(٢) حمد بن لعبون، **تاريخ حمد بن محمد بن لعبون**، مكة، ١٣٥٧هـ، ص٣٢.

(٣) ويوحي بذلك كثرة هجماتها المنتصرة على القبائل الأخرى. انظر المؤرخ البسام، الورقات: ١٦أ، ١٨ب، ٣٤أ، ٤٥أ.

وإذا تَأمَّل الباحث في تاريخ تلك الفترة فإنه يرى أن علاقة الحاكم بالمحكوم والرئيس بالمرؤوس لم تكن على وتيرة واحدة. بل وُجد اختلاف بين علاقة الحضري بأميره عن علاقة البدوي برئيسه. ولَعلَّ من أهم أسباب ذلك اختلاف طريق الزعامة لدى الحاضرة عنها لدى البادية، واختلاف طبيعة ثروة كل منهما. فقد كانت القوة أو الاغتيال من الطرق المؤدية إلى الإمارة لدى الحضر. وما من شك أن الخوف من الثأر قد يُؤدِّي إلى اتخاذ إجراءات ظالمة أحيانًا. وكان الاختيار المبني على وجود مؤهلات خاصة هو الطريق، غالبًا، إلى رئاسة القبيلة. لذلك لم يكن الرئيس خائفًا من أتباعه، وإنما كان حريصًا على أن تَظلَّ الثقة به موجودة في نفوس أولئك الأتباع. وهكذا كان لزامًا عليه أن يُحسِّن علاقته بهم. وثروة الحضري، عادة، غير قابلة للنقل؛ مثل المزرعة والبيت والمتجر. ولهذا كان عليه أن يصبر على بعض ما يحدث له من جور، لأنه إن حاول الهروب منه قد يفقد كثيرًا من ممتلكاته الثابتة. أما ثروة البدوي فقابلة للنقل. بل إن حياته ذاتها حياة تَنقُّل وتَرْحال. وعلى هذا الأساس فإنه لو أحس بنوع من الجور فما عليه إلا أن يطوي خيمته ويسوق حيواناته بعيدًا عن موطن ذلك الجور، دون أن يُعرِّض ثروته لضرر كبير. وكان من السهل عليه دائمًا أن يجد ترحيبًا لدى قبيلة أخرى[1]. وهذا ما أدركه كلٌّ من الرئيس والمرؤوس، وكَيَّف علاقته بموجبه.

ومع أن بعض المصادر تشير إلى أن الظلم كان من الصفات الغالبة في أمراء البلدان النجدية[2]- وهذا متوقع لما ذكر سابقًا- فقد وُجِد أمراء نجديون عادلون يَحلُّون أمور أتباعهم بطريقة شرعية[3].

---

(١) كثير من القبائل المشهورة فيها أفخاذ أو أفراد ليسوا منها أصلًا، وإنما انضموا إليها لأسباب مختلفة، منها ما أشير إليه أعلاه.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٢٠؛ الحاتم، ج١، ص١٠٤.

(٣) ومن بين هؤلاء عبدالله بن مُعمَّر، أمير العيينة.

د- الحالة العلمية والدينية:

يدخل في إطار الحديث عن الحالة العلمية والدينية أمور أهمُّها العلم والعلماء، والانتماء المذهبي الفقهي للسكان، والقضاء، ثم العقيدة وأركان الإسلام.

ومن الواضح أن التعليم في نجد كان على نطاق ضيق جدًّا، فقد كان معدومًا لدى قسم كبير من السكان، وهم البادية، وكان قليلاً لدى القسم الآخر من المجتمع النجدي، وهم الحاضرة. وكانت صعوبة الحياة الاقتصادية، بصفة عامة، وانشغال أكثر الناس بالبحث عن لقمة العيش، وعدم وجود من يتولَّى التعليم برعاية مالية، من الأمور التي حالت بين الغالبية العظمى من السكان وبين السبيل إلى المعرفة. ومع ذلك فقد وجدت محاولات للتعلُّم والتعليم حسب الإمكانات المتوافرة. ويبدو أن العامل الديني كان له أثر في إقبال بعض أرباب الأسر القادرة ماليًّا على تعليم أبنائهم قراءة القرآن الكريم أو أجزاء منه على الأَقلّ. كذلك كان للعامل الديني أثر في دفع القادرين علميًّا إلى بذل ما في وسعهم لتعليم غيرهم ما يعرفونه من علوم الشريعة.

ومن المؤكد وجود علماء في نجد قبل القرن العاشر الهجري. ولَعلَّ من أبرز الأدلة على ذلك الوثائق الشرعية التي كتبها علماء من هذه المنطقة تلك الفترة[1]. وإذا كانت المصادر لا توجد فيها معلومات كافية عن علماء نجد خلال القرنين الثامن والتاسع من الهجرة، فإن المعلومات عن العلماء النجديين من بداية القرن العاشر إلى منتصف القرن الثاني عشر متوافرة[2].

---

(١) انظر دراسة عبدالعزيز المبارك عن هذه الوثائق، **العرب**، رجب ١٣٨٧هـ، ص٥١ - ٥٩.

(٢) من أحسن المعلومات عن علماء نجد خلال تلك الفترة كتاب الشيخ البسام السابق ذكره.

ويرى المتأمل في تراجم علماء نجد الذين سبقوا ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن أكثر من نصف أولئك العلماء قد وُلِدوا في بلدة أُشَيقر، وتَعلَّموا فيها، وأن بعضًا ممن لم يُولَدوا فيها قد وفدوا إليها، لتلقِّي العلم عن علمائها. ويرى، أيضًا، أن أكثر من نصف العلماء النجديين في تلك الفترة ينتمون إلى آل وُهَبة من تميم، وأن ما يقرب من نصف هؤلاء ينتمون إلى فرع واحد من آل وُهَبة، وهو آل مُشرَّف أسرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وهذا يدل على أن بلدة أُشَيقر كانت مركزًا علميًّا في نجد، وأن آل وُهَبة بصفة عامة، وآل مُشرِّف بصفة خاصة، قد احتلُّوا مركز الصدارة العلمية في المنطقة حينذاك.

ومن الأمور التي يراها الباحث في تاريخ تلك الفترة أن عدد علماء القرن الحادي عشر الهجري يقرب من ضعف عدد علماء القرن الذي سبقه، وأن عدد علماء النصف الأول من القرن الثاني عشر يقرب من مجموع عدد علماء القرن الحادي عشر كله. وهذا يَدلُّ على أن الحركة العلمية في نجد كانت في تَقدُّم مستمر. وكذلك يرى الباحث أن عدد المسافرين من طلاب العلم النجديين إلى الأقطار الأخرى للتعلُّم على أيدي علمائها قَلَّ بالتدريج. ولعلَّ من أهم أسباب ذلك ازدياد عدد العلماء النجديين المتمكِّنين من معرفة العلوم الشرعية، مما أتاح الفرصة لأولئك الطلاب أن يتعلَّموا ما يريدون معرفته داخل وطنهم.

وكان أبرز علماء تلك الفترة سليمان بن علي -جد الشيخ محمد بن عبدالوهاب- ومحمد بن إسماعيل، وعبدالله بن ذَهْلان[1].

وتَدلُّ الوثائق الشرعية، التي أشير سابقًا إلى وجودها قبل القرن التاسع الهجري، على أن المذهب الحنبلي كان منتشرًا في نجد منذ تلك الفترة، ثم

(١) انظر تراجم هؤلاء العلماء لدى الشيخ البسام، ج١، ص٣٠٩ - ٣١٣، ج٢، ص٦٢٠ - ٦٢٢ وج٣، ص٧٨٨- ٧٩٠.

أصبح بعد ذلك المذهب السائد في المنطقة. ذلك أن أغلب علماء نجد الذين ظهروا قبل الشيخ محمد بن عبدالوهاب كانوا حنابلة. بل كان من النادر وجود عالم غير حنبلي[1].

على أن الطريقة التي دخل بها المذهب الحنبلي إلى نجد ليست واضحة كل الوضوح. ولَعلَّ هذه المنطقة كانت من الأماكن التي قدم إليها بعض علماء الحنابلة، الذين لم تلائمهم ظروف الحياة العامة في العواصم الإسلامية الكبرى، فوضعوا نواة المذهب الحنبلي هنا.

ومن المحتمل أيضًا، أن أحد النجديين- أو فريقًا منهم- درس على عالم حنبلي خارج نجد، ثم بدأ يُدرِّس هذا المذهب بعد عودته إلى وطنه.

ولم يكن غريبًا أن يجد المذهب الحنبلي أرضًا خصبة في نجد. ذلك أنه أقرب المذاهب إلى ظاهر نصوص القرآن والسنَّة. وهو بهذه الصفة يُمثِّل البساطة إلى حدٍّ ما. والبساطة من الأمور المحبَّبة إلى نفسية الفرد النجدي، الذي كان أقلَّ إخوته من عرب الجزيرة تَأثُّرًا بالخارج. والنجدي كان يعجب بمن يصمد في سبيل ما يؤمن به. وربما كان لصمود بعض الحنابلة؛ مثل إمامهم أحمد ابن حنبل والشيخ ابن تيمية، أثر في إعجاب النجديين بهم وحُبِّهم لمذهبهم.

وقد تَركَّزت دراسة علماء نجد في تلك الفترة على مادة الفقه؛ وبخاصة المذهب الحنبلي. أما العلوم الشرعية الأخرى فكان حظها من العناية أَقلَّ من هذه المادة. وكان من أَهمِّ ما تؤهل له الدراسة تولِّي القضاء. وكان إتقان الفقه كافيًا، فيما يبدو، لذلك التأهيل.

---

(١) من أولئك النادرين العالم حسين بن زيد، الذي كان حنبليًّا، ثم أصبح شافعيًّا. انظر: أحمد بن محمد المنقور، **الفواكه العديدة** ج١، ص٢٢٢.

ومن الواضح أنه قد وُجِد اكتفاء ذاتي من القضاة النجديين في أكثر بلدان منطقتهم. والمعلومات التي توضح دخل أولئك القضاء غير متوافرة. ومع أنه لم تكن لهم مُرتَّبات نقدية، فإن مصادر دخلهم كانت مُتنوِّعة. فقد كانت هناك بعض الأوقاف المحلِّية التي تذهب منفعتها أو جزء منها للقاضي. وكان بعض القضاة يتعاطون التجارة أو الزراعة بطريقة من الطرق[١]. على أن من بين هؤلاء من كان يأخذ أجورًا من المتخاصمين مقابل الفصل بينهم[٢]. ويبدو أن دخل القضاة كان، بصفة عامة، كافيًا لإعاشتهم عيشة طيبة، كما كان كافيًا لإتاحة الفرصة أمام أبنائهم ليتفرَّغوا للدراسة. وهذا ما لم يتوافر لكثير من الأسر النجدية.

وكان أكثر القضاة النجديين في تلك الفترة يَتحلَّون بالعدل وحب الخير. ولذلك وقف المجتمع منهم موقف احترام وتقدير.

ولكن فئة قليلة من أولئك القضاة لم تَتحلَّ بما تَحلَّت به الأكثرية من صفات عالية. ولذلك أصبحت مَحلَّ انتقاد اجتماعِي لاذع؛ وبخاصة من بعض الشعراء[٣].

والحديث عن القضاء والقضاة، هنا، خاص بحاضرة نجد. أما باديتها فلم يكن لهم قضاة شرعيون، وإنما كانوا يتحاكمون إلى العرف والتقاليد الخاصة بقبائلهم[٤].

---

(١) **تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور**، تحقيق عبدالعزيز الخويطر، الرياض، ١٣٩٠هـ، ص١٩.

(٢) ابن غنَّام، ج١، ص١١٣ و١٢٣.

(٣) الحاتم، ج١، ص١١٦، ١٢١.

(٤) وقد ذكر مؤلف **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب**، تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، دون تاريخ، ص٢٩، أن أهل وادي الدواسر وجبل شمَّر كانوا، أيضًا، يتحاكمون إلى العرف، لعدم وجود علماء بينهم.

والمتأمل في التاريخ الإسلامي العام يرى أن كثيرًا من البدع في الدين قد انتشرت بين فئات من المسلمين عبر العصور المختلفة، كما يرى أن كثيرًا من الخرافات قد تَسلَّت إلى عقائد بعض الناس؛ وبخاصة الجهال. ومن أمثلة الأمور المخالفة لتعاليم الدين الإسلامي بناء على القباب على قبور من يعتقد فيهم الولاية، وجعل تلك القبور أماكن للعبادة، وتقديس أولئك الأموات وسؤالهم الشفاعة عند الله ونحو ذلك. ومن بين الجهال من اعتقد أن الأولياء ينفعون ويَضرُّون. وكان النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري من أسوأ الفترات التي مَرَّ بها المسلمون؛ بعامة بالنسبة لتلك الأمور.

وتختلف المصادر في وصفها للحالة التي كان عليها النجديون من حيث العقيدة والقيام بأركان الإسلام. فالمصادر المتحمِّسة لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية تعطي صورة قائمة لتلك الحالة؛ إذ يصدر ابن غنَّام حكمًا عامًّا على أهل نجد بأنهم كانوا يأتون كل باب من أبواب الشرك. ثم يذكر تفصيلات عمَّا كان يُفعَل من أمور شركية في العارض والخرج[1]. أما ابن بشر فيقول: إن الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر قد فشا في نجد. ثم يضرب أمثلة لما كان شائعًا من ذلك الشرك[2]. ويُسمِّي ابن غنَّام تلك الفترة بالجاهلية[3]. وقد أشار الشيخ محمد بن عبدالوهاب نفسه إلى أن كثيرًا من بوادي نجد كانوا جاهلين بالإسلام جهلًا تامًّا، وأنهم كانوا لا يمارسون أركانه من صلاة وزكاة وصيام. بل إن فريقًا من هؤلاء كانوا لا يؤمنون بالبعث بعد الموت[4]. ومما أشار

(١) ابن غنَّام، ج١، ص٧ - ٨.

(٢) ابن بشر، ج١، ص١٩ و٢٢.

(٣) ابن غنَّام، ج١، ص١٤ وج٢، ص٣.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٨ و١٤٤.

إليه الشيخ أيضًا، وجود أناس يزاولون أنواعًا من أعمال الصوفية، ويعتقدون عقائدهم المزعومة[١].

على أن بعض المصادر- ومنها ابن بشر نفسه- تبرز نجدًا موطنًا لعلماء تَحلَّى بعضهم بالورع والتقوى والاستقامة. بل إنها تُصوِّر أكثرية حاضرة نجد- على الأَقلِّ- مُتمسِّكة بأحكام الإسلام مُنفِّذة لواجباته وسننه[٢]. والأشعار العامية التي قيلت في تلك الفترة لا تشتمل على ما يوضح أن قائليها كانوا يخالفون العقيدة الصحيحة أو أحكام الإسلام العامة[٣].

وعلى أَيِّ حال فإن المقارنة بين المصادر المختلفة توحي بأن هناك مبالغة في تعميم الحكم على أهل نجد بأنهم كانوا مشركين، وتُبيِّن أن الحالة الدينية في المنطقة غير مُتَّفقة مع قول من قال: إن النجديين في تلك الفترة قد خلعوا ربقة الإسلام والدين[٤]، ولا مع قول من قال: إن كل أثر للإسلام كان قد اختفى من نجد[٥]. لكن تلك الحالة لم تكن مستقيمة ولا غير محتاجة إلى إصلاح. لقد كان هناك جهلة من الحاضرة يمارسون أعمالًا شركية. لكن عدد هؤلاء كان، فيما يبدو، قليلًا إذا قورن بمجموع عدد السكان. وكان هناك كثير من أبناء البادية الذين لا يقومون بأركان الإسلام نتيجة جهلهم بها. وإضافة إلى هؤلاء وأولئك كان هناك قليل من الذين ينتسبون إلى العلم، وهم يزاولون أعمالًا لا تَتَّفق مع عقيدة السلف الصالح. لكن كان هناك قائمون بأركان الإسلام، وكان هؤلاء يُمثِّلون غالبية حاضرة نجد.

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١٤٢، ١٤٧، ٢١٩.

(٢) يرى الباحث هذا واضحًا في كتابات المنقور وابن بشر والفاخري.

(٣) الحاتم، ج١، ص٨٩ و١١٣ وج٢، ص١١٣، ١٣٨.

(٤) انظر- مثلًا- عبدالرحمن آل الشيخ، **علماء الدعوة**، القاهرة، ١٣٨٦هـ، ص١٢.

(٥) انظر بالجريف، وترجمة عنوان كتابه: **رحلة عبر وسط بلاط العرب وشرقيها**... لندن، ١٨٦٥م، ج٢، ص٣٧٠.

وهكذا يَتبيَّن أن نجدًا كانت في حاجة إلى دعوة إصلاح دينية، توضح للجهال من الناس ما خفي عليهم من أمور الدين وأحكامه، وتقضي على كل ما من شأنه أن يُخلَّ بعقائد المسلمين، وتُلزِم من لم يكونوا يؤدون أركان الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج بأدائها.

وكانت نجد، فيما يبدو، مكانًا مناسبًا لنجاح الدعوة الإصلاحية الدينية. ذلك أن الصوفية لم تكن ذات جذور عميقة فيها، كما هي الحال بالنسبة لكثير من الأقطار الإسلامية حينذاك. وكانت خالية من المذاهب غير السُّنِّية. ولم يكن لدى باديتها آراء عن الدين. ولذلك كان من المحتمل أَلَّا تكون مجابهتهم صلبة لأيِّ دعوة دينية؛ وبخاصة إذا كان الجهاد هدفًا من أهدافها.

وكانت نجد، أيضًا، في حاجة إلى حركة سياسية إصلاحية تجمع شتات إماراتها وقبائلها تحت راية واحدة ليسود الأمن والاستقرار فيها. ومن الواضح أنها كانت أرضًا قابلة لنجاح حركة من هذا النوع. ذلك أنها كانت بعيدة عن متناول السلطة العثمانية المركزية؛ لا سيما أن النفوذ العثماني في جزيرة العرب كان قد تقلَّص إلى درجة كبيرة حينذاك. وكان في إمكان أَيِّ حركة سياسية مَحلِّية أن تقوم في نجد، وأن تُحرِز نجاحًا أوليًّا- على الأَقلِّ- قبل أن تلتفت إليها الأنظار الخارجية، وتمتد أيدي الآخرين للقضاء عليها.

واختلاف الإمارات النجدية وإن بدا عاملاً سلبيًّا إلا أنه كان من الممكن الاستفادة منه في مسيرة الحركة الإصلاحية. ذلك أن زعيم الإصلاح عندما يفشل في بلدة مُعيَّنة فإن فرصة نجاحه في بلدة أخرى غير بعيدة عنها كان أمرًا كبير الاحتمال. فخلاف أمير البلدة الثانية مع صاحب البلدة الأولى قد يدفعه إلى الترحيب بالمصلح الذي رفضه ذلك الأمير. وما حدث لزعيم الإصلاح الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الدينية السياسية أكبر الأَدلَّة على صحة ما ذُكِر.

الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته

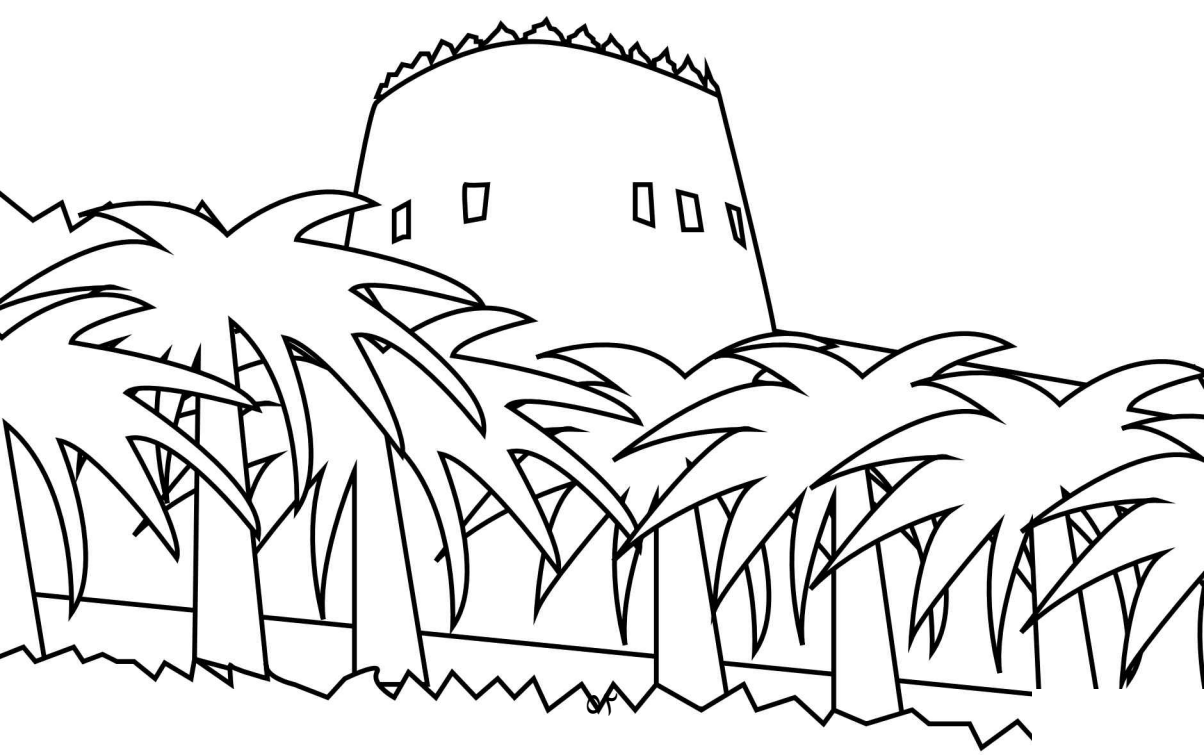

١ - أسرته ومولده:

ينتمي الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى أسرة تُسمَّى آل مُشَرَّف. وهذه الأسرة فرع من فروع آل وُهبَة، أحد بطون قبيلة بني تميم المشهورة[١]. وكان مُشَرَّف الجد التاسع للشيخ محمد حسب الروايات الراجحة. فهو محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن راشد بن بُريد بن محمد بن بُرَيد بن مُشَرَّف[٢].

وكانت أسرة آل مُشَرَّف تسكن في بلدة اُشَيقر. ومن هناك انتقل بعض أفرادها إلى بلدان نجدية أخرى. ولقد اشتهرت تلك الأسرة بالعلم. فمنذ القرن العاشر الهجري والمصادر تتحدَّث عن علماء منها. ذلك أن الشيخ عبدالقادر بن بُرَيد بن مُشَرَّف كان قاضيًا، وكان من بين ستة علماء حُكِّموا في مسألة الخلاف الذي وقع بين الفقيهين النجديين أحمد بن عَطْوة وعبدالله بن رَحْمة[٣]. وكان أحمد بن محمد بن مُشَرَّف أحد تلاميذ العلَّامة موسى الحجاوي في دمشق، كما كان أحد أستاذة العالمين الجليلين محمد بن إسماعيل وسليمان بن علي[٤].

وكان أكبر عالم ظهر في نجد خلال القرن الحادي عشر الهجري سليمان بن علي جد الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٥]. وقد تَولَّى القضاء في روضة سدير. ثم انتقل إلى العيينة حيث أصبح قاضيًا لها وشيخًا لعدد من طلاب العلم، بينهم ابناه عبدالوهاب وإبراهيم[٦].

---

(١) عن فروع آل وُهبَة انظر ابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث**، ص٢٠٥ - ٢٣١.

(٢) ابن غنَّام، ج١، ص٢٥؛ ابن بشر، ج١، ص١٣٣؛ ابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث، ص١٢٥**؛ عبداللطيف ابن عبدالرحمن، **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية**، المنار، القاهرة، ١٣٤٤هـ، ج٣، ص٣٧٩.

(٣) ابن بشر، ج٢، ص١٩٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٤، ٢٠٨ و٢١٠.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٠.

(٦) الشيخ البسام، ج١، ص٣٠٩ - ٣١٠.

وكان عبدالوهاب بن سليمان، والد الشيخ محمد، على درجة علمية أَهَّلته ليصبح قاضيًا في بلدة العُيَينة[1]. لكن مكانته العلمية لم تبلغ، على أيِّ حال، ما بلغته مكانة أبيه سليمان.

والمصادر التاريخية لا تذكر شيئًا مُحدَّدًا عن الوضع الاقتصادي لأسرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. لكن من المرجح أن ذلك الوضع كان فوق متوسط وضع الأسرة العادية. ذلك أن كثيرًا من أفراد الأسرة تَولَّوا مناصب قضائية، وكان القضاء عملاً ذا دخل يرجح أنه جيد. ومن الواضح أن دخل أسرة الشيخ محمد كان كافيًا لإتاحة الفرصة لصغار أفرادها، لِيتفرَّغوا لطلب العلم.

وهكذا وُلِد الشيخ محمد في أسرة علمية بادية الثراء، أو على الأَقلِّ ميسورة الحال. وكان مولده في بلدة العُيَينة سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م[2].

٢- نشأته ودراسته الأولى:

المعلومات المتعلِّقة بنشأة الشيخ محمد قليلة جدًّا. وعلى أَيِّ حال فقد جرت العادة، في تلك الفترة، أن يتبع الأبناء سيرة الآباء في كثير من اتجاهات الحياة. ولذلك كان أبناء العلماء، في الغالب، يسلكون طريقة آبائهم في الدراسة والاشتغال بالعلم. وكان أولئك الآباء يُشجِّعون أبناءهم على ذلك. وكما شَجَّع سليمان بن علي ابنيه عبدالوهاب وإبراهيم على طلب العلم، وَفَّر لهما سبيله، قام ابنه عبدالوهاب بمثل ما قام به تجاه ولديه محمد وسليمان[3].

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص٢٣٨.

(٢) ابن غنَّام، ج١، ص٢١؛ الفاخري، ص٩١؛ ابن بشر، ج٢، ص٢٢٦.

(٣) الشيخ البسام، ج٣، ص٦٧٠.

ولقد أظهر محمد بن عبدالوهاب رغبة عظيمة في التعلُّم منذ صغره لدرجة أنه لم يكن يمارس ما كان يمارسه الأطفال في مثل سِنِّه من لهو ولعب[1]. وكان أَوَّل شيء اتَّجه إليه في بداية مسيرته العلمية هو القرآن الكريم. ويقال: إنه حفظه قبل بلوغه سن العاشرة من عمره[2]. وبعد أن انتهى من هذه المهمَّة شرع في دراسة العلوم الشرعية الأخرى؛ وبخاصة الفقه الحنبلي الذي أخذ يدرسه على أبيه عبدالوهاب[3].

ولقد تَهيَّأت للشيخ محمد عوامل ساعدته على سرعة التحصيل والنجاح في الدراسة. ومن هذه العوامل ما كان عائدًا إلى شخصيته ذاتها، ومنها ما كان عائدًا إلى البيئة الأسرية التي نشأ فيها. فقد كان ذكيًّا قَويَّ الذاكرة شغوفًا بالعلم[4]. وكان أبوه الفقيه القاضي يَحثُّه على الدراسة ويرشده إلى طريق المعرفة. وكان عمه إبراهيم فقيهًا[5]، كما كان أخوه سليمان وابن عمه عبدالرحمن بن إبراهيم يطلبان العلم[6]. وبما أن أباه كان قاضي البلدة، فإن منزله كان- في أغلب الأحيان- ملتقى طلاب العلم؛ سواء كانوا من أهل البلدة ذاتها، أو ممن يفدون إليها من بلدان أخرى. وكانت اجتماعات هؤلاء وأولئك تَتَخلَّلها مناقشات علمية. وحضور الشيخ محمد تلك المناقشات كان من الأمور التي تضيف إلى معلوماته الشيء المفيد. ومن المرجح أنه كان على علم بأحكام أبيه القاضي في بعض القضايا. وهذا أمر له أهمِّيته بالنسبة لتوسيع مداركه.

---

(١) ابن غنَّام، ج١، ص٢٥.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٥) انظر ترجمة إبراهيم لدى الشيخ البسام، ج١، ص١١٠ - ١١١.

(٦) عن سليمان وعبدالرحمن، انظر المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٢ - ٣٠٦ وج٢، ص٣٨٢.

ونتيجة لكل ما سبق نجح محمد بن عبدالوهاب في خطواته العلمية الأولى نجاحًا عَبَّر عن مداه أبوه بقوله: «لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام قبل بلوغه»[1]. وكان بلوغه -على غير عادة الكثيرين- في الثانية عشرة من عمره. ولذلك زَوَّجه والده في تلك السن، كما قام بحجه الأول[2].

ومن المرجح أن الشيخ محمدًا قد تَأثَّر كثيرًا بما شاهده في المسجد الحرام من حلقات طلاب العلم حول علماء يُدرِّسون مختلف المعلومات النافعة، وبما رآه من حلقات الناس حول الوعاظ المتعددين، وبما لاحظه من وحدة إسلامية مُتجلِّية في مشاعر الحج. وحين قضى حجه سافر إلى المدينة المنورة، حيث بقي هناك مدة لم تتجاوز شهرين. ولَعلَّه تَعرَّف خلال إقامته هناك بالشيخ عبدالله بن سيف، الذي أصبح أحد أساتذته في المستقبل[3].

وبعد رجوع الشيخ محمد من حجه وزيارته للمدينة المنورة إلى العُيَينة واصل مثابرته على التعلُّم. ومع مواصلته دراسة الفقه أخذ يقرأ في كتب التفسير والحديث والتوحيد. وكان يفهم ما يقرأ فهمًا جيدًا[4]. ولكن المناخ التعليمي في العُيَينة كان بعيدًا كل البعد عن إشباع طموحه المتحفِّز إلى مزيد من المعرفة. وعلى هذا الأساس عقد العزم على البحث عن ضالته في أمكنة أخرى.

٣- سفره لطلب العلم:

كانت الانطباعات التي تَكوَّنت لدى الشيخ محمد إبَّان حجه الأول لا تزال عالقة في ذهنه حينما هَمَّ بمغادرة العُيَينة لمواصلة تَعلُّمه. وكان ما رآه في

---

(١) ابن غنَّام، ج١، ص١٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٦.

(٣) عن ابن سيف انظر الشيخ البسام، ج٢، ص٥٠٥ - ٥٠٦.

(٤) ابن بشر، ج١، ص٢٠.

الحرمين الشريفين من حلقات العلم والوعاظ كافيًا لإقناعه بأن تكون خطوته الأولى في أسفاره العلمية إلى الحجاز. وهكذا سافر إلى مكة المكرمة حيث حج مرة ثانية. ومع احتمال بقائه في تلك البلدة المقدَّسة بعد الحج للدراسة، فإن المصادر لا تذكر دراسته على علماء فيها. ولَعلَّه لم يمكث هناك مدة تستحق العناية والتسجيل. على أنه ما لبث أن سافر من مكة إلى المدينة، حيث بدأ مرحلة مُهمَّة من مراحل دراسته.

وكانت المدينة المنوَّرة ملتقى العلماء وطلاب العلم من الأقطار الإسلامية المختلفة. وكان بعض هؤلاء يأتون ويستقرون فيها للمجاورة. أما البعض الآخر فيقدمون إليها ويمكثون فيها فترة، ثم يغادرونها عائدين إلى أوطانهم. ومع أنه من المرجح أن الشيخ محمدًا قد حضر دروس عدة علماء في المسجد النبوي، فإن صلته بالشيخين عبدالله بن سيف ومحمد حياة السندي كانت أوثق وأعمق من صلته بأَيٍّ عالم غيرهما[1]. وكان لهذين العالمين الجليلين أثر كبير على الشيخ محمد لا بالنسبة لتحصيله العلمي فحسب، وإنما بالنسبة لاتجاه الإصلاحي أيضًا؛ وبخاصة أن صلته بهما قد تَمَّت وهو في مرحلة من مراحل عمره القابلة للتأثُّر والتوجيه.

كان ابن سيف من بلدة المَجْمَعة في نجد. وكان عالمًا بالفقه الحنبلي والحديث الشريف، كما كان مُعجبًا بشيخ الإسلام ابن تيمية. ولا شك أنه شَجَّع تلميذه على قراءة كتب ذلك العالم الجليل.

أما محمد حياة السندي فكان عَلَّامة في الحديث وعلومه. وكان من الداعين إلى الاجتهاد في الشريعة، ومن المعارضين للتعصب المذهبي. وإضافة

(١) ممن ذكرت المصادر دراسة الشيخ محمد عليه إسماعيل العجلوني. انظر سليمان بن عبدالله: **التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق...**، القاهرة، ١٣١٩هـ، ص١٧.

إلى ذلك، فإنه كان من أشدِّ المحاربين للبدع في الدين وللأعمال التي قد تُؤدِّي إلى الشرك[1]. وكل هذه الأفكار والمواقف تنطبق مع الأفكار والمواقف التي نادى بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيما بعد.

ولا تذكر المصادر التي تَحدَّثت عن حياة الشيخ محمد طول المدة التي قضاها في المدينة المنورة. وحينما عاد منها إلى العُيَينة كانت قد تبلورت لديه فكرة المناداة بالإصلاح، لكنه لم يصبح بَعدُ مؤهلًا تأهيلًا كافيًا من الناحية العلمية. ولذلك فإن إنكاره لبعض الأمور التي لا تَتَّفق مع الدين الإسلامي الخالص كان محدودًا في مداه وفي تأثيره على الآخرين[2]. وإدراكًا منه لوجوب إكمال تأهيله العلمي من ناحية، ولعدم تأثير أقواله على ذوي الشأن في بلدته من ناحية ثانية، قَرَّر أن يسافر مرة أخرى لطلب العلم.

وكانت البصرة البلدة التي اتَّجه إليها محمد بن عبدالوهاب بعد إقامته في العُيَينة سنة واحدة تقريبًا منذ عودته إليها من المدينة[3]. وقد درس في البصرة الفقه والحديث على عدد من علمائها. لكن العالم محمدًا المجموعي كان الشيخ الذي لازمه أكثر من غيره. على أنه درس إلى جانب العلمين السابقين قواعد اللغة العربية حتى أتقنها[4]. وفي ذلك ما فيه من منفعة لمن كان يُعِدُّ نفسه ليصبح قائد دعوة، تحتاج إلى من يكتب مُرغِّبًا فيها ومدافعًا عنها.

والبصرة- كما هو معروف- ميناء تجاري تلتقي فيه طوائف مجتمعات مختلفة. ومن المرجح أنه كان فيها كثير من الأمور التي تتعارض مع نظرة رجل

---

(١) انظر عن تأثير السندي على عدد من دعاة الإصلاح، مقال جون فول، الذي ترجمة عنوانه: «**محمد حياة السندي ومحمد بن عبدالوهاب..**»، «**مجلة معهد الدراسات الشرقية والإفريقية**»، لندن ١٩٧٥م، ص٣٢ - ٣٩.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٢٠.

(٣) عبدالرحمن آل الشيخ، ص٧.

(٤) ابن غنَّام، ج١، ص٢٧.

قادم من بلدة صغيرة كالعُيَينة، ومجتمع محافظ كالمجتمع النجدي حينذاك. وكان فيها، أيضًا، كثير من الشيعة. ومن المعروف ما بين هؤلاء وبين السنَّة المحافظين من اختلاف في وجهات النظر في المسائل الدينية. وفي ظِلِّ تلك الظروف بدأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب ينكر ما يعتقد أنه مخالف للحق[١]. وهكذا لم يعد مجرد طالب علم في تلك المدينة، وإنما أصبح داعية يعظ فيُستَمع إليه. ومن الواضح أن جوًّا اجتماعيًّا كَجوِّ البصرة لا بد أن يكون مُؤيدو الشيخ محمد فيه أَقلَّ بكثير من معارضيه. وقد أصبحت المناقشات بينه وبين خصومه حادة ومثيرة. وكان أكثرها حِدَّة وإثارة ما يتعلَّق بالعقيدة وقضية التوحيد والشرك. ونتيجة لذلك رأى المسؤولون هناك أنه مثير للقلاقل، واضطروه إلى مغادرة البصرة[٢].

ومَرَّة أخرى لا تُحَدِّد المصادر الموثوقة طول المدة التي قضاها الشيخ محمد في البصرة. لكن منها ما يفيد بأنها كانت أطول إقامة له خارج وطنه[٣]. وقد مَرَّ بالزبير بعد خروجه من البصرة، لكنه لم يمكث فيها طويلًا[٤].

وكانت الأحساء من المناطق التي زارها الشيخ محمد، وأقام فيها بعض الوقت[٥]. ولَعلَّه استفاد من علمائها في بعض الأمور الشرعية. وقد ناقش عددًا من أولئك العلماء في شؤون التوحيد والعقيدة[٦]. ومن بين هؤلاء عبدالله بن فيروز، ومحمد بن عفالق، وعبدالله بن عبداللطيف[٧].

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧ - ٢٨.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٢١.

(٣) ابن غنَّام، ج١، ص٢٧.

(٤) ابن بشر، ج١، ص٢١.

(٥) ابن غنَّام، ج١، ص٢٦؛ سليمان بن عبدالله، ص١٦.

(٦) ابن غنَّام، ج١، ص٢٦.

(٧) عن ابن فيروز وابن عفالق انظر الشيخ البسام، ج٣، ص٨١٨ - ٨٢١، ٨٨٢ - ٨٨٦.

وقد عاد الشيخ محمد في نهاية المطاف إلى نجد منهيًا بذلك، رحلاته العلمية. وكان أبوه عبدالوهاب قد عُزِل عن قضاء العُيَينة سنة ١١٣٩هـ، فانتقل إلى حُرَيملاء، حيث أصبح قاضيًا لها[١]، وبذلك اتَّجه الشيخ محمد إلى هذه البلدة ليلتحق بأبيه وأسرته[٢].

والمصادر الموثوقة المقرَّبة من الشيخ محمد لا تذكر أن رحلاته العلمية خارج نجد تجاوزت ثلاثة أمكنة: الحجاز، والأحساء، والبصرة[٣]. لكن بعض المصادر أشارت إلى أنه سافر إلى بلدان أخرى في العراق والشام وفارس[٤]. غير أن النتيجة التي يصل إليها الباحث من خلال مقارنة جميع المصادر هي الأخذ برواية المؤرخين المؤيِّدين للشيخ محمد المقرَّبين منه. وذلك لسببين: أحدهما: أنهم أدرى بتفاصيل حياته من غيرهم، وثانيهما: أنهم حرصوا كل الحرص على تدوين فضائله. ومن المعروف أن السفر في طلب العلم فضيلة. ولو سافر الشيخ محمد إلى بلدان غير التي ذكروها، لما تَردَّدوا في تدوين ذلك وتفصيله، إظهارًا لفضله.

٤- بداية دعوته في نجد وأهدافها:

من المرجح أن وصول الشيخ محمد إلى حُرَيملاء بعد عودته من أسفاره خارج نجد كان بين سنتي ١١٤٤هـ و١١٤٩هـ[٥]. ومن الواضح أنه كان حينذاك

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢١، وج٢، ص٢٣٨.

(٢) ابن غنَّام، ج١، ص٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٦ - ٢٨؛ ابن بشر، ج١، ص٢٠ - ٢١؛ سليمان بن عبدالله، ص١٦؛ عبدالرحمن بن حسن، **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، جمع عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الثانية، الرياض، ١٣٨٨هـ، ج٩، ص٢١٦.

(٤) من هؤلاء نيبور في كتابه، الذي ترجمة عنوانه: **رحلات عبر بلاد العرب وأقطار أخرى في الشرق**، الذي ترجمه إلى الإنجليزية هيرون، ادنبرا، ١٧٩٢م، ج٢، ص١٣١، **ومؤلف لمع الشهاب...**، ص٥ - ١٦.

(٥) انظر مناقشة المسألة في كتاب **الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حياته، وفكره**، لعبدالله العثيمين، ط٢، دار العلوم بالرياض، ١٤١٢هـ، ص٣٩ - ٤٠.

في مستوى علمي جيد يُؤهِّله لبداية دعوته الإصلاحية بنجاح. وحينما بدأ تلك الدعوة انقسم الناس حولها إلى فريقين: مُؤيِّد ومعارض. وكان المؤيِّدون لها أَقلَّ من المعارضين بكثير. لكنهم كانوا مُتحمِّسين للسير مع الداعية في طريق الإصلاح مهما كانت النتائج[١]. وممن اختلف مع الشيخ محمد في تلك الفترة أبوه عبدالوهاب[٢]. لكن الخلاف بينهما كان، فيما يبدو، حول أسلوب الدعوة لا جوهرها. وقد أَلَّف الشيخ محمد وهو في **حُرَيملاء كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**[٣]. ولقي هذا الكتاب رواجًا كبيرًا، وانتشرت نسخ منه في مختلف بلدان المنطقة[٤].

ولَعلَّ أَهمَّ ما تهدف إليه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هو إفراد الله سبحانه بالعبادة، ومحاربة الشرك بجميع أنواعه، وسَدُّ الذرائع المؤدِّية إليه. ومن أبرز أهدافها، أيضًا، القضاء على البدع في الدين، وتطبيق الشريعة الإسلامية في كل أمور الحياة؛ وذلك في ظِلِّ دولة قادرة على تحقيق تلك الأهداف[٥].

وبعد وفاة عبدالوهاب بن سليمان، سنة ١١٥٣هـ، ازداد إنكار ابنه الشيخ محمد لما يراه باطلًا، وانتشرت دعوته أكثر من ذي قبل في المنطقة كلها، حتى بدأ بعض أنصاره يفدون إليه، وبدأ عدد من الأمراء يصغون لما ينادي به. وممن قبل دعوته حينذاك أمير العُيَينة عثمان بن مُعمَّر[٦].

---

(١) ابن غنَّام، ج١، ص٢٩.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٢١.

(٣) طبع أول مرَّة ضمن مجموعة التوحيد في دلهي، ١٣٠٨هـ، ثم تكرَّرت طباعته. ولأهميِّته من ناحية، واختصاره من ناحية أخرى، كثرت الشروح له والتعليقات عليه.

(٤) عبدالرحمن آل الشيخ، ص٩.

(٥) الفصل الخامس من كتاب العثيمين، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب: حياته وفكره**، يناقش مبادئ الدعوة، ص١٠١ - ١٣٩.

(٦) ابن غنَّام، ج١، ص٣٠.

٥- انتقاله إلى العُيَينة وبداية تطبيق الدعوة:

من المُرجَّح صحة القصة التي رواها ابن بشر عن محاولة الاعتداء على الشيخ محمد في حُرَيملاء من قِبَل أناس عزم ذلك الشيخ على تأديبهم لمزاولتهم أعمالًا قبيحة[١]. لكن من المُرجَّح، أيضًا، أن تلك المحاولة لم تكن السبب الأكبر في انتقاله من البلدة المذكورة إلى العُيَينة. بل كان السبب الجوهري لذلك الانتقال هو قبول عثمان بن معمَّر للدعوة، كما ذُكِر سابقًا. ومن الأسباب الأخرى أن العُيَينة كانت أقوى من حُرَيملاء المنقسمة حينذاك إلى فئتين، لا تعترف إحداهما بزعامة الثانية على البلدة[٢]، وأن العُيَينة مسقط رأس الشيخ ومكان نشأته الأولى، وفي ذلك ما فيه من ميله النفسي إليها. وكان انتقاله إلى هذه البلدة سنة ١١٥٤هـ. وحين وصل إليها رَحَّب به أميرها عثمان كل الترحيب، وأكرمه غاية الإكرام. وأمر أتباعه أن يُنفِّذوا ما أمرهم به[٣]. ثم تزوج الشيخ عمة الأمير عثمان، الجوهرة بنت عبدالله بن مُعمَّر، التي كانت لها مكانة رفيعة في الحياة العامة[٤]. وازدادت بذلك أواصر التقارب بين الأمير والشيخ وبين أسرة كلٍّ منهما.

وهكذا اجتمع الجو المناسب مع ما كان للشيخ محمد من سمعة طيبة وتأهيل جيد، فأصبحت فرص النجاح لدعوته كبيرة جدًّا، وقد ازداد عدد المنضمين إلى تلك الدعوة من أهل العُيَينة وما حولها بسرعة[٥]، وأصبح هو في وضع يتيح له أن يبدأ بتطبيق ما سبق أن نادى به من آراء. فقام هو وأنصاره بقطع الأشجار التي يَتوسَّل بها الجهال، وهدم القبة المبنية على قبر في الجُبَيلة، يظن كثير من الناس

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٢.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٣) ابن غنَّام، ج١، ص٣٠.

(٤) ابن بشر، ج١، ص١٢٢. وانظر عن دورها في الحياة العامة المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٧.

(٥) ابن غنَّام، ج١، ص٣٠.

أنه قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه. وكان بعض الجهلة من العامة يَتبرَّكون بتلك القبة، ويُقدِّمون النذور إليها[1].

ومن الأمور المهمَّة التي قام بها الشيخ محمد في العُيَينة معاقبة من لا يؤدُّون الصلاة جماعة في المساجد، وإرسال الدعاة إلى البلدان النجدية القريبة من تلك البلدة لنشر دعوته[2]. لكن من أعظم الأعمال التي قام بها، فهَزَّت المجتمع، رجمه لامرأة توافرت لديه شروط رجمها[3]. وكانت تلك الأعمال بمثابة إعلان بداية دعوته عمليًّا، ودخولها إلى مرحلة جديدة مُهمَّة.

٦- ردود الفعل لتطبيق الدعوة:

سبق أن ذُكِر انقسام الناس حول دعوة الشيخ محمد إلى مُؤيِّدين ومعارضين منذ بداية تلك الدعوة في بلدة حُرَيملاء. وكان في طليعة هؤلاء وأولئك العلماء المحلِّيون. ولَعلَّ أَهمَّ سبب للتأييد أو المعارضة الاقتناع الشخصي بصحة مبادئ الدعوة أو عدم صحتها. لكن حينما دخلت الدعوة مرحلة التطبيق ازداد نشاط معارضيها، وانضم إليهم عدد قليل ممن سبق أن اعترفوا بصحتها[4]. ويبدو أن هؤلاء كانوا غير معارضين للخطوط العريضة، التي أَكَّدها الشيخ محمد للتوحيد والشرك. فلما طَبَّق ما كان يدعو إليه اختلفوا معه. ولَعلَّ من أسباب

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها: ابن بشر، ج١، ص٢٢ - ٢٣.

(٢) ابن غنَّام، ج١، ص٥٥ و١٤٠ - ١٤١.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٢؛ ابن بشر، ج١، ص٢٣، وقد أوضح ابن غنَّام أهمية تلك الحادثة، وأفاض في ذكر ردود الفعل نتيجة لها، كما أشار إلى ما حدث من نقاش حولها بين أنصار الدعوة وخصومها على أن مجيء المرأة إلى الشيخ واعترافها المتكرر طوعًا، مع احتمال معرفتها بما قد ينتج عن ذلك من عقوبة، من الأمور التي تدل على عمق أثر الدعوة في نفوس المجتمع الجديد. ذلك أنه من المتوقع دائمًا أن يقع انحراف بين أفراد من المجتمعات. لكن أن يصل الندم بمن انحرف إلى هذا المستوى أمر لافت للنظر.

(٤) ابن غنَّام، ج١، ص١١٤ وص١٤٠.

معارضة بعض المعارضين إنكار الشيخ محمد على من اعتاد أن يأخذ أُجورًا من المتخاصمين مقابل الفصل بينهم، وعَدَّه ذلك رشوة[١]. على أن من تلك الأسباب خوف بعض العلماء من هبوط مكانتهم الاجتماعية. فقد رأوا أن الناس سوف يسألون: هل كان هؤلاء العلماء يعرفون خطأ ما تزاوله العامة من أمور أنكرها الشيخ ولم يُبيِّنوه لهم، أو كانوا لا يعرفون حكم هذه الأمور؟ فإن كانوا يعرفون ذلك وأخفوه فهم غير مخلصين. وإن كانوا لا يعرفونه مع أَهميِّته فهم جهلاء بالدين. وكلا الأمرين سيجعل الناس يحتقرونهم اجتماعيًّا. وقد فَسَّر الشيخ محمد ذلك بالبَغْي[٢].

وكان في طليعة المعارضين من علماء نجد للشيخ محمد في تلك الفترة سليمان بن سُحَيم من الرياض، وعبدالله المُوَيس من حَرمة[٣]. لكن معارضة من عارض الدعوة من العلماء النجديين لم تستطع أن توقف مسيرتها أو تَحدَّ من تَقدُّمها. وإدراكًا من أولئك المعارضين لضعف موقفهم بذلوا نشاطًا كبيرًا لِيُؤلِّبوا العلماء من خارج نجد ضد تلك الدعوة. وكان من ذلك النشاط إرسال سليمان بن سحيم رسالة إلى علماء البصرة والأحساء هاجم فيها الشيخ محمدًا، وعَدَّد مآخذه عليه، واستنهض هممهم للرد على دعوته[٤]. وقد لقيت تلك الرسالة آذانًا صاغية لدى بعض علماء البلدتين المذكورتين، وكتبوا ردودًا قامت المعارضة النجدية بترويجها بين السكان[٥]. لكن جميع محاولات العلماء المعارضين للدعوة من داخل نجد ومن خارجها فشلت فشلاً ذريعًا فيما هدفت إليه.

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١١٤.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٣) انظر تَرْجَمَتي هذين الرجلين لدى الشيخ البسام، ج١، ص٤٢٢ - ٤٢٣ وج٢، ص٦٠٤ - ٦٠٦.

(٤) نص هذه الرسالة لدى ابن غنَّام، ج١، ص١١٠ - ١١٣.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٦.

وحين أدرك المعارضون لدعوة الشيخ محمد فشل محاولاتهم الجدلية رأوا أن يعمدوا إلى استعمال أسلوب آخر للقضاء عليه. فاتَّجهوا إلى الأمراء، وأغروهم بوضع حَدٍّ لها لئلا يستفحل خطرها - على حَدِّ زعمهم - مُحذِّرين بأن من أهدافها إثارة العامة على الخاصة والزعماء[1]. وكان أَهمَّ أمير اتَّجه إليه المعارضون سليمان بن محمد آل حُمَيد، زعيم بني خالد وحاكم الأحساء. ذلك أن الأحساء، بموقعها وبموانئها، كانت مُهمَّة من الناحية الاقتصادية لسكان نجد بعامة ولسكان العارض بخاصة. وكانت العلاقات بين الزعامة الخالدية وآل مُعمَّر قوية جدًّا. وكان سليمان بن محمد بالذات يدفع معونة مالية كل سنة إلى الأمير عثمان بن مُعمَّر[2]. وكان لعثمان- إضافة إلى ذلك- مزرعة في الأحساء تدرُّ عليه دخلًا لا بأس به[3]. وكل هذه أمور يمكن أن تستعمل في الضغط على أمير العُيَينةِ، ليتخلَّى عن تأييده للشيخ محمد ودعوته.

وقد نجح المعارضون للدعوة من العلماء في إقناع الزعيم الخالدي برأيهم، وكسبوه إلى جانبهم. فكتب ذلك الزعيم رسالة إلى عثمان بن مُعمَّر يطلب منه أن يَتخلَّص من الشيخ محمد. وقد هَدَّده- إن هو لم يقم بما طلب منه- بقطع معونته الاقتصادية، ومنعه من استلام دخل مرزعته، وعدم السماح لتجار بلدته بدخول الأحساء واستخدام موانئها[4].

وإدراكًا من عثمان بن مُعمَّر لخطورة ما هَدَّده به الزعيم الخالدي، وخوفًا من اتِّخاذ إجراءات عسكرية ضده، أخبر الشيخ محمدًا بأن عليه أن يترك

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٣.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٢٣.

(٣) **لمع الشهاب**، ص٣١.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

بلدته[1]. ولم تنجح محاولات الشيخ في إقناعه بالصمود أمام تهديدات الحاكم الأحسائي ورفض أوامره[2]. وبات على الشيخ محمد في نهاية الأمر أن يغادر البلدة التي شهدت بداية تطبيق دعوته وازدياد شهرته داخل نجد وخارجها.

*****

(١) ابن غنَّام، ج٢، ص٣؛ ابن بشر، ج١، ص٢٣.

(٢) المصدر الأخير نفسه، الصفحة ذاتها.

قيام الدولة السعودية الأولى
وتوحيد نجد

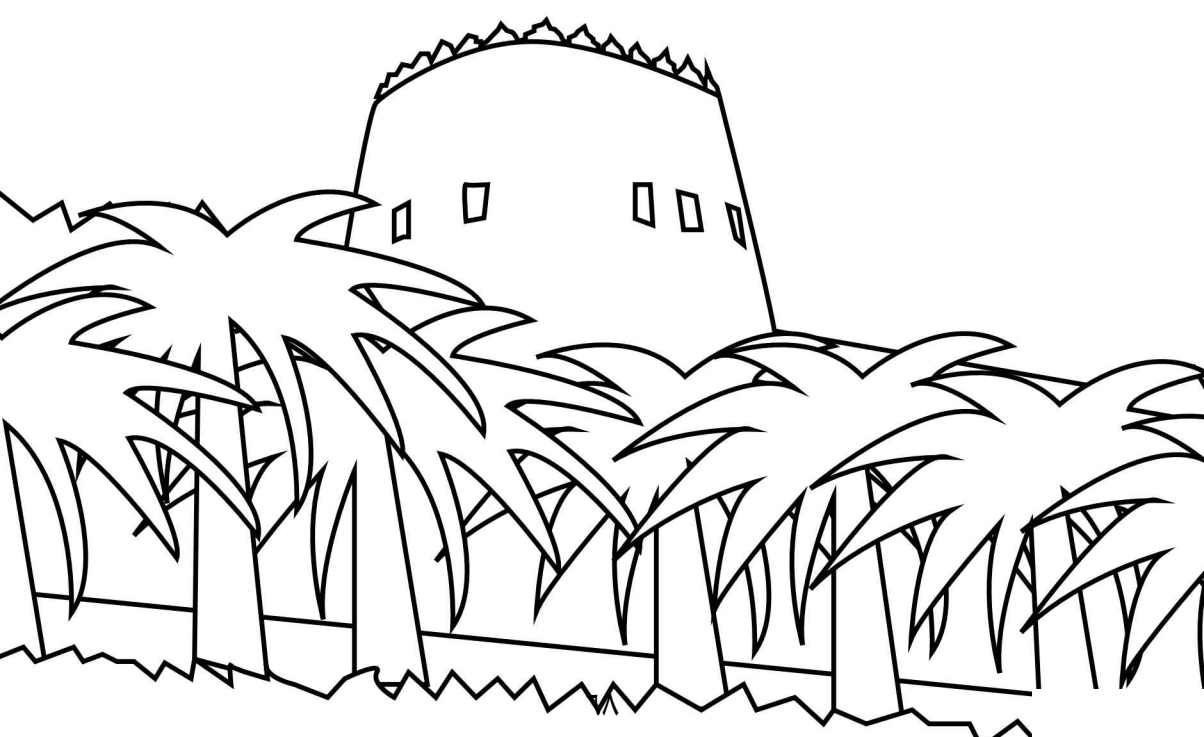

١ - آل سعود قبل قيام دولتهم:

تنسب بعض المصادر آل سعود إلى قبيلة عنزة المشهورة بهذا الاسم في الوقت الحاضر[١]. وهذا هو الشائع لدى كثير من الناس. غير أن ابن بشر، في إحدى روايتيه، وابن عيسى يذكران أنهم من بني حنيفة[٢]. ومعروف أن عنزة وبني حنيفة من وائل، ولذلك فإن آل سعود وائليون على أَيِّ حال. وكانت الأسرة السعودية قبل تَسمِّيها بهذا الاسم تُدعى آل مُقْرِن نسبة إلى مقرن بن مرخان، جد محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى.

وكان أحد أجداد آل سعود، مانع المُرَيدي، مقيمًا في مكان يقال له: الدِّرْعِيَّة قرب بلدة القطيف في المنطقة الشرقية من جزيرة العرب؛ وذلك قبيل منتصف القرن التاسع الهجري[٣]. ولا تعطي المصادر الموثوقة تفصيلات عن أسرة مانع قبل ذلك التاريخ. ومن المعروف أن فروعًا من بني حنيفة قد انتقلت من واديها إلى شرقي الجزيرة العربية في فترات تاريخية مختلفة. لكن من غير المعروف متى حدث انتقال أسلاف مانع المريدي إلى هناك.

وعلى أَيِّ حال فإن مانعًا المريدي كان له قريب يُسمَّى ابن دِرْع. وكان هذا القريب يسكن في جهة مدينة الرياض الحالية، التي كانت تُسمَّى حَجْر اليمامة. وكان له نفوذ في تلك الجهة. ونتيجة لمراسلات تمَّت بينهما قدم مانع وأقاربه إلى

---

(١) من هؤلاء بوركهارت، وترجمة عنوان كتابه: **رحلات في جزيرة العرب**، لندن ١٨٢٩م، ص٤٦١ وفؤاد حمزة، ص١٧٤ هامش ٢.

(٢) ابن بشر، ج٢، ص١٥؛ ابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث...**، ص٣٦، ويذكر العجلاني أن الأمير عبدالله بن عبدالرحمن، أخا الملك عبدالعزيز، والمشهود له بمعرفته بالأنساب، يقول: إن آل سعود حنفيون، انظر كتابه: **تاريخ البلاد العربية السعودية**، دار الكتاب العربي، دون ذكر تاريخ الطباعة، ج١، ص٧٧.

(٣) انظر عن هذا المكان محمد الفهد العيسى «**مدينة الدرعية**».. **العرب**، العدد الرابع، ١٣٨٦هـ، ص٣٢٥.

ابن دِرْع سنة ٨٥٠هـ[١]. ومنحه الأخير موضعي غَصِيبة والمُلَيبيد الذين أُنشئت عليهما بلدة الدِّرعيَّة عاصمة الدولة السعودية الأولى.

ولا تشير المصادر إلى السبب الذي أَدَّى إلى المراسلات بين مانع وابن دِرْع، نتج عنها انتقال الأول إلى منطقة الثاني. ومن المحتمل أن مانعًا كان يواجه حينذاك مشكلات سياسية أو اقتصادية لم يستطع التغلُّب عليها. ومعروف أن الدولة الجبرية قد ثَبَّتت أقدامها في شرقي الجزيرة العربية في تلك الفترة، ولَعلَّ مشكلات مانع المحتمل وقوعها كانت من أعمال الدولة المذكورة. واستقدام ابن دِرْع لقريبه ربما كان الهدف منه نجدته من ناحية، والتقوِّي به وبأتباعه من ناحية أخرى.

وقد أطلق مانع المريدي وأتباعه على مستقرهم الجديد اسم الدِّرْعيَّة، إحياء لاسم بلدتهم القديمة التي هاجروا منها، أو نسبة لابن دِرْع الذي منحهم ذلك المستقر، اعترافًا بفضله وتخليدًا لذكره.

والمتأمل في تاريخ الأسرة السعودية منذ استقرار جدها مانع في الدِّرْعيَّة حتى تَولَّى محمد بن سعود إمارة هذه البلدة- أي حوالي ثمانين ومئتي عام- يرى أنه مشابه، بصفة عامة، لتاريخ كثير من الأسر التي كانت تحكم بلدان نجد في تلك الفترة. وكانت هذه الأسرة ضعيفة، ثم قويت وتوسع نفوذها على

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص٢٩؛ ابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث**، ص٣٦. وقد ذكر ابن بشر أن مانعًا هو الذي انتقل من شرقي الجزيرة العربية إلى العارض. وهو في ذلك يتفق مع الفاخري ص٦٠ وابن عيسى. لكنه يخلط نوعًا في موضع آخر من كتابه، إذ يقول (ج٢، ص١٨٩): إن الذي قدم إلى العارض ربيعة بن مانع، ثم يذكر (ج٢، ص١٩٠): أن مانعًا هو الذي انتقل، وهذا هو الصحيح. على أن ابن عيسى يذكر أن مانعًا كان مصحوبًا بابنه ربيعة. ويدل ذكر ربيعة بجانب والده على أنه كان حينذاك شخصية قوية. وما جرى على يديه من أحداث فيما بعد يؤيِّد ذلك.

حساب جيرانها من آل يزيد الحنفيين. وكغيرها من السر قام بين أفرادها صراع حول السلطة حتى ضعف أمرها، وانتزع إمارة البلدة منها رجل يقال له: سلطان بن حمد القِبْس؛ وذلك سنة ١١٠٧هـ.

على أن إمارة الدِّرْعية عادت بالقوة إلى أصحابها السابقين بعد ثلاثة عشر عامًا من استيلاء القِبْس عليها. وأصبح موسى بن ربيعة بن وطبان الأمير على البلدة. لكنه خُلِع عن الإمارة بعد فترة، وتَولَّاها سعود بن محمد بن مقرن حتى توفي سنة ١١٣٧هـ. وبعد وفاته تَأمَّر زيد بن مرخان في الدرعية، لكن محمد بن سعود كان له تأثير قَويٌّ جدًّا على سير الأحداث في البلدة.

وفي عام ١١٣٨هـ حَلَّ وباء في العُيَينة. وتوفي بسبب ذلك الوباء أميرها المشهور عبدالله بن مُعمَّر بعد أن حكمها حوالي أربعين عامًا. وتوفي مع الأمير عبدالله عدد كبير من رجال تلك البلدة. ويبدو أن زيد بن مرخان حاول الاستفادة من الظروف التي حَلَّت بالعُيَينة. فبدأ يُخطِّط مع فريق من قبيلة سُبَيع لمهاجمتها، وبخاصة أنها كانت تحتضن أحد خصومه؛ وهو موسى بن ربيعة. لكن الأمير الجديد، محمد بن مُعمَّر، عمل حيلة أنقذته من الهجوم المخطط ضده؛ إذ دعا زيد بن مرخان للتفاوض واعدًا إياه أن يستجيب لما أراده منه. وحينما قدم زيد إليه مع عدد من رجال بلدته غدر به وقتله. وكان ذلك سنة ١١٣٩هـ. وعاد من كانوا مع زيد إلى الدِّرْعيَّة بقيادة محمد بن سعود، الذي أصبح أميرًا لهذه البلدة منذ ذلك التاريخ[1]. وفي عهد محمد بن سعود حدث ما غَيَّر وجه تاريخ المنطقة كلها.

---

(١) انظر عن تفصيلات الأحداث السابقة، ابن بشر، ج٢، ص٢١٠ - ٢٢٢، ٢٢٨ - ٢٢٩ و٢٣٧ - ٢١٦ و٢٣٦.

٢- قيام الدولة السعودية:

عندما أصبح ضروريًّا أن يترك الشيخ محمد بن عبدالوهاب العُيَينة كانت الدِّرْعيَّة أنسب مكان يمكن أن يتوجه إليه. فقد كانت قوتها آخذة في الازدياد. ولعل من أَدلَّة ذلك أنها تَمكَّنت من الصمود أمام هجوم قائد بني خالد عليها سنة ١١٣٣هـ. وأنها كانت في مركز قوي جعلها تُفكِّر في الهجوم على العُيَينة سنة ١١٣٩هـ[١]، وأن دهام بن دَوَّاس، أمير الرياض، لم يستطع أن يسيطر على مشكلاته الداخلية سنة ١١٥٢هـ إلا بمساعدتها[٢]. وإضافة إلى ذلك فقد شهدت استقرارًا داخليًّا منذ تَولِّي محمد بن سعود عليها سنة ١١٣٩هـ[٣]. وكانت إمارتها ذات علاقة سيئة مع الزعامة الخالدية التي كانت وراء إخراج الشيخ محمد بن عبدالوهاب من العُيَينة. ولهذا كان من المتوقع أن تُرحِّب بمن يشاركها في سوء العلاقة مع تلك الزعامة. على أن ما هو أهم من ذلك كله أن دعوة الشيخ محمد سبق أن لقيت قبولًا حسنًا لدى كبار الدرعية ومشهوريها. وفي مُقدِّمة هؤلاء أخوا الأمير، مشاري وثُنيَّان، وابنه عبدالعزيز[٤].

وخرج الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأسرته من العُيَينة ومعه فرقة من حرس الأمير عثمان ابن مُعمَّر لحمايته[٥]. وحينما وصل إلى الدِّرْعيَّة نزل ضيفًا

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢٣ و٢٣٧.

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص١٥؛ ابن بشر، ج١، ص٣٠ وج٢ ص٢٤١.

(٣) فلم تسجل المصادر أيَّ حركة ضد ذلك الأمير خلال تلك الفترة.

(٤) ابن غنَّام، ج١، ص٣١ و٢٢٢.

(٥) ابن بشر، ج١، ص٢٣. وقد حذف ابن بشر في مبيضة كتابه التي تمَّت بموجبها هذه الطبعة ما سبق أن ذكر في مسودته التي طبعت طبقًا لها بعض طبعات الكتاب من أمر عثمان بن معمَّر قائد رجاله بقتل الشيخ. وقد جاء هذا الحذف نتيجة تبينه عدم صحة تلك الرواية. وإذا كان المؤلف نفسه قد حذف الرواية المذكورة فإنه يتَّضح أن خروج الشيخ من العُيَينة ووصوله إلى الدِّرعية قد حدثا بشكل طبيعي.

عند آل سويلم، الذين كانوا من كبار البلدة ومن المُتحمِّسين للدعوة[1]. ثم أتى إليه الأمير محمد بن سعود برفقة أخويه مشاري وثُنَيَّان، ورَحَّب به غاية الترحيب، ووعده الحماية والتأييد[2].

وبينما يَتَّفق كل من ابن غنَّام وابن بشر على أن الأمير محمد بن سعود اشترط على الشيخ محمد- مقابل تأييده والوقوف مع دعوته- أَلَّا يغادر الدرعية مستقبلًا، يضيف ابن بشر إلى ذلك شرطًا آخر للأمير، وهو أَلَّا يعارضه الشيخ فيما كان يأخذه من سكان البلدة من ضريبة سنوية. وكانت إجابة الشيخ الموافقة على الشرط الأول. أما بالنسبة للشرط الثاني، فقد قال: إني أرجو الله أن يُعوِّضك من الغنائم ما هو خير مما كنت تأخذه من أولئك السكان[3]. وإذا كان ما أضافه ابن بشر صحيحًا، فإنه من الواضح أن الشيخ قارن بين المصلحة العامة للدعوة في اعتمادها على حماية الأمير محمد ووقوفه معها مسألة جزئية، كان واثقًا كل الثقة من حَلِّها بسهولة في المستقبل القريب. فكان أن أجاب بما أجاب به.

ومهما اختلفت تفاصيل الروايات حول الطريقة التي تَمَّ بها اللقاء بين الشيخ محمدِ بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود، وما دار بينهما في ذلك

---

(١) ابن غنَّام، ج٢، ص٣؛ ابن بشر، ج١، ص٢٣ - ٢٤.

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص٣. لكن ابن بشر (ج١، ص٢٤) انفرد بالإشارة إلى خوف آل سويلم من نتائج حلول الشيخ لديهم، وزيارة بعض كبار أهل الدرعية له سرًّا، وإخبارهم زوجة الأمير بالقضية. وإقناعها زوجها بأن يستقبله استقبالاً حسنًا، وقد أوضح العجلاني ضعف هذه الرواية، ورجح أن يكون انتقال الشيخ إلى الدرعية بدعوة من الأمير محمد بن سعود، وأيَّد رأيه هذا بما نقله عن المؤرخ الفرنسي مانجان من دعوة الأمير للشيخ. انظر: **تاريخ البلاد العربية السعودية**، ج١، ص٩٠ - ٩١. والواقع أن هناك أوراقًا بخط المؤرخ النجدي ابن لعبون ذكر فيها أن الشيخ محمدًا انتقل إلى الدرعية بدعوة من الأمير محمد بن سعود.

(٣) ابن بشر، ج١، ٢٤ - ٢٥.

اللقاء، فإنها تَتَّفق على أنهما تبايعا على أن يعملا في سبيل الدعوة الإصلاحية ونشرها بكل ما يستطيعان من الوسائل. وكان ذلك سنة ١١٥٧هـ (١٧٤٤م)[١]. وعلى هذا الأساس قامت دولة جديدة في المنطقة هي الدولة السعودية الأولى.

ويشير بعض المؤلفين إلى أن الشيخ والأمير اتَّفقا، أيضًا على أن تكون الأمور السياسية في الدولة الجديدة لمحمد بن سعود وذريته. وأن تكون الشؤون الدينية لمحمد بن عبدالوهاب ونسله[٢]. ويبدو أن هؤلاء استنتجوا ما أشاروا إليه من سير الأحداث فيما بعد. والواقع أنه كان طبيعيًّا أن تستمر القيادة السياسية لآل سعود، لأنهم كانوا أمراء الدرعية- قاعدة الدولة الجديدة- قبل المبايعة التي قامت على أساسها هذه الدولة. ووقوفهم مع الشيخ ودعوته قَوَّى مركزهم وحَتَّم استمرار قيادتهم. وكان من أتى بعد محمد بن سعود منهم إلى القيادة مُؤهَّلًا لتولِّيها كل التأهيل. وكان طبيعيًّا، أيضًا، أن تكون إدارة الشؤون الدينية في أيدي أبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب بعد وفاته؛ لكفاءتهم العلمية من ناحية، ولمكانة أبيهم في قيادة الدعوة وإسهامه في تصريف أمور دولتها من ناحية أخرى. وعلى هذا فما حدث من تَولِّي أبناء الزعيمين مستقبلًا لما تَولَّوه كان نتيجة طبيعية، ولم يكن -على الأرجح- بناء على اتفاق سابق.

٣- الدولة قبل الصراع المُسلَّح مع خصومها:

بعد المبايعة التي تَمَّت بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود، والتي نشأ عنها قيام الدولة السعودية الأولى، واصل الشيخ جهوده في سبيل نشر دعوته. وكانت تلك الدعوة قد انتشرت بين سكان الدِّرعيَّة- كما سبق أن ذُكِر- قبل انتقاله إليه. بل إن عددًا من كبارها قد قاموا بأعمال

---

(١) ابن غنَّام، ص٤، ابن بشر، ج١، ص٢٥.

(٢) **لمع الشهاب**، ص٢٦ و٢٧. ويبدو أن من ذكروا ذلك، فيما بعد، قد نقلوا عن هذا المصدر.

جليلة أزالوا بها ما حول بلدتهم من أشجار يتوسَّل بها الجهال[1]. لكن انتقال الشيخ محمد إلى الدرعية ووقوف أميرها معه زادا من فرص إيضاح حقيقة دعوته لبقية سكانها وتعليمهم مبادئها، وقد هَبَّ أنصاره وتلاميذه لمساعدته في مَهمَّته التعليمية. وكان في مُقدِّمة هؤلاء إخوة الأمير محمد بن سعود الثلاثة: مشاري، وثُنيَّان، وفرحان، والشيخان أحمد بن سويلم، وعيسى بن قاسم[2]. ولم تمض مدة طويلة على استقراره في وطنه الجديد إلا وقد تَعلَّم السكان أصول دينهم التي تجب عليهم معرفتها[3].

وما إن استقر الشيخ محمد في الدِّرْعيَّة، وعلم أنصاره في المنطقة أنه محمي من قِبَل أميرها محمد بن سعود، حتى أخذوا يفدون إليه. ومن هؤلاء الأنصار من استقر عنده ولم يعد إلى بلده. ومنهم من تركوا بلدانهم نتيجة لما كانوا يلاقونه من مضايقة على أيدي زعمائهم، الذين لم يُؤيِّدوا الدعوة، أو لخوفهم من وقوع مضايقة لهم من أولئك الزعماء. لكن من المحتمل أن استقرار بعض أنصار الشيخ في الدِّرْعيَّة كان سببه رغبتهم في أن يبقوا قربه، ليستفيدوا من علمه، ويساعدوه في نشر الدعوة.

كان أولئك الوافدون من طبقات اجتماعية مختلفة، فمنهم من كانوا من أسر حاكمة؛ مثل أناس من آل مُعمَّر[4]. وربما كانت الحالة الاقتصادية لهؤلاء حسنة. لكن أكثر الوافدين كانوا من الفقراء الذين قال عنهم ابن بشر: إنهم كانوا يعملون ليلًا لِيتفرَّغوا لحضور دروس الشيخ نهارًا[5]. وسواء كان تعليل هذا

(١) ابن غنَّام، ج١، ص٣١.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٤.

(٣) وكان من وسائله للوصول إلى ذلك تأليف رسالة الأصول الثلاثة، وتعليم الناس إيَّاها. انظر ابن بشر، ج١، ص٢٦.

(٤) ابن غنَّام، ج٢، ص٤؛ ابن بشر، ج١، ص٢٥.

(٥) المصدر الأخير نفسه، الصفحة ذاتها.

المؤرخ صحيحًا أو لم يكن، فإنه ما من شك بأن المجتمع الجديد كان حريصًا على التعلم. وإذا كان بعض المحتاجين من الوافدين قد وجدوا أعمالًا مهما كانت شاقة، فإن بعضهم الآخر لم يجدوا أعمالًا على الإطلاق. وقد شعر الشيخ بالعطف عليهم، والمسؤولية تجاههم. فكان يستلف من القادرين ليساعد أولئك المحتاجين[1].

ولم تكن الأمور السابقة تجري في منأى عن علن سكان المنطقة؛ قادة وأتباعًا. وحين رأى الأمير عثمان بن مُعمَّر ازدياد المنتقلين إلى الدِّرْعيَّة من بلدان نجدية مختلفة، ومن بلدته ذاتها، أدرك أنه قد ارتكب خطأ فادحًا في عدم إبقائه الشيخ محمدًا عنده. وأن حكم آل سعود سوف يقوى بدرجة تجعل مركزه ثانويًّا في المنطقة. وفي محاولة لعلاج الموقف ترأس وفدًا من كبار قومه، وقدم إلى الدِّرْعيَّة. وعندما قابل الشيخ محمدًا طلب منه أن يعود إلى العُيَينة، مؤكدًا له أنه سيحميه وينصره. لكن الشيخ أخبره بأن ذلك الأمر في يد الأمير محمد بن سعود. وكما كان متوقعًا رفض هذا الأمير طلب عثمان[2]. وذلك لاقتناعه أكثر فأكثر بصحة الدعوة، ولبعد نظره ومعرفته بنتائج وجود الشيخ في بلدته.

وفي أثناء ذلك كان الشيخ محمد يكاتب العلماء ورؤساء البلدان والقبائل في نجد، لينضموا إلى الدولة الجديدة التي قامت على أساس دعوته. وقد أثمرت الجهود المبذولة في هذا الشأن، فانضم أمراء بعض البلدان إليها طائعين مختارين. ومن هؤلاء أمراء العُيَينة وحُرَيملاء ومنفوحة[3]. ومن الواضح أن العامل الديني كان مُهمًّا في تحديد مواقف الذين أَيَّدوا الانضمام أو الذين عارضوه. فمن

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧.

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص٤، ٦ و٨ – ٩؛ ابن بشر، ج١، ص٢٥، ٢٨، ٣١، ٣٢.

(٣) ابن غنَّام، ج٢، ص٦.

المؤيِّدين من كانوا مقتنعين بصحة دعوة الشيخ محمد. وبما أن الدولة الجديدة قائمة على أساس تلك الدعوة، فإنهم اختاروا الانضمام إليها. ومن المعارضين من لم يكونوا يرون صحة الدعوة المذكورة. ولذلك رفضوا الانضمام إلى دولة أُسست على مبادئها. على أن هناك عوامل سياسية واقتصادية كانت وراء انضمام بعض الأمراء النجدين إلى دولة الدِّرْعيَّة أو رفض الانضمام إليها من قِبَل البعض الآخر.

وعلى أَيِّ حال، فإن القيادة في الدِّرْعيَّة رأت، سنة ١١٥٨هـ، أن الوقت قد حان للانتقال إلى مرحلة جديدة، ينال فيها بالقوة ما لم ينل بطريقة الحجة والإقناع. فقد شهدت السنتان الأوليان من عمر الدولة الجديدة انتصارات سياسية ومعنوية كبيرة. ذلك أن عدة بلدان نجدية قد انضمت إليها. وبهذا تَغيَّر ميزان القوة المحلِّية لصالحها. ولقد شعر أنصارها المتزايدون بالاطمئنان أكثر من ذي قبل. وكان هؤلاء على استعداد لتنفيذ ما تطلبه منهم قيادتهم؛ إذ كانوا يرون أن خصومها أعداء للإسلام. والمنطقة كانت بعيدة عن أَيِّ سلطة مركزية قوية. ولذلك فإنها ميدان فسيح لتحقيق كثير من النجاح العسكري، قبل أن تمتد إليها يد خارجية لتحاول القضاء عليها. وكانت إمكانات الدِّرْعيَّة الاقتصادية محدودة أمام ازدياد الوافدين إليها من أنصار الدعوة الفقراء، الذين شَحَّت فرص العمل أمامهم مما جعل الشيخ محمدًا يستلف أموالًا لمساعدتهم، كما ذُكِر سابقًا. وكان أولئك الوافدون- من ناحية أخرى- مؤهلين لأن يقوموا بدور كبير في تأسيس جيش قوي. وإضافة إلى ذلك كله، فإن ما حدث من مضايقة لبعض أنصار الدعوة كان دافعًا لأن تقوم الدولة الجديدة بمهاجمة الذين ألحقوا أضرارًا بهؤلاء الأنصار. وما دامت الظروف مُهيَّأة لابتداء الصراع المسلَّح بين الدولة الجديدة وخصومها، فكيف بدأ ذلك؟

يقول ابن بشر: «ثم أمر الشيخ بالجهاد... فأول جيش غزا سبع ركائب، فلما ركبوها، وأعجلت بهم النجائب في سيرها سقطوا من أكوارها، لأنهم لم يعتادوا ركوبها، فأغاروا، أظنُّه على بعض الأعراب، ففنموا ورجعوا»[1].

ورواية هذا المؤرخ تفيد أن: الدولة الجديدة هي التي أخذت زمام المبادرة في بدء الحروب ضد خصومها، وكان هذا أمرًا متوقعًا. لكن تفاصيل هذه الرواية تثير سؤالاً لدى الباحث. ذلك أنه من المرجح أن يبذل قادة الدِّرْعيَّة كل ما في وسعهم لإظهار الغزوة الأولى من غزواتهم بمظهر قوي، لتترك أثرًا في نفوس المعارضين لهم. ومن المرجح أيضًا أنه كان في استطاعتهم أن يُجهِّزوا جيشًا أكبر بكثير مما ذُكِر. ومعروف أن الإبل كانت وسيلة المواصلات الأساسية في نجد حينذاك. ومن المستبعد جدًّا أن يكون جميع أفراد ذلك الجيش غير معتادين على ركوبها. والمؤلف يشير إلى عدم معرفته بمن وُجِّهت إليهم تلك الغزوة. وغريب أن تكون الغزوة الأولى -بما لها من أهميَّة تاريخية- مجهولة الهدف.

على أن مؤلفًا مجهولًا قد ذكر أن أول غزوة خرجت من الدرعية كان قوامها ستة عشر رجلًا على ثمان من الإبل، وأن الذين قاموا بها رجعوا دون الحصول على غنائم[2]. ويذكر بوركهارت أن عدد الإبل في الغزوة الأولى كان سبعًا. لكنه لم ينص على عدد الرجال، ولم يشر إلى نتيجة غزوهم[3].

وما ذكره المؤلفون الثلاثة السابقون يَدلُّ على ضعف الغزوة الأولى، وإن اختلفوا في التفاصيل. كما يَدلُّ على أن الدولة الجديدة هي التي بدأت الحرب

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٦ - ٢٧.

(٢) انظر: **كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب**، تحقيق عبدالله العثيمين، دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، ١٤٠٣هـ، ص٤٧ - ٤٨.

(٣) بوركهارت، ملحوظات، ج٢، ص٢٨.

ضد خصومها. واتفاق المصدرين الأخيرين مع ابن بشر يوحي بأن ما ذكره هؤلاء الثلاثة كان شائعًا لدى الأوساط الشعبية، على الأَقلِّ، في وسط جزيرة العرب.

أما ابن غنَّام، تلميذ الشيخ محمد المهتم بذكر مثل هذه الحادثة، فلم يشر إليها. بل ذكر أن دهام بن دَوَّاس، أمير الرياض، هو الذي قام بمهاجمة بلدة منفوحة، التي سبق أن انضمت إلى دولة الدِّرْعيَّة. فأرسلت قيادة هذه الدولة نجدة لمساعدتها ضد من هاجمها. على أن ابن دَوَّاس اضطر، على أَيِّ حال، إلى الانسحاب من منفوحة إلى الرياض بعد أن أصيب بجروح، وبهذه الحادثة بدأت الحروب والغزوات[1].

وهكذا يبدو من رواية ابن غنَّام أن خصوم الدولة الجديدة هم الذين بدأوا بمهاجمتها، وأوقدوا شرارة الحرب ضدها. وما ورد في إحدى رسائل الشيخ محمد يُؤيِّد هذه الرواية إلى حَدٍّ ما؛ إذ قال: «وأما القتال فلم نقاتل أحدًا إلا دون النفس والحُرْمة. وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكنًا»[2].

ولم يكن غريبًا أن يهاجم دهام بن دَوَّاس بلدة منفوحة، ذلك أنه كان يضمر الحقد لزعمائها الذين سبق أن انتزعوا إمارتها من أسرته قبل حوالي عشرين عامًا من هجومه عليها[3]، ثم إن انضمامها إلى الدولة الجديدة جعل

---

(١) ابن غنَّام، ج٢، ص٦.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٥.

(٣) كان أبو دهام بن دوَّاس أميرًا لبلدة منفوحة. وقد وقع بينه وبين أناس من جماعته؛ بينهم المزارِيع، خلاف نتج عنه قتله لعدد منهم. وحين توفي دوَّاس سنة ١١٣٩هـ تولَّى إمارة منفوحة ابنه محمد. لكن زامل بن فارس تزعَّم ثورة ضده، فقتله وأجلى إخوته الباقين عن البلدة. فاستقروا في الرياض. وتزوَّجت أختهم بأميرها، فأنجبت له ابنًا. وفي عام ١١٤٦هـ قتل هذا الأمير على يد أحد أقاربه، فتولَّى مملوك له شؤون البلدة. وبعد ذلك بخمس سنوات تقريبًا هرب المملوك من الرياض. فاستولى دهام بن دوَّاس على مقاليد الأمور فيها بحجة أنه وصيٌّ على ابن أخته، الذي كان لا يزال صغير السن. لكنه لم يلبث أن جعل الإمارة له. انظر تفاصيل ذلك لدى ابن بشر، ج١، ص٢٩، ج٢، ص٢٣٧ و٢٤٠ - ٢٤١.

الرياض بين فَكَّي الرحى لوقوعها بين الدِّرْعيَّة شمالًا ومنفوحة جنوبًا. وأصبح لزامًا عليه أن يَتحرَّك لإزالة الخطر المحدق به. فرأى مهاجمة منفوحة أسهل عليه من مهاجمة الدِّرْعيَّة، لكونها أضعف عسكريًّا، ولقربها من بلدته مسافة.

٤- توحيد نجد:

من الواضح أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رأى منذ بداية دعوته أن مجال نشاطها منطقة نجد. ولَعلَّ من أكبر الأَدلَّة على ذلك ما قاله للأمير عثمان بن مُعمِّر في أَوَّل لقاء بينهما:

«إني لأرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهرك الله، وتملك نجدًا أو أعرابها»[1].

ولقد استغرق توحيد الدولة الجديدة لنجد أكثر من أربعين عامًا. ويبدو أن من أسباب ذلك ما تَعمَّق في نفوس كثير من أمراء بلدان المنطقة وزعماء قبائلها، من نزعة استقلالية مَحلِّية وشعور سلبي تجاه الوحدة الإقليمية.

ويلفت نظر الباحث أن هناك ثلاث مراحل مُتمِّيزة إلى درجة كبيرة في الجهود التي بُذِلت لتوحيد نجد. المرحلة الأولى من بداية الحرب بين الدولة الجديدة وخصومها سنة ١١٥٩هـ، إلى بداية التدُّخل الخالدي ضدها سنة ١١٧٢هـ. والمرحلة الثانية من هذه السنة الأخيرة إلى استيلائها على الرياض سنة ١١٨٧هـ. والمرحلة الثالثة من ذلك التاريخ إلى استكمالها توحيد نجد في مستهل القرن الثالث عشر الهجري.

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٤٣.

أ- المرحلة الأولى:

كانت جهود الدولة في المرحلة الأولى من تَحرُّكها العسكري لتوحيد نجد محدودة من حيث القوة، ومن حيث اتساع المدى الجغرافي لذلك التَّحرُّك. وكان أَشدَّ خصومها حينذاك دهام بن دوَّاس، أمير الرياض؛ إذ حدث بينها وبينه سبع عشرة موقعة. ومع أن زمام المبادرة في أكثر هذه المواقع كان في يدها، إلا أن ذلك الأمير استطاع في أحيان قليلة أن يبدأ بالهجوم، وأن ينقل ميدان المعركة إلى أراضيها[1]. وحينما أدرك ضعف موقفه ونجاح دولة الدرعية في القضاء على مشكلاتها الداخلية، سنة ١١٦٧هـ، اضطر إلى مهادنتها، ودفع غرامة مالية إليها[2]. لكن تلك الهدنة لم تستمر أكثر من سنة واحدة، عاد بعدها دهام إلى نشاطه العسكري.

ومما يلفت النظر أن المرحلة الأولى من مراحل توحيد نجد شهدت انضمام بلدان نجدية إلى الدولة الجديدة بطريقة سلمية؛ مثل ضرماء وشقراء. ولكنها شهدت أيضًا، حدوث مشكلات داخلية متعددة. وكان في مُقدِّمة هذه المشكلات قضية أمير العُيَينة عثمان بن مُعمَّر.

لقد كان عثمان- كما ذُكِر سابقًا- أَوَّل أمير نجدي يناصر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لتدخل مرحلة التطبيق في المجال الديني.

ثم وقع عليه تهديد من زعيم بني خالد جعله يَتخلَّى عن ذلك الشيخ. وحين أدرك خطأه في موقفه تجاهه حاول إعادته إلى بلدته، لكنه فشل في مسعاه. ويبدو أنه رجع من الدِّرْعيَّة إلى العُيَينة، وفي نفسه ما فيها من غيرة سياسية

---

(١) انظر تفاصيل تلك المواقع لدى ابن غنَّام، ج٢، ص٦ - ١٩ و٤٥ - ٥٣، وابن بشر، ج١، ص٣٣ - ٤٨.

(٢) المصدر الأخير نفسه، ج١، ص٤٣.

بالنسبة لآل سعود، وأن تلك الغيرة ظَلَّت تسيطر على مشاعره رغم مسايرته للدولة الجديدة التي أعلن انضمامها إليها. ففي سنة ١١٥٩هـ اشترك مع أهل بلدته مُتزعِّمًا إيَّاهم في الحرب ضد الرياض[١]. لكنه في السنة التالية لم يشترك بنفسه في غزو تلك البلدة[٢]. ومن الواضح أنه أدرك ما قد يَترتَّب على موقفه من تَوتُّر في علاقته مع قيادة الدولة في الدِّرعية، فوفد إليها للتفاوض. ولَعلَّ هذه القيادة شعرت بما يدور في نفسه من طموح، فرأت أن تُحقِّق له ما يرضي طموحه. وأسندت إليه القيادة العامة لجيوش الدولة كلها[٣]. وبدا وكأن الأمور قد حُلَّت حلًّا مُوفَّقًا. لكن الأحداث لم تجر وفق ما كان مؤملًا. فمع أن عثمان أصبح يقود جيوش الدولة ضد خصومها، إلا أنه قام بتصرفات أثارت شكوك قادة تلك الدولة في إخلاصه. ومن هذه التصرفات دعوته دهام بن دوَّاس والعنقري للاجتماع به في العُيَينة دون علم الشيخ بذلك، وعدم إقدامه على دخول ثَرْمداء، التي كان أكثر مقاتليها خارج أسوارها حين وصل إليها غازيًا[٤]. وقد بلغت الشكوك فيه لدى المتحمِّسين للدعوة الإصلاحية من أهل العُيَينة حَدًّا جعلهم يقدمون على قتله سنة ١١٦٣هـ[٥].

على أن المشكلات الداخلية للدولة السعودية الناشئة لم تنته بمقتل عثمان بن مُعمَّر. ذلك أنه لم يمض على مقتله عام إلا وقد تَمرَّد أمير بلدة ضرما على الدولة، وبدأ يحاربها. وفي عام ١١٦٥هـ ثارت بلدة حُرَيملاء. ثم ثارت بلدة منفوحة بعد ذلك بسنة[٦]. وكان من أكبر أسباب ثورة حُرَيملاء، بالذات، ما

(١) ابن غنَّام، ج٢، ص٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٩ - ١٠؛ ابن بشر، ج١، ص٣٤.

(٤) المصدر الأخير نفسه، ج١، ص٣٤ - ٣٦.

(٥) ابن غنَّام، ج٢، ص١٢ - ١٤؛ ابن بشر، ج١، ص٣٦ و٣٩.

(٦) ابن غنَّام، ج٢، ص١٨ - ١٩؛ ابن بشر، ج١، ص٤١ - ٤٢.

قام به قاضيها سليمان بن عبدالوهاب- أخو الشيخ محمد- من نشاط عدائي ضد الدعوة ودولتها[1]. لكن قيادة الدولة تَمكَّنت من التغلُّب على تلك المشكلات الداخلية بطريقتها الخاصة. واستطاعت أن تعيد البلدان الثائرة إلى الطاعة. وكان نجاحها في هذا المجال مما زاد من هيبتها في نظر الآخرين، ودفع بلدانًا نجدية أخرى إلى الانضمام إليها[2]. ومن حسن حظ تلك القيادة أنها كانت في تلك المرحلة التأسيسية المهمَّة تواجه قوى مَحلِّية مفككة بصفة عامة، وأن نشاطها لم يَتعرَّض لأَيِّ تَدخُّل خارجي.

ب- المرحلة الثانية:

كان التدَّخل المتوقع حدوثه ضد الدولة الجديدة في نجد محتملاً أن يأتي من حكام الأحساء، زعماء بني خالد، أو من أشراف الحجاز، وذلك بسبب ما كان لهؤلاء وأولئك من نفوذ في بعض الأقاليم النجدية. لكن تَدخُّل حكام الأحساء كان أكثر احتمالاً للأسباب الآتية:

١- أن الأحساء أقرب إلى الدرعية، قاعدة الدولة الجديدة من الحجاز.

٢- أن النفوذ الخارجي في إقليم العارض قبيل قيام تلك الدولة كان لحكام الأحساء.

٣- أن حاكم الأحساء قد بدأ فعلًا نشاطه ضد الدعوة قبل تلك الفترة. وذلك بتهديده عثمان بن مُعمّر، ليتخلَّص من الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

٤- أن العلاقة بين الزعامة الخالدية وإمارة الدِّرْعيَّة كانت سيئة قبل بداية الدولة السعودية الأولى.

---

(١) ابن غنَّام، ج٢، ص١٧ - ١٨؛ ابن بشر، ج١، ص٤١ - ٤٢.

(٢) من هذه البلدان القُوَيعيَّة. انظر ابن غنَّام، ج٢، ص٤٧.

وكان أن حدث التدَّخل العسكري من حكام الأحساء قبل التَّدخل العسكري من أشراف الحجاز بأكثر من ثلاثين سنة. على أن التَّدخل الإحسائي نفسه لم يحدث إلا بعد حوالي ثلاثة عشر عامًا من بدء القتال بين الدولة الجديدة في نجد وبين خصومها. فما أسباب تَأخُّر ذلك التَّدخل؟

لَعلَّ من هذه الأسباب اعتقاد الزعامة الخالدية بأن المعارضة المحلِّية النجدية قادرة على مقاومة الدولة الجديدة والقضاء عليها. لكن من الثابت، أيضًا، أنه حدث صراع بين زعماء بني خالد على القيادة. ومن نتائج ذلك الصراع أن توفي سليمان بن محمد، الذي كان وراء إخراج الشيخ من العُيَينة، طريدًا في الخرج سنة ١١٦٦هـ[١].

واستمر الصراع بين أولئك الزعماء حتى تَمكَّن عُرَيعر بن دُجَين من السيطرة على مقاليد الأمور في الأحساء حوالي سنة ١١٧٠هـ[٢]. ولَعلَّ هذا الصراع الداخلي كان أهم الأسباب في تَأخُّر تَدخُّل الزعامة الخالدية عسكريًّا ضد دولة الدِّرْعيَّة.

وما إن استقرت الأمور لعُرَيْعر بن دُجَين في منطقة الأحساء، حتى بدأ يستعد لغزو نجد محاولًا القضاء على دولتها الناشئة؛ وذلك عام ١١٧٢هـ. لكن قادة هذه الدولة علموا بنشاطه، فأعدُّوا للأمر عُدَّته، وبنوا سورين حول الدِّرْعيَّة، كما عَزّزوا مواقعهم الأخرى[٣]. وحينما وصل الزعيم الخالدي بأتباعه إلى نجد انضم إليه المعارضون لتلك الدولة. لكن قواته التي بعثها لمساعدة

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٤٣.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها، ويبدو أن اسم الزعيم الخالدي الجديد عَرْعَر، وذلك ما نص عليه نيبور (ج٢، ص١٢٦)، الذي زار المنطقة في أيام حكمه، كما نص عليه آل عبدالقادر، ج١، ص١٢٨ لكن المصادر المؤيدة للشيخ محمد صغَّرت اسمه، ثم قبلت أسرته بهذا التصغير، وأصبحت تنتسب إليه.

(٣) ابن غنَّام، ج٢، ص٥٤ - ٥٥.

المعارضين للاستيلاء على حُرَيملاء فشلت في مَهمَّتها، ثم عجزت قواته الرئيسية أن تقتحم بلدة الجُبَيلة. وبذلك اضطر إلى الانسحاب من نجد دون تحقيق أَيِّ انتصار[١].

وكان لفشل الحملة العسكرية الخالدية الأولى ضد الدولة السعودية أثر كبير على سير الأحداث في المنطقة. فقد أدرك خصوم هذه الدولة قوتها، فأسرع بعضهم إلى مصالحتها ودفع غرامات مالية إليها[٢]. وارتفعت معنويات قادتها وأتباعهم، حتى أصبحت غزواتهم تصل إلى أمكنة لم تكن تصل إليها من قبل، وأخضعوا أكثر بلدان الوَشْم وسُدَير[٣]. ولم تمض أربع سنوات إلا وقد أصبحت لديهم الجرأة على غزو الأحساء ذاتها[٤]. ومن الواضح أن هدف هذا الغزو لم يكن محاولة الاستيلاء على تلك المنطقة، وإنما إظهار القوة أمام حكامها ومن يرجو مساعدتهم من أهل نجد. وكان من ثماره أن دهام بن دَوَّاس، الذي كان لا يزال أَشدَّ الخصوم النجديين، جنح إلى السلم، ودفع غرامة مالية كبيرة إلى الدِّرْعيَّة[٥].

على أن المرحلة الثانية من مراحل توحيد نجد لم تَخلُ من مشكلات صعبة. ذلك أن نكسة حَلَّت بالدولة خلالها نتيجة تَدخُّل غير نجدي من جهة لم يكن مُتوقعًا تدَخُّلها، وهي نجران.

كان عبدالعزيز بن محمد بن سعود قد أصبح قائد جيوش الدولة كلها بعد مقتل عثمان بن مُعمَّر. وبينما كان في إحدى غزواته علم أن جماعة من قبيلة

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٥١.

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص٥٥ - ٥٦.

(٣) ابن بشر، ج١، ص٥٢ - ٥٤.

(٤) ابن غنَّام، ج٢، ص٦٢.

(٥) ابن بشر، ج١، ص٥٦.

سُبَيع، الموالية لقادة الدِّرْعيَّة حينذاك، قد نهبها فريق من قبيلة العُجْمان. فما كان منه إلا أن لحق بذلك الفريق، وفاجأه بالهجوم. فقتل منه حوالي خمسين رجلاً، وأسر آخرين. وهرب الناجون من العُجْمان إلى نجران، حيث القبائل اليامية التي تَمُت إليهم بصلة النسب. وطلبوا من رئيس تلك البلاد، حسن بن هِبَة الله المَكْرمي، أن يساعدهم في الثأر لما حَلَّ بهم على يد عبدالعزيز بن محمد. فهَبَّ ذلك الرئيس لنجدتهم، يدفعه عاملان: أحدهما: اختلاف مذهبه الديني الباطني مع عقيدة قادة الدولة السعودية وأتباعها. وثانيهما: صلة النسب بين القبائل التابعة له وبين قبيلة العُجْمان. والتقى جيشه بجيش عبدالعزيز ابن محمد في الحائر الواقعة جنوب الرياض. وانتهت المعركة بهزيمة كبيرة لجيش عبدالعزيز؛ إذ قتل منه ما يزيد على أربع مئة رجل، وأسر كثيرون، فطلب قادة الدرعية من فيصل بن سويط، رئيس الظفير، أن يتوسط في الأمر، فاستجاب ودفع قادة الدرعية مبالغ مالية إلى الرئيس النجراني، وتوصلوا معه إلى صلح يتبادل بموجبه الطرفان الأسرى، ويعود ذلك الرئيس إلى بلاده[1].

ولقد بعث انتصار الرئيس النجراني على عبدالعزيز بن محمد الأمل في نفوس المعارضين النجديين للدولة السعودية، وحاولوا أن يغروا ذلك الرئيس بالزحف على عاصمة هذه الدولة. واتصلوا بزعيم بني خالد يستقدمونه لاستغلال فرصة ما حَلَّ بجيشها من هزيمة. وقد نجح اتصالهم بالزعيم الخالدي، فَتوجَّه بأتباعه إلى العارض، وأرسل إلى الرئيس النجراني يَحثُّه على البقاء هناك، حتى يصل إليه ليقضيا معًا على تلك الدولة. لكن رسالته لم تصل، فيما يبدو، إلى ذلك الرئيس إلا بعد اتِّفاقه مع قادتها. فرأى أن ما حققه من نصر قد أَدَّى الغرض الذي جاء من أجله غازيًا. وانسحب إلى نجران[2].

(١) ابن غنَّام، ج٢، ص٦٥ - ٦٧؛ ابن بشر، ج١، ص٥٦ - ٥٨.

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص٦٧.

وحينما وصل زعيم بني خالد إلى نجد انضمت إليه المعارضة النجدية، واتَّجه الجميع إلى الدِّرْعيَّة فحاصروها. وكانوا يعتقدون أنهم سينتصرون على قوتها بعد ما أصابها في الحائر. لكن جميع تقديراتهم فشلت لما أبداه سكان العاصمة من بسالة وإقدام. فاضطر المهاجمون إلى الانسحاب بعد عشرين يومًا من الحصار تاركين وراءهم خمسين قتيلًا[1].وقد رفع فشل الزعيم ال

وقد رفع فشل الزعيم الخالدي ومن معه أمام أسوار الدِّرْعيَّة معنويات أتباعها التي كانت قد اهتزَّت نوعًا ما إثر معركة الحائر. ولم يجد رأس المعارضة النجدية، دهام بن دَوَّاس، بُدًّا من طلب الهدنة مع قادة الدولة السعودية. فأجيب إلى طلبه[2]. لكن الهدنة لم تستمر أكثر من تسعة شهور. ولَعلَّ وفاة محمد بن سعود كانت من أسباب نقض دهام لتلك الهدنة.

وفي نهاية ربيع الأول من عام ١١٧٩هـ توفي الأمير محمد بن سعود[3]. فخلفه في الحكم ابنه عبدالعزيز، الذي كان تلميذًا للشيخ محمد، كما كان مُتمرِّسًا في أمور الدولة العامة، وبارعًا في القيادة العسكرية.

وقد واصل عبدالعزيز بن محمد النشاط العسكري للدولة يشاركه، أحيانًا، في تَولِّي الجيش ابنه سعود[4]. ولم تأتِ سنة ١١٨٣هـ إلا ونفوذها قد تجاوز وسط نجد، كالوَشْم وسُدَير، إلى بعض بلدان القصيم[5]، وبعد ذلك بأربع سنوات أدرك دهام بن دَوَّاس، أنه لا يستطيع الصمود أكثر مما فعل؛ وبخاصة

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٥٩ - ٦٠.

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٧٤.

(٤) ابن بشر، ج١، ص٦٦ و٧٥.

(٥) ابن غنَّام، ج٢، ص٧٩.

أن العمر تَقدَّم به، وأن ابنيه دَوَّاسًا وسعدونًا قُتلا سنة ١١٨٥هـ[١]. فهرب من الرياض مع أسرته وعدد غير قليل من أنصاره[٢].

وبذلك انتهت مقاومة ذلك الخصم التي استمرت ثمانية وعشرين عامًا تَخَلَّلتها فترات هدنة قصيرة جدًّا، كان يلجأ إليها في حالات ضعفه الشديد. وقد قُتل في الحروب التي دارت بينه وبين أتباع الدرعية أربعة آلاف رجل؛ منهم ألفان وثلاث مئة من رجاله[٣].

وبعد هروب دهام بن دَوَّاس ومن معه من الرياض دخلها عبدالعزيز بن محمد دون قتال. فاستولى على ثروات الهاربين، وضَمَّها إلى خزينة دولته[٤].

جـ- المرحلة الثالثة:

وكان استيلاء عبدالعزيز بن محمد على الرياض ذا أهميِّة كبيرة في تاريخ الدولة السعودية الأولى. وقد عَبَّر ابن غنَّام عن هذه الأَهميَّة بتسميته فتحًا، وإفراد قصيدة من قصائده لتخليده في تاريخه[٥]. ومن نتائجه أن الدولة الجديدة غنمت أموالًا ساعدت في قضاء ما كان على الشيخ محمد من ديون

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٧٥.

(٢) يذكر ابن بشر أن دهامًا بعد هروبه من الرياض قصد الخرج. وتذكر الروايات الشفهية: أنه ذهب بعد ذلك إلى زعيم بني خالد، وأن هذا الزعيم لامه على هروبه من بلده، فردَّ عليه قائلاً: إني قاومت آل سعود حوالي ثلاثين عامًا. فهل تستطيع حربهم ثلاثين يومًا؟ ويؤيد ما ورد في هذه الروايات من ذهاب دهام إلى زعيم بني خالد بعد هروبه، ما ذكره أحد المعاصرين لتلك الحادثة. انظر: **كيف كان ظهور شيخ الإسلام**، ص٧٦.

(٣) ابن بشر، ج١، ص٧٧٧.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٥) ابن غنَّام، ج٢، ص٨٦ - ٨٨.

سبق أن استدانها لمساعدة الفقراء من أنصاره[1]، وأن الشيخ تَخلَّى عن كثير من الأعباء التي كان يقوم بها، فأصبح يقوم بها عبدالعزيز بن محمد[2]. ومن الواضح أن سبب هذا تَقدُّم سِنِّه، واطمئنانه إلى كفاءة عبدالعزيز ونجاح دولته. على أن من أَهمِّ نتائج الاستيلاء على الرياض أن الدولة السعودية تَخلَّصت من أقوى خصم نجدي لها، وأضافت قوة بلده إلى قواتها، كما أصبح في إمكانها أن ترسل جيوشها إلى مناطق بعيدة؛ وبخاصة في جنوبي نجد، دون أن تخشى ضرب مؤخرتها أو قطع مواصلاتها.

وقد أدركت الدولة السعودية غاية الإدراك أبعاد ما توصلت إليه من نصر، فعزمت على الاستفادة منه في توسيع نفوذها، لتشمل مساحتها منطقة نجد كلها. ولم تكن المعارضة لتلك الدولة بأَقلَّ إدراكًا منها لأبعاد ذلك النصر. فلقد رأت فيه نذير خطر عليها. وتَحرَّكت بكل ما تستطيع لتقف في وجه التيار الذي أوشك أن يكتسحها.

وهكذا جمع زعيم بني خالد، عُرَير بن دُجَين، ما لديه من قوات، واتَّجه إلى نجد، على أنه بات يعلم حق العلم أن قاعدة الدولة، الدِّرْعيَّة قد أصبحت بعيدة المنال بعد الاستيلاء على الرياض. فإذا كان قد فشل أمام أسوارها قبل أن يترك الميدان دهام بن دَوَّاس، فإن فشله أكثر احتمالاً بعد انهيار رمز المقاومة النجدية. ورأى أن من الأنسب له أن يهاجم بلدانًا سعودية نائية عن تلك القاعدة، لأن نجاح مهاجمته لها أكثر احتمالاً. فإن هو حقق نجاحًا في تلك البلدان أصبح في إمكانه أن يَتقدَّم إلى قلب الدولة تَقدُّم المنتصر. وكانت بُرَيدة الجهة التي اتَّجه إليها. وقد تَمكَّن من الاستيلاء عليها خدعة. ثم غادرها إلى

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧.

الخابية، حيث انهالت عليه رسائل التأييد من خصوم آل سعود النجديين. لكن المنية وافته هناك، فعادت القوات الخالدية إلى الأحساء؛ وذلك سنة ١١٨٨هـ[١].

توحيد جنوبي نجد:

كان قادة الدرعية قد قاموا ببعض الغزوات على إقليم الخرج قبل استيلائهم على الرياض. وكان من أبرز أمراء ذلك الإقليم زيد بن زامل، أمير الدِّلَم، الذي وضع يده في يد دهام بن دَوَّاس في عدة مناسبات. ولذلك كان طبيعيًّا أن تتجه أنظار أولئك القادة إلى إقليم الخرج بعد أن انفتحت الطرق إليه بالاستيلاء على الرياض.

وهكذا أرسل عبدالعزيز بن محمد رسالة إلى زيد بن زامل يخبره فيها بأن عليه أن ينضم إلى دولته، وإلا فإنه سيحاربه. لكن زيدًا رفض الانضمام إلى الدولة المذكورة[٢]. فبدأت القوات السعودية تهاجم بلاده.

وكان أَوَّل ما قام به السعوديون ضد زيد بن زامل غزوة قادها سعود بن عبدالعزيز سنة ١١٨٨هـ[٣]. وفي السنة التالية أغار عبدالعزيز بن محمد نفسه على الدِّلَم، وألحق بها من الخسائر ما دفع زيد بن زامل إلى البحث عن حليف قوي، يستعين به على درء الخطر المحدق به[٤]. وقد رأى أن أنسب من يمكن الاستعانة به رئيس نجران، الذي كان صدى انتصاره على قوات الدِّرْعيَّة في الحائر، سنة ١١٧٨هـ، لا يزال عالقًا في الأذهان.

---

(١) ابن غنَّام، ج٢، ص٨٩؛ ابن بشر، ج١، ص٧٨.

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص٨٨.

(٣) ابن بشر، ج١، ص٧٨.

(٤) ابن غنَّام، ج٢، ص٨٨ و٩٠.

والتزم زيد بن زامل لحسن بن هِبَة الله المَكْرمي بدفع أموال طائلة، مقابل اشتراكه في عمل عسكري ضد عبدالعزيز بن محمد. واجتمع الحلفاء من نجران وقبائل يام والدواسر وغيرهم، وساروا حتى وصلوا إلى الحائر. وهناك جرت بينهم وبين أتباع الدِّرْعيَّة مناوشات غير حاسمة. ثم ارتحل الحلفاء إلى ضرما، حيث دارت معركة اضطر بعدها أولئك الحلفاء إلى الانسحاب، تاركين وراءهم عددًا من القتلى، وذلك سنة ١١٨٩هـ[١].

ويعود انتصار أتباع الدِّرْعيَّة على جيش المتحالفين إلى أسباب من أَهمِّها:

١- ارتفاع معنوياتهم بعد الاستيلاء على الرياض، وعودة جيوش بني خالد سنة ١١٨٨هـ دون أن تُحقِّق أهدافها.

٢- عدم وجود الثقة بين أطراف المتحالفين. ولَعلَّ مما يوضح ذلك أن رئيس نجران لم يشترك في الحرب إلا بمال دُفِع إليه، وأن ذلك المال لم يدفع إليه إلا بعد أخذ رهائن منه. وهكذا كان غرض ذلك الرئيس من الاشتراك في الحرب الحصول على المال لا جدِّية القتال. وما دام قَبَض المال فإن أَيَّ قتال يقوم به كافٍ للتدليل على وفائه بالتزامه تجاه من دفعه إليه.

٣- ما ذكره ابن غنَّام من أن الرئيس النجراني مرض أثناء المناوشات[٢]. ولا بُدَّ أن مرضه أَثَّر على معنويات قومه، وعَجَّل بانسحابهم.

وكان من نتائج فشل المتحالفين أن أصبح زيد بن زامل في موقف أكثر حرجًا من ذي قبل. فاضطر إلى أن يفد إلى الدِّرْعيَّة معلنًا ولاءه لقادتها. لكن ولاءه لم يطل. ذلك أنه قام بتصرفات جعلت عبدالعزيز بن محمد يُجهِّز جيشًا

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٨ و٩١ - ٩٢؛ ابن بشر، ج١، ص٨٠.

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص٩٣.

ضده. وما أن اقترب ذلك الجيش من الدِّلَم حتى هرب منها زيد. فدخلها الجيش السعودي، وعَيَّن قائده أميرًا لها من قِبَله. على أن زيد بن زامل ما لبث أن عاد إلى بلدته بمساعدة قسم كبير من أهلها[1].

ومضت مدة انشغل فيها قادة الدرعية بمشكلات داخلية، قامت في كل من الزُلفي وحَرْمة. ثم قاد سعود بن عبدالعزيز، سنة ١١٩٥هـ، جيشًا حاصر به الدِّلَم وقطع به بعض نخيلها. وكان مما قام به أيضًا، أن بنى قصرًا قرب البلدة سُمِّي قصر البِدْع، ووضع فيه رجالًا لمضايقة أهلها عسكريًّا واقتصاديًّا. وقد أدرك زيد وأتباعه خطورة ذلك القصر، فحاولوا الاستيلاء عليه دون جدوى. فاستنجدوا بزعيم بني خالد، سعدون بن عُرَيعر، لكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل[2].

واستمرت الغزوات السعودية على إقليم الخرج. واستمر زيد بن زامل نشيطًا في معارضته. وبينما كان عائدًا من إحدى غزواته، سنة ١١٩٧هـ، صادفته كتيبة سعودية، فاشتبكت معه، وقتلته. وتَولَّى إمارة الدِّلَم ابنه بَرَّاك، الذي سلك مسلك أبيه في عدائه لقادة الدِّرْعيَّة. لكن من حسن حظ هؤلاء القادة أن خلافًا نشب بين أفراد أسرته على الإمارة. ونتج عن ذلك الخلاف مقتل بَرَّاك ابن زيد، ولجوء من قتلوه إلى الدِّرْعيَّة سنة ١١٩٩هـ. ثم قام سعود بن عبدالعزيز في تلك السنة بحملة إلى الدِّلَم، فاستولى عليها. وجعل إمارتها لسليمان بن عُفَيْصان، الذي أصبح من أعظم القادة العسكريين في الدولة السعودية الأولى[3].

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٨١ - ٨٢ و٨٦.

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص١٠٧ - ١١١. ومن بين المحاولات التي قام بها المحاصرون للاستيلاء على القصر عمل صندوق كبير له عجلات ووضع أناس داخله حتى يقتربوا من السور. وعندئذ يخرجون ليقتحموه. لكن هذا الصندوق خرب وتوقف قبل الاقتراب من سور القصر، ولم يستطع من كانوا داخله الخروج منه إلا بعد حلول الظلام خوفًا من رصاص أهل القصر.

(٣) ابن بشر، ج١، ص٩٦ - ٩٧.

وقد واكب النجاح السعودي في إقليم الخرج نجاح آخر في الجهات الواقعة جنوبًا عنه كحوطة بني تميم والحَرِيق. ثم وفد عدد من زعماء وادي الدواسر إلى الدِّرْعيَّة معلنين ولاءهم لقادتها. وبعد هذا بايع جميع أهل الوادي أولئك القادة سنة ١٢٠٢هـ[١]. وهكذا شمل الحكم السعودي كل جنوبي نجد في مستهل القرن الثالث عشر الهجري.

توحيد شمالي نجد:

كانت بُرَيدة أَوَّل بلدة من بلدان القصيم تعلن ولاءها لقادة الدِّرْعيَّة؛ وذلك سنة ١١٨٢هـ[٢]. وقد شهدت تلك السنة والسنة التي بعدها نشاطًا عسكريًّا سعوديًّا في ذلك الإقليم. وفي عام ١١٨٨هـ استولى زعيم بني خالد، عُرَيعر بن دُجَين، على بُرَيدة، ثم ارتحل منها إلى الخابية حيث وافته المنيَّة. وعادت القوات التي كانت معه إلى الأحساء، كما سبق أن ذُكِر. وكان عُريعر قد ولَّى في بُرَيدة راشدًا الدريبي، أحد أفراد أسرة الإمارة في تلك البلدة[٣].

ولم يكن متوقعًا أن يقف قادة الدرعية مكتوفي الأيدي تجاه ما حدث في بُرَيدة. ولهذا قاد سعود بن عبدالعزيز جيشًا، سنة ١١٨٩هـ، وهاجم به تلك البلدة. لكنه لم يُوفَّق في الاستيلاء عليها. فبنى حولها قصرًا ترك فيه رجالاً بقيادة عبدالله بن حسن، الذي كان أميرًا للبلدة المذكورة قبل استيلاء الزعيم الخالدي عليها. وقد تمكَّن عبدالله بن حسن من استعادة بُرَيدة. وكان من

---

(١) ابن غنَّام، ج١، ص٦٧.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٦٧.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٧٨. ومعروف أن أحد أجداد راشد، واسمه راشد الدريبي، أيضًا، هو الذي اشترى موضع بريدة من آل هذَّال من شيوخ قبيلة عنزة سنة ٩٨٥هـ. انظر: إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر، ص٨٢.

نتيجة ذلك أن أعلنت بلدان القصيم الولاء للدولة السعودية. لكن بعض هذه البلدان ثارت ضد هذه الدولة سنة ١١٩٦هـ، متعاونة مع الزعيم الخالدي، سعدون بن عُرَيعر، الذي قاد الجميع وحاصر بُرَيدة. وكان أمير هذه البلدة حينذاك حُجَيلان بن حمد، الذي تَولَّى إمارتها بعد مقتل عبدالله بن حسن في الخرج سنة ١١٩٠هـ[١]. ورغم محاصرة الزعيم الخالدي وحلفائه لتلك البلدة أربعة شهور، فإنهم فشلوا في الاستيلاء عليها. فانسحب سعدون وقومه عنها[٢]. واضطر أكثر الثائرين من أهل القصيم إلى إعلان ولائهم للدولة السعودية من جديد. لكن بلدة عنيزة لم تخضع خضوعًا تامًّا لتلك الدولة إلا سنة ١٢٠٢هـ[٣].

ولقد كان لحجيلان بن حمد دور كبير في تثبيت الحكم السعودي في القصيم، وفي إدخال جهات من شمالي نجد تحت ظِلِّ هذا الحكم. فقد رأس سنة ١٢٠٠هـ، حملة عسكرية اتَّجه بها إلى جبل شَمَّر. وكان مما قام به هناك أن رصد في بَقْعاء لقافلة تجارية قادمة من العراق، وقتل عددًا من رجالها، وأخذ ما كان معها من بضائع لأهل الجبل[٤]. وكان الإنهاك الاقتصادي من الأساليب الناجحة التي اتَّخذها قادة الدرعية لإرغام خصومهم على الاستسلام لهم. ويبدو أن إدراك زعماء الجبل لقوة الدولة السعودية، واقتناع بعضهم بصحة مبادئ الدعوة الإصلاحية، كانا من الأمور التي جعلت غزو حجيلان لتلك الجهة بعد حملته الأولى بسنة يؤدِّي ثماره المرجوَّة. ذلك أنه لم يعد من هناك إلا وقد دخل إقليم جبل شَمَّر تحت طاعة آل سعود[٥]. وهكذا أصبح شمالي نجد جزءًا

---

(١) ابن غنَّام، ج٢، ص٩٩.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٩٢ - ٩٣.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٠.

(٤) ابن غنَّام، ج٢، ص١٢٦.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٠.

من الدولة السعودية في مستهل القرن الثالث عشر الهجري مثلما أصبح جنوبيها، وانصهرت جميع البلدان والأقاليم النجدية في بوتقة دولة واحدة.

وبعد دخول جبل شَمَّر في طاعة آل سعود اتَّجهت أنظارهم إلى ما يليه شمالاً من جزيرة العرب. وقد بدأ نشاطهم بغارة قادها أمير جبل شَمَّر، محمد بن عبدالمحسن بن علي، على فئات من قبيلة الشرارات حول دومة الجندل، منطقة الجوف حاليًا[1]. وفي عام ١٢٠٨هـ اتَّجهت قوات سعودية من الجبل والقصيم والوَشْم بقيادة محمد بن مُعَيقل، أمير الإقليم الأخير إلى الجوف، وتَمكَّنت بعد قتال عنيف من إدخال أكثر تلك البلاد تحت نفوذ الدولة السعودية[2]. وحينما تَمَّ إخضاعها كلها فيما بعد رُبِطت إداريًّا بأمير جبل شَمَّر[3]. وقد قام هذا الأمير بجهود موفقة استولى بها على تيماء، ووادي السرحان، وخيبر وما حولها، حتى أصبح شمالي الجزيرة العربية كله جزءًا من الدولة السعودية الأولى[4].

٥- الدولة السعودية والقبائل في نجد:

لم تكن الجهود التي بذلتها الدولة السعودية الأولى لتوحيد نجد مقصورة على حاضرة هذه المنطقة، وإنما كانت شاملة للحاضرة والبادية على حَدٍّ سواء. ومن القبائل التي حدثت بينها وبين الدولة الجديدة اشتباكات في تلك الفترة سُبَيع، ومُطَير، والظَّفِير، وعنزة، والدواسر، والعُجْمان. وكما كانت بعض البلدان

---

(١) **كيف كان ظهور شيخ الإسلام**، ص١٤١.

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص١٦٨؛ ابن بشر، ج١، ص١٣٢ - ١٣٣.

(٣) المصدر الأخير نفسه، ج١، ص٢٣٧ - ٢٣٨. وقارن ذلك بحمد الجاسر، في **شمال غرب الجزيرة**، دار اليمامة، ١٣٩٠هـ، ص١٢٣.

(٤) **كيف كان ظهور شيخ الإسلام**، ص١٤٠ - ١٤٥.

النجدية تذعن حينًا وتثور حينًا آخر، فإن بعض القبائل كانت توالي قادة الدرعية فترة، ثم تنضم إلى خصومهم فترة أخرى، وفق ما تمليه عليها مصالحها الخاصة، وتمشيًا مع الظروف الآنيَّة.

ومن الواضح أن كثيرًا من القبائل في نجد لم تخضع للدولة السعودية اقتناعًا بالدعوة التي قامت على أساسها تلك الدولة، أو إعجابًا بما ترمي إليه من توحيد سياسي للمنطقة، وإنما خضعت لها لشعورها بالضعف أمام هجماتها المفاجئة في أغلب الأحيان. وكان لهذا أثره في المستقبل؛ إذ إن هذه القبائل ما إن رأت ضعف موقف الدولة السعودية أمام الغزو المصري العثماني حتى رمت بثقلها مع الغزاة.

ومما يراه المتأمل في تاريخ تلك الفترة: أن أكثر غزوات قادة الدولة السعودية للقبائل في نجد كانت مُوفَّقة؛ وبخاصة من الناحية المادية. وما إن تمكنت هذه الدولة من توحيد بلدان نجد حتى اضطرت جميع القبائل الموجودة فيها إلى إعلان الولاء لها. أما القبائل التي لم تُحبِّذ التبعية لها فقد غادرت المنطقة. وممن نزح عن نجد فئات من قبيلتي شَمَّر والظفير.

*****

اتِّساع الدولة السعودية
خارج نجد

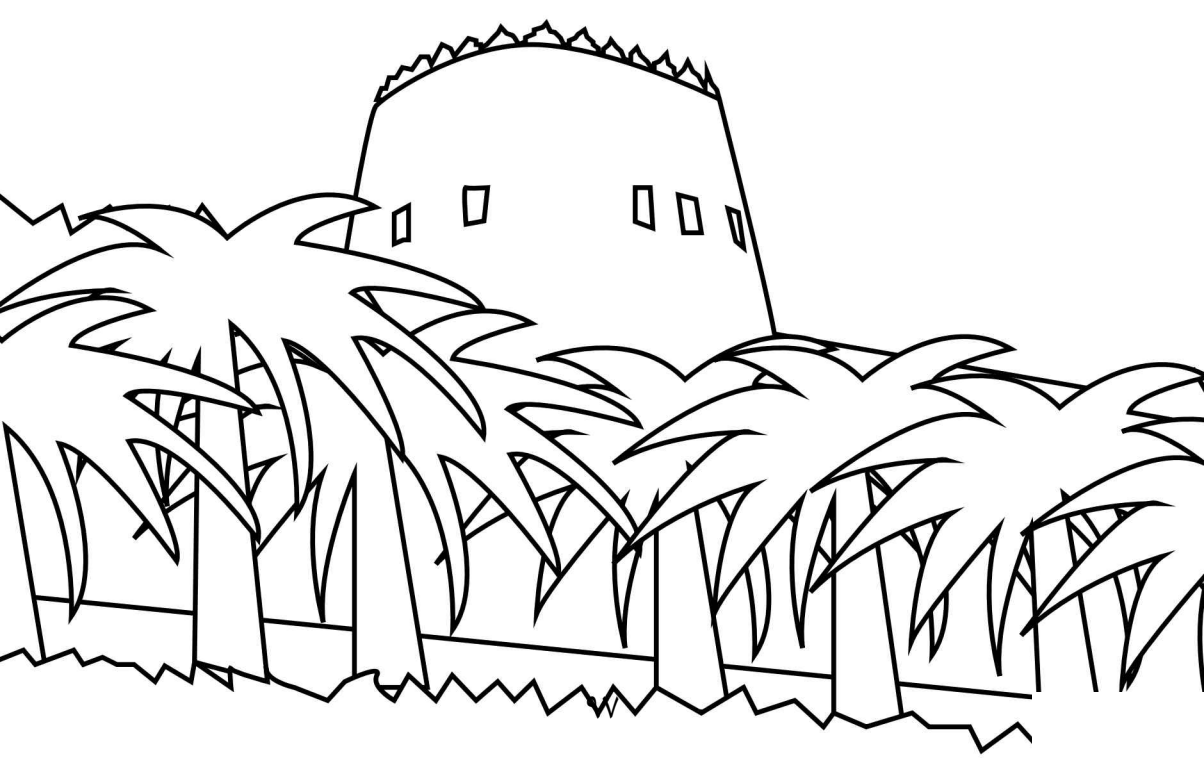

١- شرقي البلاد:

اتَّخذ زعماء بني خالد، حكام الأحساء، موقفًا عدائيًّا من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقادة الدرعية قبل قيام الدولة السعودية الأولى. فقد هاجم الزعيم الخالدي سعدون بن محمد بن غُرَيرْ الدِّرْعيَّة سنة ١١٣٣هـ. وكان أخوه سليمان وراء إخراج الشيخ محمد من العُيَينة، كما سبق أن ذُكِر. ولقد كان متوقعًا أن يقوم الزعماء الخالديون بأعمال عدائية ضد الدولة السعودية، التي جمعت بين أعدائهم من آل سعود وقائد الدعوة الإصلاحية. ولهذا، فإنهم ما إن وجدوا الفرصة سانحة للقيام بتلك الأعمال حتى اغتنموها. وكانت بداية غزواتهم للدولة المذكورة سنة ١١٧٢هـ. واستمر زعماء بني خالد يَستغلُّون كل فرصة مواتية للنيل من الدولة السعودية، وذلك بغزوها حينًا، وتأييد معارضيها في نجد حينًا آخر.

ومضت مدة غير قصيرة والزعماء الخالديون في موقف المهاجم في نزاعهم مع قادة الدولة السعودية. لكن جميع محاولاتهم للقضاء عليها أو إيقاف مَدِّها باءت بالفشل. وظَلَّت تحرز انتصارًا بعد انتصار داخل نجد.

وفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري تَغيَّر ميزان القوة بين الدولة السعودية وزعماء بني خالد. فأصبحت تلك الدولة في موقف المهاجم، وبات أولئك الزعماء في موقف المدافع، ومن الواضح أن أهم أسباب هذا التَّغيُّر أن الدولة السعودية أصبحت قاب قوسين أو أدنى من توحيد نجد كلها، وأن الصراعات الداخلية على السلطة تَجدَّدت بين زعماء بني خالد.

وفي عام ١١٩٨هـ بدأ قادة الدِّرْعيَّة جهودهم للاستيلاء على الأحساء[١]. ومن أعظم دوافعهم إلى إدخال تلك المنطقة تحت نفوذهم:

---

(١) ابن غنَّام، ج٢، ص١٢٠.

أ- أن حكام الأحساء ناصبوا الدولة السعودية العداء فترة طويلة، وقاموا بغزوها مرّة تلو أخرى.

ب- رغبة قادة تلك الدولة في نشر الدعوة الإصلاحية التي آمنوا بها؛ وبخاصة أن شرقي الجزيرة العربية كانت توجد فيه بعض المذاهب التي لا تَتَّفق مع مبادئ الدعوة المذكورة.

ج- الشعور الطبيعي لدى قادة كل دولة فتية تعتقد أنها قادرة على توسيع نفوذها.

د- الأَهميَّة الاقتصادية للمنطقة الشرقية من الجزيرة العربية؛ سواء بالنسبة لثروتها الزراعية أو بالنسبة لموقعها على الخليج بما في ذلك من موانئ تجارية وفرص عمل في المجال البحري.

هـ- أن المنطقة كانت حينذاك مستقلة عن الدولة العثمانية التي كان القادة السعوديون يتحاشون الصدام معها في تلك الفترة. وكان أولئك القادة يدركون هذا الوضع غاية الإدراك بدليل ما ذكره سعود بن عبدالعزيز في رَدِّه على رسالة علي باشا، مساعد والي بغداد، حينما قام بحملته على تلك المنطقة سنة ١٢١٣هـ[١].

وكانت أول غزوة يُوجِّهها آل سعود للاستيلاء على الأحساء تلك التي قادها سعود بن عبدالعزيز سنة ١١٩٨هـ، ونجح في كسب كثير من المواشي والأمتعة[٢]. وفي عام ١٢٠٠هـ ثار دُوَيْحِس بن عُرَيعر على أخيه سعدون، وانضم إليه قسم من بني خالد، كما انضم إليه رئيس قبيلة المنتفق، ثُويني بن عبدالله. وتقابل سعدون مع المتحالفين ضده فهزموه. ولم يجد أمامه ملجأ يَتَّجه إليه إلا

---

(١) رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء، ترجمة من التركية إلى العربية موسى كاظم نورس، بيروت ١٣٨٥هـ، ص٩.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٩٦.

الدِّرْعيَّة. ولقد تَردَّد عبدالعزيز بن محمد في إيوائه خوفًا من أن تسوء العلاقة بين دولته ورئيس قبيلة المنتفق. لكنه آواه في ناهية الأمر بمشورة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب[1].

وفي سنة ١٢٠٢هـ وصلت القوات السعودية إلى الأحساء بقيادة سليمان بن عُفَيصان مرتين، هاجم في الأولى منهما قرية الجِشَّة، وهاجم في الثانية ميناء العُقَيْر[2]. وفي السنة التالية توجه سعود بن عبدالعزيز بقوته إلى الأحساء، حيث وصل إلى البلدة المُبَرَّز. ثم تركها بعد مناوشات قصيرة، واتَّجه إلى قرية الفُضُول، فاتَّخذ ضدها إجراءات قاسية جدًّا، ثم عاد إلى الدِّرْعيَّة[3].

وفي عام ١٢٠٤هـ تَوجَّه سعود بن عبدالعزيز بقوات كبيرة إلى المنطقة الشرقية لمحاربة قبيلة بني خالد. وكان معه زيد بن عُرَيعر. وحين تقابل مع القوات الخالدية هزمها، وعَيَّن زيدًا قائدًا لتلك القبيلة بعد أن فرَّ أخوه دُوَيحس وخاله عبدالمحسن بن سِرْداح إلى قبيلة المنتفق[4]. على أنه من الواضح أن بلدان المنطقة الشرقية لم تدخل كلها تحت النفوذ السعودي نتيجة لهزيمة بني خالد. ولَعلَّ مما يوضح ذلك أن سعود بن عبدالعزيز قام بغزو المنطقة المذكورة سنة ١٢٠٦هـ حيث هاجم القطيف، وأنزل بها خسائر فادحة[5].

ولم تكن سيرة زيد بن عُرَيعر على ما يرام. فقد أرسل إلى عبدالمحسن بن سِرْداح يطلب منه الرجوع إلى قومه، ويَعِده بأن يتنازل له عن رئاسة قبيلة بني خالد. وحين رجع عبدالمحسن من المنتفق غدر به زيد وقتله.

---

(١) ابن غنَّام، ج٢، ص١٢٤ - ١٢٥؛ ابن بشر، ج١، ص٩٨.

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص١٢٦ و١٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٤٠ - ١٤١.

(٤) ابن بشر، ج١، ص١٠٥ - ١٠٦.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص١١٠.

وغضبت القبيلة الخالدية على زيد، فثارت ضده بزعامة بَرَّاك بن عبدالمحسن. وقد هَبَّ سعود بن عبدالعزيز لمحاربة بني خالد، والتقى بِبرَّاك ومن معه، فهزمهم هزيمة عظيمة. وهرب بَرَّاك إلى المنتفق[1].

وكان من نتائج المعركة السابقة أن أدرك أهل الأحساء ما تنطوي عليه معارضة سعود من أخطار. وحين اقترب من بلدانهم طلبوا منه الأمان، وأعلنوا ولاءهم له. غير أنهم ثاروا بعد مغادرته المنطقة، وقتلوا محمدًا الحملي، الأمير الذي عَيَّنه عليهم، كما قتلوا مدير بيت المال، والمرشدين الذين تركهم هناك؛ لوعظ السكان، وتعليمهم أصول الدين، وفق ما نادى به الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ثم قدم زيد بن عُرَيعر إليهم، وتَولَّى قيادتهم ضد الحكم السعودي[2].

وحين علم سعود بن عبدالعزيز بما حدث في الأحساء تَوجَّه بقوات كبيرة إلى هناك، وأخذ يوالي ضرباته الشديدة ضد مدن المنطقة وقراها. وكان بَرَّاك بن عبدالمحسن قد عاد من قبيلة المنتفق والتحق بسعود ومن معه. ولَعلَّ مما دفعه إلى ذلك أن زيد بن عُرَيعر، خصمه السابق، أصبح ضد آل سعود. وحين اشتدت وطأة سعود وقواته على أهل الأحساء، أوعزوا إلى بَرَّاك أن يطلب منه الانسحاب من المنطقة على أن يدخلوا في طاعة الدولة السعودية بعد انسحابه. وقد نجحت محاولة بَرَّاك بمساعدة بعض قادة الجيش السعودي في إقناع سعود بالانسحاب. ثم قدم بَرَّاك إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد ليأخذ منه أمانًا لأهل الأحساء، ووافق الإمام على ذلك[3]. وحينما رجع الزعيم الخالدي إلى المنطقة

---

(١) ابن غنَّام، ج٢، ص١٥٨ - ١٥٩؛ ابن بشر، ج١، ص١١١ و١٢٨.

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص١٥٩ - ١٦٤؛ ابن بشر، ج١، ص١٢٨ و١٢٩.

(٣) ابن غنَّام، ج٢، ص١٦٦ - ١٦٧؛ ابن بشر، ج١، ص١٣٠ - ١٣١. لكن آل عبدالقادر (ج١، ص١٣٤) يذكر أن أهل الأحساء أوفدوا برَّاكًا إلى الإمام، ليصالحوه على أن يدخلوا في طاعته مقابل أمره ابنه بالانسحاب، فوافق الإمام على ذلك، وأمر ابنه بالانسحاب.

مؤملًا أن يفي أهلها بما تَعهَّدوا به، انقسموا إلى مُؤيِّد للحكم السعودي ومعارض له. واستنجد بَرَّاك بآل سعود، فأرسلوا إليه نجدة بقيادة إبراهيم بن عُفَيصان. وتَمكَّن من إجبار زيد بن عُرَيعر ومن معه على مغادرة المنطقة، والاستيلاء عليها. وهكذا أصبحت الأحساء جزءًا من الدولة السعودية، وذلك سنة ١٢٠٨هـ، وأصبح بَرَّاك بن عبدالمحسن واليًا عليها من قِبَل تلك الدولة[١].

على أن بعض أعيان المنطقة الشرقية لم يخلدوا إلى الراحة. فقد ثاروا على الحكم الجديد سنة ١٢١٠هـ بممالأة من بَرَّاك بن عبدالمحسن نفسه. واستنجد الموالون لآل سعود في المُبَّرز بقادة الدِّرْعيَّة، فبعثوا إليهم نجدة مع إبراهيم بن عُفَيصان. ثم اتَّجه إلى المنطقة سعود بن عبدالعزيز ومعه قوات كبيرة. واتخذ ضد الثائرين إجراءات صارمة. وحين أخضعهم عاد إلى الدِّرْعيَّة ومعه عدد من زعماء بني خالد. ووَلَّى على المنطقة أميرًا من عامة سكانها[٢].

وكان لاستيلاء آل سعود على الأحساء نتائج عظيمة من أَهمِّها:

أ- أن دائرة نفوذ الدولة السعودية اتَّسعت اتِّساعًا كبيرًا، مما زاد في هيبتها السياسية وقدرتها العسكرية.

ب- أن الطرق أصبحت مُمهَّدة أمام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية لتنتشر بين سكان المنطقة الجديدة من الدولة.

ج- أن الجهات الخارجية التي لها مصالح في الخليج العربي بدأت تهتم بأمر الدولة السعودية، وتقيم وزنًا كبيرًا لها. ومن هذه الجهات شركة الهند الشرقية البريطانية، والحكومة الفارسية.

---

(١) ابن بشر، ج١، ص١٣٠ - ١٣١.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٣٦ - ١٣٧.

د- أن الدولة السعودية أصبحت ذات حدود مع بقية إمارات الخليج العربي، ومع الدولة العثمانية مُمثَّلة في باشوية بغداد. وبات لا مَفرَّ لها من التعامل مع تلك القوى سياسيًّا وعسكريًّا.

هـ- أن الدولة السعودية تَمكَّنت من الوصول إلى البحر، فأصبح في إمكانها أن تستورد ما تحتاج إليه من بضائع خارجية بطريقة مباشرة، وأصبح لدى مواطنيها القدماء فرصة للعمل في البحر. على أن أَهمَّ من هذا كله أن استيلاءها على المنطقة الشرقية أضاف إلى رقعتها منطقة زراعية خصبة، زاد إنتاجها الخزينة العامة للدولة ثروة وغنى.

٢- الحجاز:

كان لأشراف مكة- كما سبق أن ذُكِر- نفوذ في بعض الأقاليم النجدية قبل قيام الدولة السعودية الأولى. لكنه كان يضعف تدريجيًّا لتلاشي قوة الدولة العثمانية، التي يتبع أولئك الأشراف لها من الناحية الرسمية، في جزيرة العرب، ومنافسة النفوذ الخالدي له. وكان من الطبيعي أن يهتم أولئك الأشراف بظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد، ثم بقيام الدولة السعودية على أساسها.

وتختلف المصادر حول الطريقة التي وصلت بها أخبار الدعوة الإصلاحية النجدية إلى الحجاز. فالمؤرخ المكي، أحمد دحلان، يقول: إن الوهابيين- يعني قادة الدعوة- أرسلوا ثلاثين عالمًا إلى مكة في عهد الشريف مسعود بن سعيد (١١٤٦ - ١١٦٥هـ). وحين باحثهم علماء هذه المدينة، الذين كانوا قد سمعوا بظهور ابن عبدالوهاب، تَحقَّقوا جهلهم. وبعد إقامة الدليل عليهم كَفَّرهم قاضي الشرع وحُبِسوا. ثم منعهم أشراف الحجاز بعد ذلك من الحج[1].

(١) خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، القاهرة، ١٣٠٥هـ، ج٢، ص٢٢٧ - ٢٢٨.

وما ذكره دحلان يحتاج إلى مناقشة. فعدد العلماء الذين قال: إنهم أُوفدوا، من المستبعد أن يكون حقيقيًّا، لأن الدعوة كانت حينئذاك في بدايتها، ولأنه لا داعي لإكثار العدد إلى هذا الحد على أَيِّ حال. ولو أُرسِل وفد من هذا النوع- مهما كان عدد أفراده- لما ترك ذكره ابن غنَّام الذي كان يحرص كل الحرص على تدوين ما له علاقة بالأمور الدينية من حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته.

أما المؤرخ التركي، سليمان عِزِّي، فيذكر في حوادث سنة ١١٦٣هـ أن شريف مكة أخبر السلطنة العثمانية بظهور الشيخ ابن عبدالوهاب في نجد، وأنه سمع أن العلماء في جهته بدأوا يتبعونه، وأنه استشار علماء مكة بشأنه، فأشاروا عليه أن يحاول إقناعه بالعدول عن رأيه. فإن رفض ذلك فيجب قتاله. وعندما لم يَردَّ ابن عبدالوهاب على رسالة الشريف قبض على ستين رجلًا من جماعته في موسم الحج، ونكل بهم. ثم نفاهم إلى بلادهم[١].

وواضح من رواية عِزِّي أن معلومات شريف مكة عن دعوة الشيخ محمد مبنية على السماع. وفي رواية دحلان. أيضًا ما يُؤيِّد ذلك. ولقد أشار ابن غنَّام إلى ما قام به بعض العلماء النجديين المعارضين لدعوة الشيخ من تشويه لحقيقتها في الحجاز[٢]. ولذلك فإنه من المرجح أن تلك الدعوة قد وصلت إلى الأشراف، أَوَّل الأمر، مُشوَّهة عن طريق خصومها في نجد.

ورواية عِزّي تفيد، أيضًا أن الذين سجنهم شريف مكة لم يكونوا وفدًا من العلماء. وهذا ما تُؤيِّده رواية ابن بشر من أن ذلك الشريف سجن حجاج

---

(١) **تاريخ عزّي**، القسطنطينية، ١١٩٩هـ، ص٢٠٧، وهذا الكتاب تاريخ الدولة العثمانية من سنة ١١٥٧ إلى ١١٦٥هـ. ولعلَّه أول مصدر تاريخي تركي يشير إلى دعوة الشيخ محمد. أما أخبار الدعوة فقد وصلت إلى العراق والحجاز التابعين لتلك الدولة قبل ذلك، وكتبت فيهما ردود ضدها.

(٢) بن غنَّام، ج١، ص٣١ و١٦٠ - ١٦١.

نجد سنة ١١٦٢هـ[١]. وهذا المؤرخ النجدي يقصد، بطبيعة الحال، أن المسجونين كانوا من أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ومن المحتمل أنه كان من بين أولئك الأتباع من دفعتهم حماستهم للدعوة إلى الجهر بمبادئها في موسم الحج. ولَعلَّهم كانوا غير مؤهلين من الناحية العلمية لإزالة الصورة القاتمة التي سبق أن بَثَّها في الحجاز معارضو الدعوة من النجديين. فلم يكن غريبًا إذًا أن يَتَّخِذ الشريف حيالهم ما اتَّخذه من إجراءات ظالمة.

وتَتَّفق المصادر على أن الشريف مسعود بن سعيد منع أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من أداء الحج. وموقفه هذا موقف عدائي واضح. وقد سار خليفته، أخوه مساعد، على نهجه. على أنه في آخر عهد مساعد حدثت حادثة مَهَّدت الطريق أمام السعوديين للحج. ففي سنة ١١٨٣هـ عثرت كتيبة سعودية في عالية نجد على جماعة من الحجازيين بقيادة الشريف منصور. وحين أُحضِروا إلى الدِّرْعيَّة أكرمهم عبدالعزيز بن محمد غاية الإكرام، وأطلق سراحهم دون فدية. وبعد ذلك قدم منصور ومعه إذن من شريف مكة للسعوديين بالحج[٢].

ولما تَولَّى شرافة مكة أحمد بن سعيد، سنة ١١٨٤هـ، تَحَسَّنت العلاقات بينه وبين قادة الدِّرْعيَّة؛ إذ طلب منهم بعد تَولِّيه بسنة أن يبعثوا عالمًا من علمائهم يُبيِّن لعلماء مكة حقيقة ما يدعون إليه. فأرسلوا إلى هناك الشيخ عبدالعزيز الحُصَيِّن. وتناقش هذا الشيخ مع أولئك العلماء حول مسائل مُهمَّة من أصول الدعوة. ثم عاد إلى الدرعية مُعزَّزًا مكرمًا[٣].

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٣٧.

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص٧٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٠ - ٨١. وقد أرسل الشيخ محمد مع الحُصَيِّن رسالة إلى الشريف أحمد أورد نصها ابن غنَّام حينما تكلم عن هذه الحادثة.

وعلى أَيِّ حال، فإن عمر العلاقات الحسنة بين الدِّرْعيَّة ومكة كان قصيرًا جدًّا. ذلك أنه لم يمض عام واحد على وفادة الحُصَيِّن إلا وقد أُبعِد الشريف أحمد عن الحكم[1]. وحَلَّ مَحلَّه ابن أخيه، سرور بن مساعد، الذي قضى على محاولة التفاهم بين الطرفين الشريفي والسعودي، فعادت العلاقات بينهما إلى سباق سوئها. ولم يُسمَح لأتباع الدِّرْعيَّة بالحج إلا سنة ١١٩٧هـ بعد أن تَودَّد قادتها إلى شريف مكة وأهدوه هدايا ثمينة[2]. على أن السماح لهم بالحج لم يكن، فيما يبدو، إلا لسنة واحدة فقط.

وحين توفي الشريف سرور، سنة ١٢٠٢هـ، خلفه في الحكم أخوه غالب، الذي قضى السنتين الأوليين من عهده في تثبيت أموره الداخلية[3]. وبعد أن استقر له الوضع رأى أن يحدد سياسته إزاء الدولة السعودية، التي كانت تحرز انتصارًا بعد آخر في كل اتِّجاه. فطلب منها أن ترسل إليه عالمًا من علمائها للتباحث حول مبادئ الدعوة الإصلاحية. ومرة أخرى أرسل قادة الدرعية الشيخ عبدالعزيز الحُصَيِّن إلى مكة المكرمة. لكن علماء هذه المدينة رفضوا أن يتباحثوا معه[4]. ومن المرجح أن رفضهم كان بإيحاء من الشريف نفسه، وأن طلبه من الدولة السعودية إرسال عالم إليه كان الهدف منه التظاهر أمام المسلمين بحسن النية، تمهيدًا لما سيقوم به من أعمال عسكرية ضد السعوديين. وهذا ما قام به في السنة التالية.

وقد يسأل الباحث عن عدم إقدام أشراف الحجاز على التَّدخل العسكري ضد الدولة السعودية حتى سنة ١٢٠٥هـ؛ وبخاصة أن علماء مكة قد أفتوا قبل

---

(١) السباعي، ج٢، ص٨٥.

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص١١٩ - ١٢٠.

(٣) السباعي، ج٢، ص٩١ - ٩٢.

(٤) ابن غنَّام، ج٢، ص١٤٤ - ١٤٥.

أربعين عامًا من ذلك التاريخ بوجوب قتال الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه إن لم يعدل عن رأيه، وأن الدولة العثمانية قد كتبت إلى الشريف مسعود بموافقتها على أَيِّ خطوة يقوم بها ضد الدعوة والداعية!.

ولَعلَّ من أسباب تَأخُّر التَّدخل الشريفي في شؤون الدولة السعودية: أن الأشراف في بداية الأمر لم يكونوا مدركين تمام الإدراك لخطورة تلك الدولة الناشئة، وأنهم كانوا يعتقدون أن المعارضة النجدية قادرة على القضاء عليها. وكانوا يرون، فيما يبدو، أن منع أتباعها من الحج سيقوِّي معارضيها المحلِّيين من الناحية المعنوية. ثم إن تلك الدولة قد ظهرت أَوَّل ما ظهرت في إقليم العارض، الذي كان النفوذ الخالدي فيه بارزًا قبيل ظهورها. وكان الأشراف يعتقدون أنها إن انتصرت على من عارضها من النجديين فإن حكام الأحساء، زعماء بني خالد، سوف يقضون عليها.

وعندما أصبحت الدولة السعودية تضم نجدًا كلها، وأوشكت أن تستولي على الأحساء ذاتها، أدرك شريف مكة أنه إن لم يَتحرَّك عسكريًّا ضدها فإن القبائل التابعة له في الأراضي الحجازية ستنضم إليها؛ سواء كان انضمامها اقتناعًا بصحة الدعوة الإصلاحية، أو رغبة في مشاركة أتباعها غنائم انتصاراتها المتزايدة، أو خوفًا من التَّعرض لغزواتها الناجحة.

وكانت أَوَّل حملة عسكرية جَهَّزها الشريف غالب ضد الدولة السعودية بقيادة أخيه عبدالعزيز. وقد وصلت هذه الحملة إلى السِّر، وانضمت إليها قبيلتا شَمَّر ومُطَير. لكن الحملة فشلت أمام صمود السعوديين. فخرج الشريف غالب من مكة بتعزيزات لها، وحاصر بلدة الشَّعْراء. ومع ذلك فإن الجيش الحجازي لم يحرز أَيَّ انتصار مما اضطره إلى الانسحاب؛ لا سيما أن موسم الحج قد اقترب. وذلك أمر يَتطلَّب وجود الشريف غالب في مكة[1].

(١) ابن غنَّام، ج٢، ص١٤٤ - ١٥٠؛ ابن بشر؛ ج١، ص١٠٨ - ١٠٩، وقارنهما بدحلان، ج٢، ص٢٦٢.

وهكذا بدا، منذ الغزوة الأولى ضد الدولة السعودية، أن ميزان القوة العسكرية لم يكن في صالح الأشراف. وكان انتصار سعود بن عبدالعزيز العظيم في تأديبه للقبيلتين، اللتين انضمتا إلى حملة الشريف، بعد انسحاب الحملة[1]، ثم ما حَقَّقه من نجاح كبير على حكام الأحساء من الأمور التي زادت من هيبة الدولة السعودية، وأغرت فئات من القبائل التي كانت تابعة لأشراف الحجاز بالانضمام إليها. وإدراكًا من الشريف غالب لخطورة وضعه طلب النجدة من الدولة العثمانية سنة ١٢٠٧هـ، لكنها لم تنجده[2]. فحاول بقواته الذاتية أن يعيد الفئات القبلية التي خرجت عن نفوذه إلى طاعته. لكن الدولة السعودية تَصدَّت له، ورَدَّت على هجماته بهجمات أَشدَّ وأعنف.

وفي عام ١٢١٠هـ جَهَّز الشريف غالب حملة كبيرة بقيادة الشريف ناصر بن يحيى، وسارت هذه الحملة حتى وصلت إلى عالية نجد. وكان عبدالعزيز بن محمد على علم بتحركاتها. فأمر القبائل التابعة له القريبة من تلك الجهة أن تقف مع رئيس قبيلة قحطان، هادي بن قَرْملة، لِصدِّها. وحينما تقابلت القوات السعودية مع قوات الأشراف في الجَمَّانية كان النصر العظيم حليف السعوديين الذين غنموا غنائم كبيرة جدًّا. وفَرَّ الشريف ناصر ومن معه عائدين إلى الحجاز[3].

وكانت معركة الجَمَّانية من المعارك الفاصلة بين أشراف الحجاز والدولة السعودية الأولى. ذلك أنها مَهَّدت الطريق أمام قوات هذه الدولة لتتوغَّل في الأراضي الحجازية، وجعلت موقف الأشراف يَتغيَّر من الهجوم إلى الدفاع.

---

(١) ابن غنَّام، ج٢، ص١٥٠ - ١٥٢؛ ابن بشر، ج١، ص١٠٩ - ١١٠.

(٢) دحلان، ج٢، ص٢٦٣.

(٣) ابن غنَّام، ج٢، ص١٧٣ - ١٧٤؛ ابن بشر، ج١، ص١٣٥ - ١٣٦.

ولَعلَّ هذا كان من أهم الأسباب التي جعلت الشريف غالبًا يطلب من الإمام عبدالعزيز إرسال علماء لمناقشة الأمور الدينية. فاستجاب الإمام، وأرسل وفدًا برئاسة الشيخ حمد بن ناصر بن مُعمَّر[١]. على أنه لم ينتج عن هذا الاتصال أَيُّ تقارب أو تصالح سياسي.

وكانت سنة ١٢١٢هـ من السنوات الحرجة بالنسبة للشريف غالب في مجابهته للسعوديين. ذلك أن ابن ربيعان، رئيس أحد فرعي قبيلة عتيبة الكبيرين، خرج عن طاعته وانضم إلى الدولة السعودية، وفعل مثل فعله رؤساء البُقُوم[٢]. ثم تلا هذين الحدثين المُهمَّين أن تَكبَّد الشريف نفسه هزيمة ساحقة في الخُرَّمة على أيدي القبائل التابعة لتلك الدولة؛ إذ قتل من جيشه أكثر من ألف رجل بينهم عدد من الأشراف. وكان في طليعة القبائل السعودية المذكورة قحطان والدواسر[٣]. وبالإضافة إلى ذلك فقد شهد مطلع تلك السنة فشل الحملة العراقية العثمانية على السعوديين ومقتل قائدها ثُوَيني بن عبدالله[٤]. وبعد ذلك بقليل تَوغَّل سعود بن عبدالعزيز داخل الأراضي العراقية وحَقَّق نجاحًا كبيرًا[٥]. وفي سنة ١٢١٣هـ، استولى نابليون على مصر، وانتشرت إشاعات بأنه سيحاول الاستيلاء على الحجاز. وكان على الشريف غالب أن يَتَّخذ جانب الحيطة والحذر، ويعمل على تحصين جدة[٦]. وهذا أمر يَتطلَّب جهدًا وأموالًا.

---

(١) ابن غنَّام، ج٢، ص٢٠٠ - ٢٠١.

(٢) ابن بشر، ج١، ص١٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٥١ - ١٥٢؛ دحلان، ج٢، ص٢٦٧.

(٤) ابن غنَّام، ج٢، ص١٨٦ - ١٨٧ و٢٣٢ - ٢٣٥.

(٥) ابن بشر، ج١، ص١٥٠ - ١٥١.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص١٥٣؛ دحلان، ج٢، ص٢٦٧.

وهكذا أدرك الشريف غالب أنه غير قادر على الصمود أمام الدولة السعودية؛ ناهيك عن مهاجمتها، فجنح إلى الصلح. وجرت اتصالات بينه وبين قادتها نتج عنها اتِّفاق بين الطرفين على تحديد القبائل التابعة لكُلٍّ منهما، والدخول في هدنة مدتها ستة أعوام على أن يسمح للسعوديين بالحج. وكان ذلك الاتِّفاق في جمادى الأولى سنة ١٢١٣هـ[١].

على أن العلاقات الشريفية السعودية شهدت انتكاسة عام ١٢١٧هـ. ذلك أن فئات من القبائل التي حدَّد الاتِّفاق السابق ذكره تبعيتها للشريف غالب، فَضَّلت أن تَنضمَّ إلى الدولة السعودية. وكان من الصعب على هذه الدولة أن ترفض انضمامها إليها. واعتقد الشريف أن السعوديين يتآمرون عليه بإغراء القبائل التابعة له بالخروج عن طاعته. وأرسل وفدًا برئاسة صهره رئيس بني عدوان، عثمان المضايفي، إلى الدِّرْعيَّة ليتفاوض مع قادتها حول الوضع الجديد.

ويبدو أن المضايفي وجد من القادة السعوديين ما جعله يطمئن إلى حسن نواياهم ويثق بهم. وحينما عاد من الدِّرْعيَّة إلى الحجاز اختلف مع الشريف غالب. وانضم إلى جانب الدولة السعودية[٢].

ومهما كانت الأسباب وراء تغيير عثمان المضايفي لموقفه من الشريف، فإن ذلك الحدث كان كسبًا عظيمًا للسعوديين. ذلك أن عثمان قريب من غالب وعلى علم بجوانب ضعفه العسكري.

وفور انضمام المضايفي إلى الدولة السعودية اتَّخذ من بلدة العُبَيلاء -بين تُرَبة والطائف- مركزًا له. وانضمت إليه القبائل التي لا تميل إلى شريف مكة. وهاجمه غالب هناك، لكنه تَصدَّى له بنجاح. ثم أتت إلى عثمان إمدادات من

---

(١) المصدر الأخير نفسه، ص٢٦٧ - ٢٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٧١ - ٢٧٢؛ ابن بشر؛ ج١، ص١٦٢.

القبائل التابعة للدولة السعودية، فزحف بها على الطائف، واستطاع أن يستولي عليها بعد أن هرب منها غالب إلى مكة المكرمة[1].

وبينما كانت الحوادث تسير لصالح آل سعود في نزاعهم مع الشريف غالب انضمت إليهم منطقة عسير، وبرز فيها الزعيم عبدالوهاب أبو نقطة مُتحمِّسًا للدعوة الإصلاحية. وحينما علم سعود بن عبدالعزيز بما جرى في الحجاز بين الشريف غالب وعثمان المضايفي ومن انضم إليه تَوجَّه بقوات كبيرة إلى هناك.

وانضم إليه عثمان ومن معه، فعسكر خارج مكة منتظرًا انتهاء موسم الحج. ولَعلَّه أراد بذلك الانتظار أَلَّا يُعرِّض أرواح الحجاج الأبرياء لأَيِّ خطر قد ينتج من جَرَّاء دخوله تلك البلدة. وأَلَّا يعطي لأمراء قوافل الحج ذريعة ليقفوا مع غالب ضده. ولقد طلب الشريف مساعدة أولئك الأمراء، لكن من الواضح أنهم أدركوا قوة سعود وأتباعه، ورأوا أَلَّا يُعرِّضوا أتباعهم للخطر، فلم يساعدوه. وبعد أن غادروا مكة المكرمة انسحب منها الشريف غالب إلى جدة تاركًا أخاه عبدالمعين أميرًا للبلدة المقدّسة. وأدرك عبدالمعين حرج موقفه، فأرسل إلى سعود بن عبدالعزيز يعرض ولاءه على أن يبقى أميرًا لمكة. فوافق سعود على ذلك. ودخل البلدة دون قتال في الثامن من شهر المُحرَّم سنة ١٢١٨هـ[2]. وهكذا أصبحت مكة المكرمة تحت حكم الدولة السعودية الأولى.

وكما كان متوقعًا قام سعود بن عبدالعزيز بعد دخوله إلى مكة بإزالة ما كان يراه مخالفًا لتعاليم الدين؛ مثل القباب المبنية على القبور. ومما قام به إلغاء الضرائب الجائرة، والمناداة بالمواظبة على الصلوات جماعة خلف إمام واحد[3].

---

(١) دحلان، ج٢، ص١٧٢؛ ابن بشر، ج١، ص١٦٢ - ١٦٣.

(٢) دحلان، ج٢، ص٢٧٤ - ٢٧٦؛ ابن بشر، ج١، ص١٦٣ - ١٦٤.

(٣) عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، رسالة ضمن **الهدية السنية والتحفة النجدية الوهابية**، الطبعة الثانية، المنار، ١٣٤٤هـ، ص٣٥.

ثم كتب رسالة إلى السلطان العثماني، سليم الثالث، يخبره بما حدث، ويطلب منه أن يمنع والي دمشق ووالي القاهرة من إرسال المحمل الذي تصحبه الطبول والمزامير[1]. بعد ذلك تَوجَّه إلى جدة وحاصرها. لكنه وجد أن تحصيناتها قوية، فتركها عائدًا إلى مكة المكرمة، ثم إلى الدِّرْعيَّة[2].

وبعد مغادرة سعود بن عبدالعزيز بقواته الحجاز عاد الشريف غالب من جدة إلى مكة، وأجبر الحامية العسكرية السعودية فيها على الانسحاب منها، وتَسلَّم مقاليد أمورها من أخيه عبدالمعين. ثم قام ببعض الأعمال العسكرية محاولًا استعادة ما فقده من نفوذ في المنطقة المحيطة بها. وتوالت الحروب من جديد بينه وبين السعوديين.

وفي عام ١٢١٩هـ أمر سعود بن عبدالعزيز، الذي أصبح حاكمًا للدولة بعد اغتيال أبيه في الثاني والعشرين من رجب سنة ١٢١٨هـ، ببناء قلعة في وادي فاطمة- على غرار ما فعله السعوديون قرب بعض البلدان التي طاولتهم الحرب- لترصد حركات الشريف العسكرية، وتضايقه من الناحية الاقتصادية. ثم أمر القائد عبدالوهاب أبا نقطة أن يقود جيشًا لمهاجمة جدة. وحين علم الشريف غالب باقتراب عبدالوهاب ومن معه إلى هذه البلدة جمع ما استطاع جمعه من قوات ومعدات، وخرج من مكة لقتالهم. لكنه مُنِي بهزيمة كبيرة أمام القوات السعودية، فعاد بفلول من معه إلى مكة[3].

---

(١) انظر نصها في **تاريخ البلاد العربية السعودية: عهد سعود الكبير**، للعجلاني، دون ذكر مكان وتاريخ الطباعة، ص١١.

(٢) ابن بشر، ج١، ص١٦٥.

(٣) لمزيد من التفصيلات انظر دحلان، ص٢٨٠ - ٢٧٨؛ ابن بشر، ج١، ص١٨٢ - ١٨٣؛ العجلاني،.. **عهد سعود الكبير**، ص٤٥ - ٤٧.

وفي عام ١٢٢٠هـ أمر الإمام سعود بن عبدالعزيز أتباعه في الحجاز وعسير أن يَتَّجهوا إلى مكة المكرمة لمحاصرة الشريف غالب. فوصل أولئك الأتباع إلى ضواحي تلك البلدة قرب موسم الحج. وأدرك غالب ضعف موقفه، فطلب الصلح ورضي بأن يكون تابعًا للإمام سعود على أن يبقى أميرًا لمكة. فأجيب إلى طلبه[١]. وكانت المدينة المنورة قد أعلنت ولاءها لسعود في السنة ذاتها[٢]، وهكذا أصبحت الحجاز كلها جزءًا من الدولة السعودية الأولى.

ولَعلَّ من أهم الأسباب التي ساعدت الدولة السعودية على تحقيق النصر في نزاعها مع الشريف غالب ما يأتي:

أ- أن أكثر القوات السعودية كانت تقاتل عن عقيدة آمنت بصحتها، ونذرت أنفسها لحمايتها ونشرها.

ب- أن الدولة السعودية حينما دخلت مرحلة الصراع المسلَّح مع الشريف غالب كانت قوية. فقد وَحَّدت منطقة نجد كلها، ووَحَّدت معها المنطقة الشرقية من جزيرة العرب أو كادت تُوحِّدها، كما انضمت إليها خلال ذلك الصراع منطقة عسير. وبذلك أصبحت الحجاز- باستثناء ساحلها- محاطة بمناطق نفوذ سعودية.

ج- تَخلِّي عثمان المضايفي- بما كان يَحتلُّه من مكانة- عن الشريف غالب وانضمامه إلى الدولة السعودية.

د- أن فئات من القبائل الحجازية انضمت إلى الدولة السعودية؛ لاقتناع زعمائها بمبادئ الدعوة الإصلاحية التي تساندها تلك الدولة، أو رغبة

---

(١) ابن بشر، ج١، ص١٨٣ - ١٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٨٦. ولمزيد من التفصيل انظر العجلاني، **عهد سعود الكبير**، ص٤٧ - ٥٤؛ محمد عبدالباري، وترجمة بحثه: «**الوهابيون الأوائل وأشراف مكة**» **مجلة الجمعية التاريخية الباكستانية**، عدد ٣، ١٩٥٥م، ص٩١ - ١٠٤.

في مشاركته غنائم غزواتها الناجحة في أكثر الأحيان، أو خوفًا من التعرض لهجماتها.

هـ- تدهور الوضع الاقتصادي للشريف غالب نتيجة الحروب التي كان الإنفاق عليها باهظًا من ناحية، والتي سَبَّبَت قلة الحجاج في تلك السنوات من ناحية أخرى.

و- عدم مساعدة الدولة العثمانية للشريف غالب، لأنها كانت غير مُهتمَّة بالدولة السعودية في بداية الأمر، ثم أصبحت مشغولة بمشكلاتها الداخلية والخارجية؛ وبخاصة الغزو الفرنسي لمصر وما تلاه من تطورات.

ومن نتائج دخول الحجاز تحت حكم الدولة السعودية:

أ- أن مساحتها ازدادت كثيرًا، فأصبحت تمتد من الخليج العربي إلى البحر الأحمر.

ب- أن هيبتها ارتفعت في الأقطار الإسلامية؛ إذ أصبح الحرمان الشريفان في يدها، وهي الدولة المتمسكة بالشريعة إلى أقصى حَدٍّ، المُصمَّمة على منع كل ما من شأنه أن يخالف تعاليم الإسلام.

ج- تَوقُّف الحج من بعض الأقطار الإسلامية لعدم رضا زعمائها بالتقيُّد بما تراه الدولة السعودية من الدين، وعدم إقلاع قادة حجاجها عمَّا هو من البدع، وإصرارهم على أن تصحبهم قوات عسكرية؛ الأمر الذي رأته تلك الدولة مُهدِّدًا لسلطتها في الحجاز، وقد أَثَّر ذلك على الأوضاع الاقتصادية للبلاد.

د- إصابة الدولة العثمانية بضربة معنوية هائلة، لأن سلاطينها حرصوا دائمًا على أن يظهروا بمظهر حُرَّاس الحرمين الشريفين

وخُدَّامهما. وفي ذلك ما فيه من كسب زعامة العالم الإسلامي من الناحية المعنوية. وإذا كان السلاطين العثمانيون قد أدركوا خطر الدولة السعودية على نفوذهم قبل استيلائها على الحجاز، وحاولوا القضاء عليها عن طريق باشا بغداد فعجزوا، فإنهم صَمَّموا بعد ذلك الاستيلاء على مضاعفة الجهود، والبحث عمَّن هو في وضع أحسن من وضع ذلك الباشا، ليقوم بمحاربتها. وقد وجدوا ضالتهم المنشودة في حاكم مصر محمد علي باشا.

٣- جنوبي غرب البلاد:

أ-عسير:

اتَّجهت أنظار قاعدة الدرعية إلى مَدِّ نفوذهم على منطقة عسير، نتيجة استيلائهم على الجهات المتاخمة لها من الناحية الجنوبية الشرقية. وفي عام ١٢١١هـ بدأ نشاطهم في هذا المجال بأن أرسلوا جيشًا كبيرًا بقيادة ربيع بن زيد الدوسري، الذي أغار على فئات من شهران، وقتل خمسين رجلًا منهم، وغنم إبلاً وغنمًا كثيرة[١]. وفي العام الذي تلاه سار ربيع بأتباعه إلى بِيْشة، وحاصر سكانها حتى اضطروا إلى مبايعته على السمع والطاعة. وكان رَدُّ فعل الشريف غالب لإيقاف المدِّ السعودي في تلك الجهة سريعًا؛ إذ قاد جيشًا ضخمًا في العام نفسه، وتَمكَّن من الاستيلاء على البلدة المذكورة. لكن القوات السعودية انتصرت عليه انتصارًا عظيمًا في الخُرْمة وهو عائد من هناك[٢].

---

(١) ابن بشر، ج١، ص١٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٥١.

ومن الواضح أن معركة الخُرَمة، التي أجبرت الشريف غالبًا على مصالحة الدولة السعودية، قد أَكَّدت لكثير من قبائل عسير قوة تلك الدولة، وهيأتها للدخول في طاعتها. وفي عام ١٢١٣هـ غزا ربيع بن زيد الدوسري بِيْشة مرة أخرى، وأدخلها تحت الحكم السعودي. وعَيَّن الإمام عبدالعزيز بن محمد سالم بن شُكْبان، أحد زعماء تلك الجهة، أميرًا لها[١].

وإذا كان دخول بِيْشة في طاعة آل سعود خطوة مَهَّدت الطريق أمامهم إلى عسير، فإن اقتناع عبدالوهاب أبي نقطة وأخيه محمد بالدعوة الإصلاحية النجدية وانضمامهما إلى الدولة السعودية كانا أَهمَّ العوامل التي أدخلت منطقة عسير؛ سراة وتهامة، تحت نفوذ هذه الدولة. ولقد بقي عبدالوهاب مخلصًا كل الإخلاص لقادة الدرعية، وبذل جهودًا عظيمة ساهمت في دخول الحجاز والجهات الجنوبية الغربية من جزيرة العرب في طاعتهم. وظل سكان عسير من أكثر الناس إخلاصًا للدعوة الإصلاحية وللحكم السعودي، كما شهدت بذلك مواقفهم البطولية أمام غزوات محمد علي باشا.

ب- المخلاف السليماني (جازان):

وكانت أخبار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد وصلت إلى اليمن منذ قيام الدولة السعودية الأولى. وممن اتَّفقت مبادئها مع ما كان يؤمن به العالم الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، الذي أرسل إلى الشيخ محمد قصيدة طويلة يثني فيها عليه، والذي بذلت المعارضة النجدية جهودًا مكثفة لتشويه سمعة الدعوة والداعية لديه[٢]. ولذلك فإنه من المرجح أن أخبار تلك الدعوة قد وصلت، أيضًا، إلى المخلاف السليماني (منطقة جازان) في الفترة

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٦٧ - ٧١؛ الشيخ البسام، ج٣، ص٩٤٧ - ٩٤٨.

المذكورة أو بعدها بقليل. ذلك أنه كانت توجد بين علماء اليمن وعلماء المخلاف صلات وثيقة.

على أن بداية انتشار الدعوة الإصلاحية في المخلاف السليماني حدثت سنة ١٢١٥هـ على أيدي أحمد بن حسين الفَلقي من صبيا، وعرار بن شار أمير بني شُعْبة. وكان الفَلقي قد التقى بأتباع الدعوة في موسم الحج سنة ١٢١٤هـ، وأُعجِب بما سمعه منهم. ثم وفد إلى الدِّرْعيَّة لمعرفة المزيد عن تلك الدعوة والاتصال بزعماء دولتها. وقد عَيَّنه الإمام عبدالعزيز بن محمد داعية في بلاده، وأرسل معه رسالة إلى رؤساء المخلاف وأهاليه يَحثُّهم فيها على التعاون معه لنشر الدعوة الإصلاحية[١]. وانتشرت هذه الدعوة بسرعة بين السكان. وحينما أدرك بعض الزعماء هناك ما قد يترتب على ذلك من أبعاد سياسية وقفوا ضدها عسكريًّا. وكانت المعركة التي دارت بين مُؤيِّديها ومعارضيها في صالح المعارضين[٢]. فسارعت الدولة السعودية إلى إرسال تعزيزات لمؤيِّديها، واضطر المعارضون، فيما يبدو، إلى المهادنة.

وكان هناك تنافس على إمارة أبي عريش بين الأمير علي بن حيدر وعمِّه الشريف حمود بن محمد- ولقبه أبو مسمار-. وحينما رحلت التعزيزات السعودية عن المخلاف السليماني نجح حمود في كسب الجولة على ابن أخيه، وتَسلَّم مقاليد الأمور في البلاد[٣]. وكان لجهوده أثر كبير في تحقيق النصر لمعارضي الدعوة ضد مُؤيِّديها قبل وصول التعزيزات المذكورة سابقًا إليهم[٤].

---

(١) ميّ العيسى، ص٧٣.

(٢) عبدالرحمن البهكلي، **نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود**، تحقيق محمد العقيلي، دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، ١٤٠٢هـ، ص٧٢ و٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠٨ - ١٠٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٩٨ - ٩٩.

وعندما آل إليه الأمر كان النفوذ السعودي قد شمل جزءًا كبيرًا من المخلاف. فبدأ بمقاومة ذلك النفوذ ومحاربة أنصار الدعوة حتى أضعفهم. وكانت الأمور حينذاك قد استقرت للدولة السعودية في منطقة عسير. فَهبَّت تلك الدولة، وأرسلت إلى أنصارها في المخلاف نجدات عسيرية بقيادة عبدالوهاب أبي نقطة. وحينما أدرك الشريف حمود ضعف موقفه طلب النجدة من إمام صنعاء. لكن هذا الإمام فَضَّل أَلَّا يتدخل في الصراع الدائر في المخلاف لضعف جبهته الداخلية من ناحية، ولعلمه بقوة الدولة السعودية من ناحية أخرى. فما كان من حاكم أبي عريش إلا أن أعلن طاعته لهذه الدولة، وتَمسُّكه بالمبادئ التي قامت عليها. وقد أبقاه قادتها في الإمارة، لكنهم ربطوه إداريًّا بأمير عسير وتهامة عبدالوهاب أبي نقطة[1].

ومن الواضح أن الوضع الذي وصل إليه الشريف حمود كان بعيدًا كُلَّ البعد عن إرضاء طموحه. فقد خرج من تجربته المرَّة ناقمًا على إمام صنعاء الذي لم ينجده وقت حاجته إليه، وساخطًا على ربطه إداريًّا بأمير كان يرى أنه يفوقه مقدرة وأَهميَّة. ولذا بدأ يُخطِّط للانتقام من الطرفين. ورأى أن مهاجمة الأراضي التابعة لإمام صنعاء تُحقِّق غرضين: أحدهما معاقبة ذلك الإمام على عدم مساعدته له، وثانيهما الظهور أمام قادة الدولة السعودية بمظهر القائد المخلص الكفء، مما يُمهِّد لاستقلاله عن أمير عسير. وجمع ما استطاع جمعه من قوات، ووجهها إلى الأراضي اليمنية، فاستولت على مُوْر واللُّحَيَّة[2]. وبعد هذا النجاح العسكري أرسل وفدًا إلى الدِّرْعيَّة طالبًا من قادتها فصله إداريًّا عن أمير عسير، وربطه مباشرة بهم. فاستجابوا لطلبه[3].

---

(١) انظر تفصيل ذلك في المصدر نفسه، ص١٢٧ - ١٣٨؛ عبدالرحيم، **الدولة السعودية**، ص ١٧٠ - ١٧٣.

(٢) البهكلي، ص١٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ص١٥٢ و١٦٨.

وقد أَدَّى نجاح الشريف حمود في الانفصال عن أمير عسير إلى تَوتُّر العلاقات بينهما. وانضم عرار بن شار إلى صف حمود[1]. وبلغ التوتُّر بين الطرفين مدى جعل عبدالوهاب يُهيئ لغزو المناطق التابعة لحمود. وأمام هذا الوضع طلب الإمام سعود من هذين الأميرين أن يفدا إليه لِحلِّ المشاكل القائمة بينهما. فوفد إليه عبدالوهاب، لكن حمودًا أرسل ابنه نيابة عنه، مُدَّعيًا أن غيابه عن منطقته قد يُعرِّضها لغزو يمني. ويبدو أنه لم يُتَوصل إلى حَلٍّ شامل للمشاكل المناقشة. ومع أن سعودًا كان، فيما يبدو، يثق بإخلاص عبدالوهاب أكثر مما يثق بإخلاص حمود، فإنه أبقى الأخير مستقلًّا إداريًّا عن الأَوَّل[2].

وظَلَّ التنافس قائمًا بين أميري عسير وأبي عريش. وكان من مظاهره تسابقهما على إيجاد نفوذ لهما في المناطق اليمنية التي لم تكن قد دخلت بعد تحت النفوذ السعودي. لكن أمير أبي عريش نال قصب السبق؛ إذ تَمكَّن من ضم زبيد والاستيلاء على الحُدَيدة، وتَوغَّلت قواته حتى قرب عدن[3].

ويبدو أن انتصار الشريف حمود في الأراضي اليمنية، وما يوجد في نفس الإمام سعود من شكوك في إخلاصه له، قد دفعا ذلك الإمام إلى أن يطلب منه مهاجمة صنعاء ذاتها[4]؛ رغبة في التوسع من ناحية، وامتحانًا لصدق نوايا ذلك الشريف من ناحية ثانية. لكن حمودًا تقاعس في تنفيذ ما طلب منه[5]. ولَعلَّ من أَهمِّ ما حمله على ذلك اعتقاده بصعوبة الهجوم على العاصمة اليمنية، وخوفه حين انشغاله بذلك من هجوم أمير عسير على منطقته. بل إن هناك من المصادر

---

(١) ميّ العيسى، ص١٠٠.

(٢) البهكلي، ص١٨٤ و١٩٣؛ ابن بشر، ج١، ص١٩٤.

(٣) ميّ العيسى، ص١٠٥ – ١٠٧؛ عبدالرحيم، **الدولة السعودية**، ص١٧٤ و١٨٠.

(٤) ابن بشر، ج١، ص١٩٤.

(٥) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

ما يشير إلى أنه اتَّصل بإمام صنعاء، وتصالح معه[1]. وأمام هذا الموقف طلب الإمام سعود من عبدالوهاب أبي نقطة أن يقوم بمهاجمة الشريف حمود. ولم يكن شيء أَحبَّ إلى نفس أمير عسير حينذاك من تلبية هذا الطلب. وحين اجتمعت لديه قواته ومن انضم إليها من المناطق السعودية الأخرى زحف على أراضي المخلاف السليماني. ودارت معركة عنيفة بينه وبين حمود هناك سنة ١٢٢٤هـ. ومع أن عبدالوهاب قُتِل في تلك المعركة إلا أن القوات التي كانت معه انتصرت. وانسحب الشريف حمود إلى قلعته في أبي عريش[2].

وتوالت الحروب بين الشريف حمود وأمير عسير الجديد، طامي بن شُعَيب، حتى تَمكَّن هذا الأخير من انتزاع اللُّحَيَّة والحُديدَة من الأول. وإدراكًا من حمود لضعف موقفه العسكري طلب العفو من الإمام سعود على أن يتنازل عن بعض المناطق التابعة له، ويدفع خراجًا سنويًّا إلى خزينة الدولة السعودية. فوافق الإمام على طلبه. لكن ذلك لم يَتمَّ إلا سنة ١٢٢٦هـ[3]. وهي السنة التي بدأت فيها الحملة العثمانية المصرية ضد آل سعود. وكان من نتائج تلك الظروف أن استعاد إمام صنعاء الحديدة وقسمًا من بلدان اليمن الأخرى[4].

وهكذا استطاعت الدولة السعودية الأولى أن تنشر مبادئ الدعوة الإصلاحية في المخلاف السليماني، وأن تدخله تحت طاعتها، وأن تضم إليها مناطق من أراضي إمام صنعاء، لكن نفوذها هناك كان مضطربًا نوعًا ما، وعرضة للمَدِّ والجزر بدرجة كبيرة.

---

(١) ميّ العيسى، ص١١٥.

(٢) ابن بشر، ج١، ص١٩٤ - ١٩٥.

(٣) انظر تفصيل ذلك في البهكلي، ص٢٥٥ و٢٧٧؛ عبدالرحيم، **الدولة السعودية**، ص١٨٢ - ١٨٤.

(٤) المصدر نفسه، ١٨٥.

جـ- نجران:

وكانت علاقة زعماء نجران بالدولة السعودية سيئة. ومن أَدلَّة ذلك ما سبق ذكره من غزو الرئيس النجراني، حسن بن هِبَة الله المَكْرمي، لأراضي هذه الدولة سنتي ١١٧٨ و١١٨٩هـ، وفي سنة ١٢٠٢هـ استنجد المعارضون لآل سعود في وادي الدواسر برئيس نجران، فأنجدهم، لكن المؤيِّدين لآل سعود في ذلك الوادي صمدوا أمام المعارضين والرئيس النجراني. فانسحب ذلك الرئيس إلى بلاده[١].

وفي سنة ١٢١٠هـ غزا مبارك بن هادي بن قَرملة ناحية نجران، وقاتل باديتها، فانتصر عليها وكسب منها خيلًا وأموالًا[٢]. وبعد ذلك بعشر سنوات غزتها قوات سعودية قَدَّرها ابن بشر بثلاثين ألف مقاتل. وكانت بقيادة عبدالوهاب أبي نقطة، أمير عسير، وفهاد بن شكبان، زعيم منطقة بيشة. وإبراهيم بن مبارك، رئيس الوداعين من الدواسر. فوقع قتال شديد بين القوات السعودية وأهل نجران. وقتل من جيش عبدالوهاب كثيرون، في طليعتهم إبراهيم بن مبارك رئيس الوداعين. فبنى عبدالوهاب قصرًا هناك، ووضع فيه مرابطين لمضايقة النجرانيين عسكريًّا واقتصاديًّا. ثم عادت بقية القوات السعودية إلى أوطانها[٣].

وفي سنة ١٢٢٤هـ حارب النجرانيون مع أبي مسمار ضد أبي نقطة[٤]. ومع أن زعماء نجران بعثوا مُمثِّلًا عنهم إلى الإمام سعود، وأن ذلك الإمام أرسل إليهم رسالة مع مُمثِّلهم شرح فيها المبادئ التي تسير عليها دولته، فإنه لا يبدو أن منطقة نجران قد خضعت خضوعًا تامًّا للحكم السعودي حينذاك، وإن كانت قبائلها قد أَدَّت الزكاة للإمام سعود[٥].

---

(١) ابن بشر، ج١، ص١٠٢ - ١٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٨٦ - ١٨٧.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٤.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٢. وانظر أيضًا، مقبل الذكير في مسودة تاريخه عند حديثه عن نجران، مكتبة كلية الآداب، جامعة بغداد، رقم ٥٦٩.

٤- جهات الخليج وعمان:

أ-قطر:

بدأت غارات السعوديين على قطر سنة ١٢٠٢هـ[١]؛ وذلك قبل أن يستولوا على منطقة الأحساء. وكانت أهم بلدة قطرية حينذاك الزبارة مقر آل خليفة[٢]. وبعد ان استتب الأمر لآل سعود في المنطقة الشرقية تَمكَّنوا من الاستيلاء على قطر، واضطر حكامها المعارضون لهم إلى مغادرتها والتوجُّه إلى البحرين، حيث القسم الآخر من إماراتهم. وبذلك أصبحت قطر جزءًا من الدولة السعودية الأولى[٣].

---

(١) ابن بشر، ج١، ص١٠٠.

(٢) في القرن الحادي عشر الهجري غادر آل خليفة وآل صباح والجلاهمة الهدَّار في الأفلاج، ونزلوا الزبارة، وكان سبب مغادرتهم بلادهم حدوث نزاع بينهم وبين أبناء عمومتهم من جميلة من قبيلة عنزة، وقد انتصر عليهم هؤلاء بمساعدة الدواسر. ثم اضطروا إلى النزوح من الزبارة إلى الكويت، التي كانت تحت حكم بني خالد، ومنحهم إياها زعيم هذه القبيلة. واتفقوا على أن يتولَّى سليمان بن أحمد، كبير آل صباح، الرئاسة، وخليفة بن محمد، كبير آل خليفة، التجارة، وجابر العتبي، كبير الجلاهمة، العمل في البحر على أن يقتسموا الأرباح بالتساوي، وبعد خمسين عامًا انفصل محمد بن خليفة وغادر الكويت إلى الزبارة. وبعد استقراره فيها اختاره أهلها شيخًا لها. ثم تولَّى الحكم بعده ابنه خليفة المتوفى سنة ١١٩٧هـ. فخلفه أخوه أحمد. وفي عهد أحمد نشبت حروب بين أهل البحرين- بإيعاز من فارس التي كانت تحكمها من ١٠١٨هـ إلى ١١٩٨هـ. وبين أهل الزبارة فهزم أهل البحرين، وفرَّ زعماؤهم إلى سواحل إيران تاركين البحرين دون حماية. فدعا سكانها أحمد بن محمد بن خليفة لحكمهم. وباستيلائه على البحرين انتهى حكم فارس لها. وظل أحمد ينتقل بين الزبارة والبحرين. ثم استقر ابنه في المنامة.

وفي أواخر القرن الحادي عشر الهجري غادر آل ثاني الوَشْم، ونزلوا يبرين، الواقعة جنوب قطر، ثم هاجروا من هناك إلى الزيارة حيث ولد ثاني. وبعد وفاته اتخذ ابنه محمد البِدِّع- أحد أحياء الدوحة- مقرًّا له. وكان طموحًا، فدخل مع آل خليفة في معارك أنهاها تدخُّل العثمانيين عام ١٢٨٨هـ،وفي سنة ١٢٩٥هـ توفي محمد وخلفه ابنه قاسم مؤسس إمارة آل ثاني المستقلة.

(٣) ابن بشر، ج١، ص١٧٧؛ **لمع الشهاب**، ص٧٧.

ب- البحرين:

أما البحرين فإن سلطان عمان غزاها سنة ١٢١٦هـ، واستطاع أن يستولي عليها. فهرب آل خليفة منها عائدين إلى الزبارة. وبعد ذلك تَمكَّنوا، بمساعدة الدولة السعودية، من إبعاد العمانيين عن البحرين[١]. لكن السعوديين أصبح لهم نفوذ كبير فيها. ثم حدثت مشكلات بين آل خليفة وآل سعود، ودارت بينهما مفاوضات نتج عنها عودة السلطة الحقيقية في تلك البلاد إلى حكامها من آل خليفة[٢].

جـ- الكويت:

وأما الكويت فقد أصبحت مُهمَّة من الناحية التجارية؛ وبخاصة بعد احتلال الفرس للبصرة بين عامي ١١٩٠ و١١٩٣هـ. ذلك أن بعض تجار هذه المدينة المحتلَّة هاجروا إلى الكويت، كما انتقل إليها مركز مُمثِّل شركة الهند الشرقية البريطانية في المنطقة[٣]. ولَعلَّ إيواءها لزعماء بني خالد المعادين لآل سعود كان سببًا لغزو السعوديين لها سنة ١٢٠٨هـ[٤]. وفي عام ١٢١٢هـ تعاون الكويتيون مع حملة ثويني بن عبدالله الموجهة ضد السعوديين. فكان ذلك سببًا، فيما يبدو، لإرسال السعوديين سَرِيَّة ضد الكويت[٥]. لكن الكويت لم تنضم إلى الدولة السعودية، ولم تدخل تحت حكمها مثل دخول قطر[٦].

---

(١) ابن بشر، ج١، ص١٦١.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٦ - ١٩٧؛ عبدالرحيم، **الدولة السعودية**، ص٩٨ - ١٠٠.

(٣) المصدر الأخير نفسه، ص١٠٢.

(٤) ابن غنَّام، ص١٦٩؛ ابن بشر، ج١، ص١٣٣.

(٥) ابن غنَّام، ج٢، ص٢٢٤؛ ابن بشر، ج١، ص٤٩.

(٦) لمعرفة المزيد عن هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب عبدالله العثيمين، **العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت**، ط٢، الرياض، ١٤١١هـ.

د- عمان:

وحينما وصلت طلائع القوات السعودية إلى جهات عمان كان حاكم مسقط سلطان بن أحمد ابن سعيد. وكان في طليعة قادة تلك القوات رجل اسمه الحِرْق. فأطاعت له قبائل بني ياس، وآل نعيم وبني قتب والظواهر والشوامس[1]. وفي عام ١٢١٨هـ (١٨٠٣) عقد معه السلطان معاهدة يدفع إليه بموجبها مبلغ ١٢٠٠٠ ريال سنويًّا، ويسمح لأتباع الدِّرْعيَّة بالدعوة في مسقط[2]. وكان تَحمُّس القواسم في رأس الخيمة وما حولها لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب كسبًا عظيمًا لآل سعود في جهودهم العسكرية ضد الأراضي العمانية.

وحين توفي سلطان بن أحمد، سنة ١٢١٩هـ تَولَّى الحكم بعده بدر بن سيف، الذي كان متعاطفًا مع الدولة السعودية. لكن حكمه لم يستمر؛ إذ ثار عليه سعيد بن سلطان، وقتله. وقامت حروب بين سعيد والسعوديين وأتباعهم في جهات عمان. فانتصروا عليه في أكثرها. على أن مقتل القائد الشهير مطلق المطيري، سنة ١٢٢٨هـ؛ إضافة إلى انشغال الدولة السعودية بالحملة العسكرية العثمانية المصرية، كان من الأمور التي اضطرت القوات السعودية إلى أن تَتخلَّى عن أماكن سبق أن استولت عليها من أراضي سلطان عمان، وأن تَتمركز في البُرَيمي[3].

---

(١) حميد بن رزيق، **الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين**، وزارة التراث القومي والثقافة بعمان، ١٣٩٧هـ، ص٤٣٢؛ كيلي، **بريطانيا والخليج**، ترجمة محمد أمين عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة بعمان، القاهرة ١٩٧٩م، ج١، ص١٦١ - ١٦٣.

(٢) المرجع الأخير نفسه، ص١٦٦.

(٣) لمزيد من التفصيلات انظر ابن رزيق، ص٤٣٨ - ٥٢١؛ كيلي، ج١، ص١٦٦ - ٢١٠؛ عبدالرحيم، **الدولة السعودية**، ص١٠٥ - ١١٦؛ محمد الشعفي، العلاقات السعودية العثمانية: ١٨٠٠ - ١٨١٨م، **مجلة كلية الآداب**، بجامعة الملك سعود، العدد الأول، ١٣٩٠هـ، ٢٠٦ - ٢٢٩.

٥- أَوج اتِّساع الدولة:

بعد أن أكملت الدولة السعودية الأولى توحيد منطقة نجد في مستهل القرن الثالث عشر الهجري بدأت تَتَّسع في كل اتِّجاه. وكان النصر حليفها في أكثر خطواتها التوحيدية حتى بلغت ما بلغته من اتِّساع. فمن الشرق دخل تحت حكمها شرقي الجزيرة العربية؛ الأحساء والقطيف وقطر. وأصبح لها نوع من النفوذ القوي فترة في البحرين. ومن الناحية الجنوبية الشرقية دخلت تحت حكمها كثير من الجهات التي تَكوَّنت منها في العصر الحديث دولة الإمارات العربية المتحدة، كما دخلت أجزاء من أراضي سلطنة عُمان وبخاصة غير الساحلية. ومن الغرب أصبحت الحجاز كلها منطقة سعودية. أما من الناحية الجنوبية الغربية فقد انضمت إليها منطقة عسير، ثم تبعتها منطقة المخلاف السليماني، كما أدخلت تحت نفوذها أجزاء كبيرة من أراضي إمام اليمن وبلدانه المُهمَّة؛ وبخاصة الساحلية. وقد ازداد توغلها في الساحل اليمني حتى أوشكت أن تستولي على عدن. ومن الجنوب امتدت رقعتها حتى الربع الخالي. بل إن غاراتها وصلت إلى مشارف حضرموت، أما من ناحية الشمال فقد أدخلت تحت طاعتها جميع أجزاء الجزيرة العربية الشمالية، ومَدَّت لها نوعًا من النفوذ في أماكن من العراق والشام، تَمثَّل في دفع بعض القبائل هناك الزكاة إليها.

وهكذا تَوحَّدت معظم مناطق الجزيرة العربية في دولة لم يُرَ لها مثيل من قبل باستثناء فترة قصيرة من فجر التاريخ الإسلامي.

*****

علاقات الدولة السعودية الأولى
بالدول الأخرى

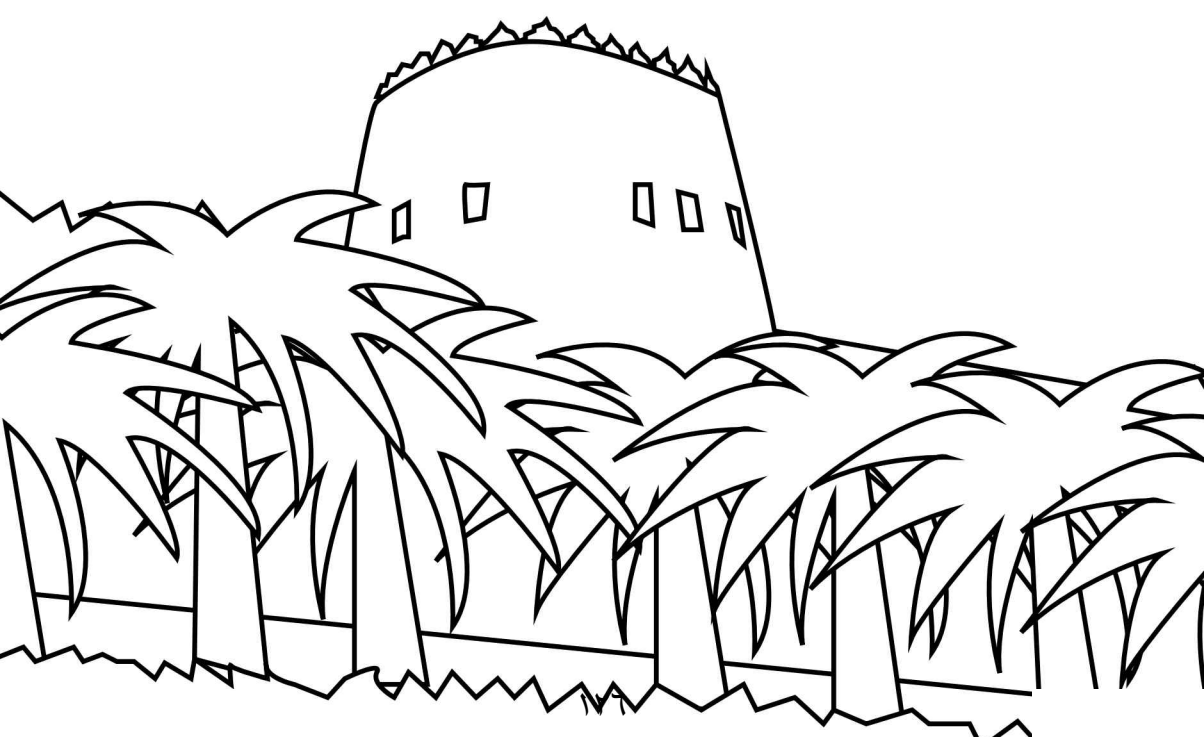

١-علاقتها بالدولة العثمانية:

سبق الحديث عن الدولة السعودية الأولى بأشراف الحجاز التابعين من الناحية الرسمية للدولة العثمانية. لكن الحجاز، وإن تبعت رسميًّا للعثمانيين، كان لها وضع خاص يختلف عن أوضاع الولايات العثمانية التي كانت تُحكَم حكمًا مباشرًا من قِبَل ولاة أو باشوات عثمانيين كانوا -إلا من ندر منهم- أتراكًا. وهنا سوف تُناقَش علاقة الدولة السعودية مع الدولة العثمانية ممثَّلة في كُلٍّ من باشا بغداد وباشا دمشق. أمَّا علاقة الدولة السعودية بحاكم مصر العثماني فسوف يُتَكلَّم عنها بانفراد فيما بعد؛ وذلك لما تَرتَّب على أعمال ذلك الحاكم ضد هذه الدولة من نتائج خطيرة.

أ-الدولة السعودية والعراق:

كانت البصرة البلدة التي قضى فيها الشيخ محمد بن عبدالوهاب أطول مدة في أسفاره العلمية خارج مسقط رأسه، وكانت البلدة التي بدأ فيها الجهر بمعارضة ما كان يراه مخالفًا للدين القويم. ثم اضطر نتيجة لذلك إلى مغادرتها. وحينما بدأت دعوته في نجد كان من بين من كتبوا ردودًا على مبادئها أناس من البصرة[1]. ولم تكن العراق، بصفة عامة، في منأى عَمَّا كان يجري داخل نجد عبر مراحل توحيد الدولة السعودية لها. ومن ذلك أن بعض معارضي تلك الدولة من النجديين نزحوا إلى الزبير وغيرها من البلدان العراقية، وظَلَّت العراق مأوى لمن لم يريدوا أن يدخلوا تحت الحكم السعودي بعد توحيد نجد.

على أن الاحتكاك بين الدولة السعودية الأولى والسلطات العثمانية في العراق بدأ نتيجة للأعمال العسكرية التي كانت تدور بين السعوديين وزعماء

(١) من هؤلاء القبَّاني الذي ألَّف ردَّين أحدهما: **فصل الخطاب في ردّ ضلالات ابن عبدالوهاب**، والثاني: **كشف الحجاب عن وجه ضلالة ابن عبدالوهاب**، وكلاهما لا يزال مخطوطًا.

بني خالد في مرحلة الهجوم السعودي على الأحساء. وقد بدأت الاشتباكات بين الطرفين عن طريق قبيلة المنتفق، التي كانت مضاربها في جنوبي العراق، ففي عام ١٢٠٠هـ ثار بعض زعماء بني خالد على سعدون بن عُرَير بمساعدة ثُوَيني بن عبدالله رئيس تلك القبيلة العراقية. وهُزِم سعدون، فلجأ إلى الدِّرْعيَّة. وفي تلك السنة هاجم أمير بُرَيدة، حجيلان بن حمد، قافلة تجارية قادمة من العراق إلى جبل شَمَّر، وقتل بعض رجالها، وأخذ ما معها من أموال لأهل الجبل[١].

وفي مستهل عام ١٢٠١هـ زحف ثويني بن عبدالله على نجد، واتَّجه إلى بُرَيدة فحاصرها. ومن المرجح أن ما قام به هذا الزعيم كان ردًّا على قبول الدِّرْعيَّة للزعيم الخالدي، سعدون بن عُرَير، الذي اشترك ثُوَيني في الإطاحة به. ومن المحتمل أن القافلة التي هاجمها حجيلان كانت تحت حماية المنتفق. فإن كانت كذلك فإن الهجوم عليها زاد من حماسة ثُوَيني لمهاجمة السعوديين. ولَعلَّ اختياره لبُرَيدة دليل على ذلك. لكن صمود حجيلان، وما وصل إلى ثويني بن عبدالله أثناء حصاره للبلدة المذكورة من أخبار خاصة بالعراق، جعلاه يرفع الحصار عنها، ويعود مسرعًا إلى بلاده.

وحين وصل ثُوَيني إلى العراق وجد أن باشا بغداد قد عزله عن رئاسة المنتفق، وعَيَّن بدلًا منه ابن أخيه حمود بن ثامر، فقامت بينه وبين خصومه معارك انتهت بهزيمته وانسحابه بمن معه إلى الصُمَّان بين الأحساء ونجد. وهنا هاجمه سعود بن عبدالعزيز، فتقهقر إلى العراق، وهكذا أصبح بين نارين. فاتَّجه إلى بني خالد طالبًا نجدتهم، فلم ينجدوه. ولما ضاقت به الحيل لجأ إلى الدِّرْعيَّة[٢]. وكان سعود بن عبدالعزيز -بعد هجومه على ثُوَيني بن عبدالله في

(١) انظر صفحة ٧٨ من هذا الكتاب.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٩٨ - ٩٩ و١٠٤ و١٣٨.

الصُّمَّان سنة ١٢٠٣هـ- قد اتَّجه إلى العراق حيث اشتبك مع فئات من قبيلة المنتفق[١]. وكان هذا أَوَّل مرة تدخل فيها القوات السعودية الأراضي العراقية.

واستمرت قبيلة المنتفق تستقبل الفارِّين من خصوم الدولة السعودية، كما حدث سنتي ١٢٠٤ و١٢٠٧هـ[٢]، مما جعل قادة تلك الدولة يُفكِّرون جِدِّيًّا في تقليم أظافر القبيلة المذكورة. وقد شجعهم على ذلك استيلاؤهم على المنطقة الشرقية من جزيرة العرب. فقاموا بغارات وصلت إلى حدود البصرة. وكانت غارات آل سعود على جنوبي العراق؛ إضافة إلى ما كانوا يُحقِّقونه من انتصارات على شريف مكة حينذاك، من العوامل التي جعلت حكام اسطنبول يدركون قوة الدولة السعودية الفتية ويأمرون باشا بغداد بالتحرك للقضاء عليها. لكن ذلك الباشا كان، فيما يبدو، يدرك صعوبة الإقدام على حرب صحراوية ضد قوات اشتهرت بخفَّة حركتها. ولَعلَّه كان يخشى أن يستغل غيابه عن العاصمة العراقية أحد من يَتطلَّعون إلى الباشوية. لذلك رأى أن يبحث عن رجل مناسب لينوب عنه في قيادة الحرب التي أُمِر بها.

وفي تلك الأثناء كان ثُوَيني بن عبدالله قد غادر الدِّرْعيَّة، واتَّجه إلى الكويت، ثم إلى بغداد حيث عفا عنه حاكمها. ومكث هناك فترة محاولاً أن يجد سبيله إلى العودة لرئاسة قبيلته. وكان له مناصرون في شرقي الجزيرة العربية من بني خالد وغيرهم؛ وبخاصة أولئك الذين لا يُكنُّون مَودَّة للدولة السعودية، وقد كتب بعض هؤلاء إلى باشا بغداد يثنون عليه، ويشيدون بخبرته العسكرية ودرايته بالمنطقة[٣]. وهكذا وجد فيه الباشا ضالته المنشودة، فأعاده إلى رئاسة المنتفق، وكلَّفه بقيادة الحملة ضد السعوديين.

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٦ و١٢٨.

(٣) ابن غنَّام، ج٢، ص١٨٨ - ١٨٩؛ ابن بشر، ج١، ص١٣٨.

واجتمعت لثُوَيني بن عبدالله قوة كبيرة من البادية والحاضرة؛ وبخاصة من جنوبي العراق، واتَّجه إلى منطقة الأحساء أواخر سنة ١٢١١هـ. وكان يظن أن استيلاءه عليها لن يكون صعبًا. فقد كانت فيها عناصر غير راضية عن الحكم السعودي. ولَعلَّ مما يوضح ذلك تلك الثورة التي قامت هناك قبل سنة من تاريخ سير الحملة من العراق. وكان برفقة ثُوَيني زعيمان من زعماء بني خالد، حكام المنطقة سابقًا، هما بَرَّاك بن عبدالمحسن، ومحمد بن عُرَيعر. وكان من السهل إمداد الحملة بحرًا عن طريق البصرة والقطيف أو العُقَير. ومتى استولى قائد الحملة على الأحساء فإن طريقه إلى نجد ستكون سهلة نوعًا ما، لأن الأحساء ستصبح مركز تموين ممتاز له.

وعلى أَيِّ حال فقد كانت هناك أمور لم تؤخذ في الحسبان. فمع أن النظرة الأولى إلى الظروف المحيطة بحملة ثُوَيني بن عبدالله كانت تبعث في نفوس مُؤيِّديها التفاؤل بنجاحها، فإنها لم تَخلُ من بذور فشل في داخلها. ذلك أنه كان يوجد تنافس خَفيٌّ بين زعيمي بني خالد المرافقين لها على رئاسة قبيلتهما مستقبلًا. وفي أثناء سير الحملة تبين لبرَّاك بن عبدالمحسن ميل ثويني إلى محمد بن عُرَيعر، واعتقد أنه قد اتَّفق معه على أن ينفرد برئاسة بني خالد وحكم الأحساء بعد الاستيلاء عليها[1]. ولذلك أضمر في نفسه العداوة لزعيم المنتفق.

وحينما اقتربت قوات الحملة من القوات السعودية المكلَّفة بصدها اتَّصل بَرَّاك بن عبدالمحسن بالقائد السعودي تمهيدًا لانضمامه إليه في الوقت المناسب. ثم لحق سعود بن عبدالعزيز بقوات كبيرة للاشتراك في المعركة المنتظرة. وقبل أن تدور رحى الحرب بين الطرفين وثب رجل اسمه طُعَيس على ثُوَيني بن عبدالله

(١) المصدر الأخير نفسه، ج١، ص١٤٣.

وأرداه قتيلًا. وكان ذلك الرجل أحد مماليك بَرَّاك سابقًا، وأحد المُتحمِّسين للدعوة الإصلاحية[١]. وبمقتل ثُوَيني دَبَّت الفوضى في صفوف جيشه، وانضم بَرَّاك وأتباعه إلى القوات السعودية التي طاردت فلول الجيش المنهزم إلى بلاده. وذلك في مستهل عام ١٢١٢هـ[٢].

وكانت حملة ثُوَيني بن عبدالله بادية الخطورة لكثرة قواتها، ووفرة استعدادها ومؤنها. ولذلك لم يكن غريبًا أن يرى ابن غنَّام فشلها أمرًا عظيمًا، يستحق أن يُخلَّد بقصيدتين طويلتين تقرب إحداهما من تسعين بيتًا، وتقرب الأخرى من ثمانين بيتًا[٣].

ولم يتأخر رَدُّ الفعل السعودي على حملة ثُوَيني. ففي رمضان من سنة ١٢١٢هـ سار سعود ابن عبدالعزيز بقواته، ودخل الأراضي العراقية حيث أغار على بلدة سوق الشيوخ، ثم اتَّجه إلى السماوة حيث هاجم بعض القبائل المجتمعة قربها بزعامة مطلق الجربا أحد زعماء شَمَّر. وانتصر سعود على تلك القبائل، وغنم منها أموالًا كثيرة. وقد قُتِل في تلك المعركة مطلق الجربا، كما قُتِل بَرَّاك بن عبدالمحسن الذي كان مع القوات السعودية[٤].

ورغم أن مصير حملة ثُوَيني كان صدمة لسليمان باشا، حاكم بغداد، إلا أنه لم ييأس. بل رأى أن يُجهِّز حملة أضخم منها تقوم فيها القوات النظامية

---

(١) بينما يقول ابن غنَّام (ج٢، ص٢٣٥)؛ إن طُعَيسًا أسره أناس من أتباع ثويني، فبقى لديهم حتى عزم على اغتياله، فقام بذلك، يقول ابن بشر (ج١، ص١٤٢ - ١٤٣)؛ إنه كان من عبيد الجبور، وإنه فارق برَّاكًا حين اختلف مع آل سعود. ولا يذكر من أسره، وإنما يشير إلى أنه تسلل حتى قام بما قام به. على أن كركوكلي ص٢٠٥ يقول: إن مقتل ثويني كان بتدبير من برَّاك. وابن بشر وإن لم ينص على ما ورد لدى الكركوكلي فإنه يؤيِّده. وقد أصبح ما قام به طُعَيس مضرب مثل للإقدام؛ إذ يقال: باع بيعة طعيس.

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص١٨٧ - ١٩٨ و٢٣٣ - ٢٣٥؛ ابن بشر، ج١، ص١٣٨ - ١٤٧.

(٣) انظر نصهما لدى ابن غنَّام، ج٢، ص١٩٠ - ١٩٢ و٢٣٧ - ٢٤٢.

(٤) ابن بشر، ج١، ص١٥٠ - ١٥١.

بدور مهم. وأسند قيادة الحملة الجديدة لمساعدة علي باشا، وبذل في إعدادها أقصى ما استطاع. وانطلقت تلك الحملة من العراق سنة ١٢١٣هـ في طريقين: الفرسان ومعهم علي نفسه برًّا، والمشاة والمدفعية بحرًا[١]. ووصل الجميع إلى منطقة الأحساء. وتعاون مع علي من تعاون من أهلها. لكن القوات السعودية الموجودة فيها صمدت أمامه صمودًا عظيمًا، ومنعته من تحقيق أهدافه. وظَلَّ يحاصر قصر صاهود في المُبرَّز من اليوم السابع من رمضان حتى اليوم السابع من ذي القعدة، لكنه لم يستطع اقتحامه أو إرغام من فيه على الاستسلام أو المصالحة[٢]. وأدرك أن مَهمَّته تزداد صعوبة؛ وبخاصة أن بعض فرسانه كانوا من رجال القبائل الذين يملُّون عادة، مطاولة الحصار، ونقصت المؤن بين أفراد جيشه، كما ماتت بعض الإبل[٣]. ثم علم أن سعود بن عبدالعزيز قد تَوجَّه إليه بقوات كبيرة من نجد. فبدأ ينسحب عن البلدان الأحسائية. وبلغ به الخوف واليأس درجة جعلته يتلف بعض مؤنه وعتاده، لئلا يثقله حمله أو يقع في أيدي خصومه[٤].

ووصل سعود بن عبدالعزيز بقواته إلى الأحساء، ثم تَعقَّب جيش علي المنسحب حتى اقترب منه. وحدثت بين الطرفين عدة اشتباكات أدرك بعدها على ضعف موقفه، فمال إلى الصلح وإن حاول أن يظهر بمظهر القَويِّ. ولم يكن سعود، فيما يبدو، غير مَيَّال إلى الصلح ما دام لن ينال قوته ولا بلاده أَيُّ ضرر

---

(١) **لمع الشهاب**، ص١٣٠.

(٢) ابن بشر، ج١، ص١٥٨.

(٣) عباس العزَّاوي، **تاريخ العراق بين احتلالين**، بغداد، ١٣٧٣هـ، ج٦، ص١٢٩.

(٤) ابن بشر، ج١، ص١٥٨ - ١٥٩.

منه. وتبادل القائدان الرسائل[1]. ثم اتَّفقا على صلح يعود بموجبه علي بقواته إلى العراق. وعاد إلى هناك سنة ١٢١٤هـ[2].

على أن العلاقات بين باشوية بغداد والدولة السعودية الأولى سرعان ما تَوتَّرت من جديد. ذلك أنه حدث خلاف بين أناس من نجد مُتحمِّسين لمبادئ الدعوة الإصلاحية وبين قبيلة الخزاعل قرب النجف. وكان من نتائج ذلك الخلاف أن قتلت تلك القبيلة عددًا من أولئك النجديين. فاحتج الإمام عبدالعزيز لدى باشا بغداد، وطالبه بدفع ديات القتلى. لكن الباشا لم يَتَّخذ من الإجراءات ما أرضى الإمام. ودارت بينهما مفاوضات عن طريق عبدالعزيز الشاوي، أحد رجالات العراق المشهورين، لكنها لم تُؤدِ إلى نتيجة إيجابية[3].

وفي عام ١٢١٦هـ تَوجَّه سعود بن عبدالعزيز بقوات كبيرة إلى العراق، وقام بهجوم خاطف على كربلاء، حيث قتل عددًا غير قليل من سكانها، واستولى على كثير مما كان فيها من أشياء ثمينة، وحَطَّم ما رآه مخالفًا للدين القويم. ثم غادر تلك البلدة مسرعًا دون أن تدركه قوات علي باشا التي أُرسِلت لمهاجمته[4].

---

(١) أورد الكركوكلي (ص٢٠٩) نص رسالتين متبادلتين بين علي وسعود. وقد وضع علي في رسالته شروطه للصلح، وهي: تخلّي السعوديين عن الأحساء، وإعادة المدافع التي غنموها من حملة ثويني بن عبدالله، ودفع تكاليف الحملة التي أتى بها علي، وعدم تعرضهم لقوافل الحجاج العراقيين بأذى. وقد أجاب سعود على ذلك بقوله: إن الأحساء لم تكن للأتراك حين استولى عليها آل سعود، وإن المدافع عند أبيه في الدرعية، فإن تمَّ الصلح بين الطرفين أعادها إلى العراق، وإنه سيأخذ رأي أبيه في مسألة تكاليف الحملة. أما أمن الحجاج فهو ما سعت إليه الدولة السعودية دائمًا حتى تحقق.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١٢ - ٢١٤.

(٣) ابن بشر، ج١، ص١٩١؛ الكركوكلي، ص٢١٦ - ٢١٧.

(٤) عثمان بن سند، **مطالع السعود بطيّب أخبار الوالي داود**، مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، رقم ٥٨٤٠، ص١٣٩.

وكان من نتائج غزوة سعود بن عبدالعزيز لكربلاء أن ازداد الخوف والقلق من الهجمات السعودية في مناطق العراق؛ وبخاصة تلك القريبة من الحدود. وهبطت سمعة سليمان باشا، الذي اتضح أنه غير قادر على حماية البلدان العراقية؛ ناهيك عن إضعاف الدولة السعودية أو القضاء عليها في موطنها.

ولقد شاء الله أن يُتوفّى سليمان باشا بعد حادثة كربلاء بقليل. فَتَولَّى باشوية العراق مساعده السابق علي باشا، الذي كان قائدًا للحملة العراقية ضد الأحساء، كما سبق أن ذُكِر.

وفي العشر الأواخر من شهر رجب سنة ١٢١٨هـ اغتال أحد العراقيين الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وهو يصلي في مسجد الطُّرَيف في الدِّرْعيَّة. وانهال الذين كانوا من حوله على المجرم فقتلوه[١]. وكان ذلك المجرم قد اجتمع بعلي باشا حاكم العراق، وأطلعه على ما خطط للقيام به. فَشجَّعه ذلك الحاكم وأَيَّده[٢]. وقدم إلى الدرعية مظهرًا التديُّن والحماسة للدعوة الإصلاحية حتى تَمكَّن من تنفيذ جريمته.

وفي السنة التي اغتيل فيها الإمام عبدالعزيز تَوجَّه ابنه سعود بقوات كبيرة إلى العراق، حيث هاجم منطقة الزبير والبصرة وقتل من سكان البلدة الأخيرة قتلى كثيرين، كما أخذ أموالًا وأتلف زروعًا، ثم عاد إلى بلاده[٣]. وفي عام ١٢٢٠هـ تَوجَّه بقواته مرة أخرى إلى العراق، وتَوغَّل في تلك البلاد حتى وصل إلى النجف. لكنه لم يستطع دخولها لأنها كانت محاطة بخندق واسع. فتركها إلى السماوة حيث وقعت بينه وبين بعض القبائل فيها مناوشات، ثم اتَّجه بعد

---

(١) ابن بشر، ج١، ص١٦٧. وكان مولده سنة ١١٣٣هـ.

(٢) لونجرج، وترجمة عنوان كتابه: **أربعة قرون من تاريخ العراق**، أكسفورد، ١٩٢٥م، ص٢٢٩.

(٣) ابن بشر، ج١، ص١٧٨ - ١٧٩.

ذلك إلى الزبير، وحدثت بينه وبين سكانها مناوشات قليلة. وبعد ذلك عاد إلى الدِّرْعيَّة[1].

وظَلَّت القوات السعودية توالي هجماتها المباغتة في أكثر الأحيان على الأراضي العراقية محرزة قصب السبق على معارضيها هناك، حتى بات سكان بغداد ذاتها يشعرون بالقلق والخوف[2]. واضطرت كثير من القبائل العراقية الموجودة غرب الفرات أن تدفع الزكاة إلى الدولة السعودية. ولم تتوقف الهجمات السعودية على العراق إلا حينما انشغلت تلك الدولة بالحملة العثمانية التي انطلقت من مصر للقضاء عليها. لكن السعوديين لم يَضمُّوا أراضي عراقية إلى دولتهم.

ب- الدولة السعودية والشام:

كان طبيعيًّا أن تصل غارات القوات السعودية إلى أطراف الشام وهي تَمدُّ نفوذها في شمالي الجزيرة العربية، ذلك أن القبائل في تلك الجهة- شأنها شأن القبائل الرحَّل في كل مكان- لم تكن لها حدود واضحة لا تتجاوزها. وهي في تَنقُّلها وراء مواطن الكلأ، أو في هروبها أمام غارات خصومها، قد تصل إلى أراضي غير أراضيها.

وأول غارة ذكر ابن بشر أن القوات السعودية قامت بها صوب الشام، هي تلك التي قادها حجيلان بن حمد ضد قبيلة الشرارات سنة ١٢١٢هـ[3]. لكن من المحتمل أن هذه القبيلة لم تكن حينذاك في البلاد الشامية ذاتها. ولَعلَّ هذا

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١٨٦.

(٢) عبد الحميد البطريق، رسالة دكتوراه غير منشورة، ترجمة عنوانها: **الحكم التركي والمصري في جزيرة العرب** (١٨١٠ - ١٨٤١)، جامعة لندن، ١٩٥٣م، ص٨٠ - ٨١.

(٣) ابن بشر، ج١، ص١٥٠.

المؤرخ النجدي جرى في تعبيره هنا، على ما اعتاد بعض النجديين من تسمية شمالي الجزيرة العربية شامًا[1]. على أن المؤرخ المذكور أشار عند كلامه عن اغتيال الإمام عبدالعزيز بن محمد سنة ١٢١٨هـ، إلى زكوات المناطق في عهده. ومن بينها زكوات بعض القبائل في الشام[2]. ويبدو أن ما أحرزته القوات السعودية من نجاح في مناطق مختلفة من جزيرة العرب وفي الأراضي العراقية قد جعل تلك القبائل تدفع الزكاة إلى قادة الدرعية خوفًا من هجماتهم عليها، وإدراكًا منها بأن ولاة الشام غير قادرين على حمايتها.

أما أول تَحدٍّ مباشر من الدولة السعودية لوالي الشام العثماني فقد حدث في عهد الإمام سعود ابن عبدالعزيز سنة ١٢٢١هـ. ذلك أن الإمام المذكور منع باشا دمشق، عبدالله العظم، من الوصول إلى مكة المكرمة لخوفه من أن يتآمر مع الشريف غالب ضد الحكم السعودي في البلد الحرام. وبذلك عاد عبدالله مع من كانوا معه من حجاج الشام وما يليها شمالاً دون أداء الحج[3].

ويبدو أن الدولة العثمانية رأت في موقف عبدالله العظم ضعفًا لا يليق بوالٍ لها. فأبعدته عن ولاية دمشق، وعَيَّنت بدلًا منه يوسف كنج. لكن هذا الأخير لم يقم بأَيِّ عمل عسكري ضد الدولة السعودية رغم الأوامر المتكررة التي تَلقَّاها من السلطان العثماني.

وفي عام ١٢٢٥هـ وصل الإمام سعود بن عبدالعزيز بقواتٍ كبيرة إلى الشام قاصدًا الإغارة على بعض قبائلها. لكن تلك القبائل علمت بتحركاته، فاتَّجهت

---

(١) من ذلك قول مسلط بن ربيعان:

عقلت سَبْلا كم لي من يوم ما سايل عن بيرق في الشام

وهو يقصد بيرق محمد بن رشيد أمير جبل شَمَّر. ولعلَّ مما يؤيِّد ذلك ما ورد في كتاب **كيف كان ظهور شيخ الإسلام**: ١٠٣ من مهاجمة حجيلان بن حمد للشرارات في ناحية الجوف.

(٢) ابن بشر، ج١، ص١٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٨ - ١٩٩.

إلى غور الأردن. وتَوغَّلت القوات السعودية في سهل حوران وفي جهات الكرك، وأبدت من النشاط العسكري ما بَثَّ هيبتها في نفوس سكان تلك المناطق[1]. واقتنع السلطان العثماني بأن يوسف كنج لم يكن أقوى من سلفه عبدالله العظم، فعزله عن الباشوية، وعهد بها إلى سليمان باشا، الذي كان واليًا لصيدا وما حولها.

ومن الواضح أن الدولة السعودية لم تَضمَّ إليها شيئًا من أراضي باشوية الشام. لكنها مَدَّت لها نوعًا من النفوذ على بعض القبائل التابعة له إداريًّا. وقد تَمثَّل ذلك النفوذ في دفع هذه القبائل الزكاة إلى القادة السعوديين. ومن القبائل التي أَدَّت زكاتها إلى الإمام السعودي من كانت تقطن قرب مدينة حلب.

٢- علاقتها بفارس:

سبق أن ذكر بأن من نتائج استيلاء الدولة السعودية على شرقي الجزيرة العربية اهتمام الدول المطلَّة على الخليج العربي، أو التي لها مصالح فيه، بهذه الدولة الفتية. وكان من تلك الدول الدولة العثمانية مُمثَّلة في باشوية بغداد. وقد مَرَّ الحديث عن علاقة السعوديين بالباشوية المذكورة.

ومن الدول التي اهتمت باستيلاء آل سعود على منطقة الأحساء الدولة الفارسية. وإذا كان قد وجد خلاف حاد بين أنصار الدعوة الإصلاحية وكثير من المنتمين إلى المذهب السُّنِّي حينذاك فقد كان من المتوقع أن يوجد خلاف أكثر حِدَّة بين أولئك الأنصار وحكومة فارس التي كانت تدين بالمذهب الشيعي. ومعلوم أن بعض سكان المنطقة الشرقية ينتمون إلى هذا المذهب. ومع أن هؤلاء كانوا خاضعين لحكم زعماء بني خالد السُّنيين قبل دخول المنطقة المذكورة في

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٨ - ١٩٩.

حكم آل سعود، إلا أن حكم أولئك الزعماء الخالديين لم يكن قائمًا على أساس من العقيدة مثلما كانت عليه الحال بالنسبة للحكم السعودي. ولذلك فإن حكومة فارس نظرت إلى دخول شركائهم في المذهب تحت ظل حكومة سُنِّية مُتحمِّسة لعقيدتها نظرة تختلف عن ذي قبل.

على أن الضربة التي تَلقَّتها الحكومة الفارسية حدثت عندما شَنَّ السعوديون، سنة ١٢١٦هـ، هجومًا خاطفًا على كربلاء، البلدة المقدَّسة لدى الشيعة. فقد تَعمَّق الخوف لديها من الدولة السعودية، وازداد كرهها لها. ولم يكن غريبًا أن تقف الحكومة الفارسية بعد تلك الحادثة بعام واحد مع سلطان مسقط في نزاعه مع آل خليفة وحلفائهم السعوديين[١].

وقد استمرت الحكومة الفارسية في دعم السلطان العماني ضد قوات السعوديين المهاجمة لبلاده ذاتها[٢]. وكان القضاء على الدولة السعودية على يد محمد علي، حاكم مصر، مبعث فرح لدى الحكومة المذكورة[٣] ذلك أنها رأت فيه غياب دولة جمعت بين القوة العسكرية، التي كادت تُوحِّد المنطقة الخليجية بكاملها، والعقيدة السُّنِّية المحافظة التي تدفع مقاتليها إلى الاستماتة في سبيل نشر ما آمنوا به.

٣- علاقتها ببريطانيا:

الدولة الأوروبية التي نتج عن استيلاء السعوديين على المنطقة الشرقية من جزيرة العرب احتكاك بها هي بريطانيا. ذلك أن ما يحدث في الخليج العربي

---

(١) عبدالرحيم، **الدولة السعودية**، ص٢٩٠.

(٢) المصدر نفسه: الصفحة ذاتها.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٩٢.

كان مُهمًّا بالنسبة لها، لما قد يَترتَّب عليه من تأثير على نفوذها في الهند وعلى خطوط مواصلاتها إلى هناك.

وكان يوجد تنافس بين بريطانيا وفرنسا على بسط النفوذ في عمان حينما بدأت الغزوات السعودية لتلك البلاد. ولَعلَّ مما دفع سلطان مسقط إلى توقيع اتِّفاق مع بريطانيا، سنة ١٢١٣هـ، ثم تأكيده سنة ١٢١٥هـ، خوفه من نتائج تلك الغزوات وإن كان ظاهر بنود الاتِّفاق المشار إليه يَتعلَّق بالتنافس بين البريطانيين والفرنسيين.

وكان انضمام القواسم- وأهم مراكزهم رأس الخيمة- إلى الدولة السعودية سنة ١٢١٤هـ، من الأمور التي أدَّت إلى الاحتكاك بين هذه الدولة وبريطانيا. فقد ازداد النشاط القاسمي البحري، وأصبح لا يقتصر على مهاجمة السفن العمانية، وإنما يشمل سفن بريطانيا المتضامنة مع العمانيين. وقد تَسبَّب ذلك في هجوم بريطاني على رأس الخيمة سنة ١٢٢٠هـ. واتَّفق الطرفان القاسمي والبريطاني بعد ذلك الهجوم على أَلَّا يعتدي أحدهما على الآخر[١].

على أن نشاط القواسم ما لبث أن عاد بعد حوالي ثلاث سنوات إلى ما كان عليه قبل الاتِّفاق المذكور. وكان رَدُّ بريطانيا أن قامت بهجوم عنيف على المواقع القاسمية سنة ١٢٢٤هـ.

ومن الواضح أن البريطانيين حاولوا أن يتعاملوا مع القواسم، وكأنهم جهة مستقلة عن الدولة السعودية، وأن يتفادوا المواجهة المباشرة مع هذه الدولة. ولم يكن موقف السعوديين، أيضًا، موقف من يرغب في مواجهة مع البريطانيين.

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٧٤.

ولذلك فإن حكومة الهند البريطانية أعربت للإمام سعود بعد هجومها على القواسم عن رغبتها في استمرار العلاقات الطيِّبة بينهما. وجاء رَدُّ الإمام على ذلك مُتضمِّنًا مشاركة تلك الحكومة الرغبة في استمرار هذه العلاقات، وموضحًا أنه أمر أتباعه بألَّا يَتعرَّضوا لسفنها. ولَعلَّ من بين أسباب عزله سلطان بن صقر القاسمي، سنة ١٢٢٥هـ، الحَدَّ من نشاط القواسم الذي قد يُؤدِّي إلى اصطدام مع بريطانيا.

وهكذا بدا أن البريطانيين كانوا يدركون قوة السعودية في داخل الجزيرة العربية، وأن قادة الدولة السعودية كانوا يدركون قوة البريطانيين في المجال البحري، فَتصرُّف كل منهما بوحي من ذلك الإدراك.

وحينما نالت قوات محمد علي باشا من الدولة السعودية ما نالت أبدى البريطانيون فرحهم وابتهاجهم، وانتهت تلك القوة التي كانت تساند القواسم. فقاموا بمهاجمة رأس الخيمة، سنة ١٢٣٤هـ، بعنف لم يسبق له مثيل، واستطاعوا أن يفرضوا على شيوخ تلك الجهات معاهدات رَسَّخت نفوذهم في مناطق الخليج العربي كلها أكثر من ذي قبل.

*****

بعض ملامح
الدولة السعودية الأولى

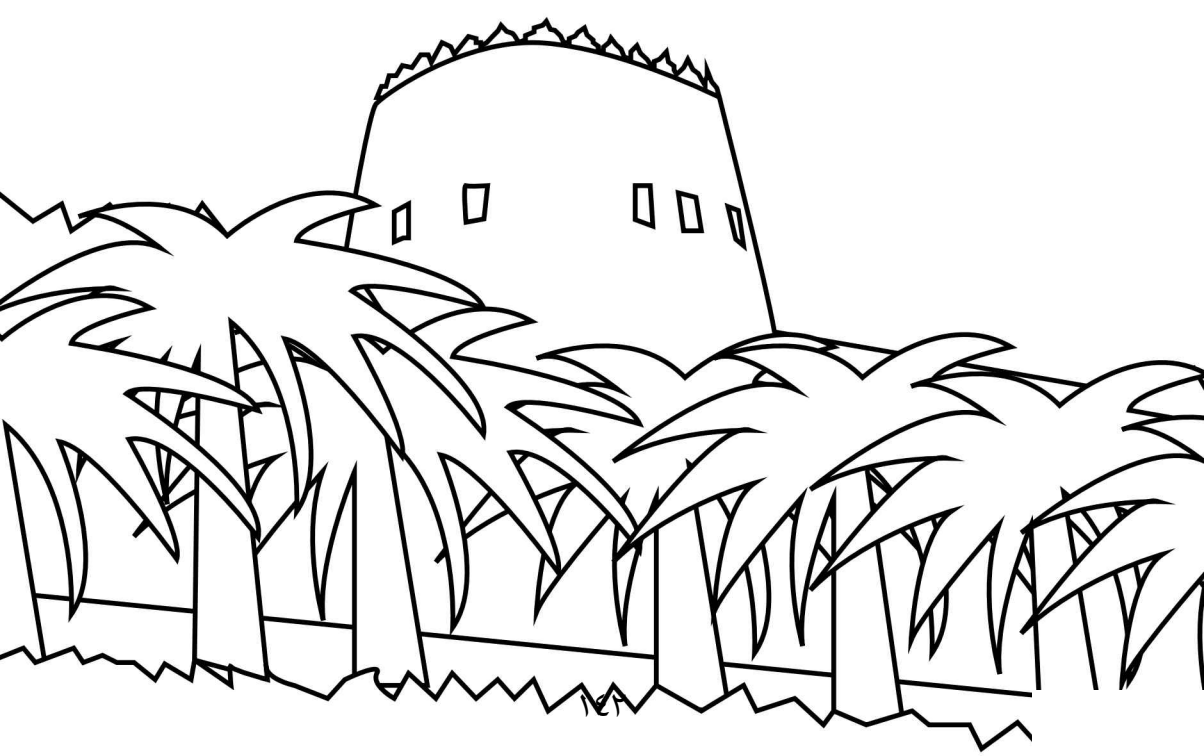

١ - الإدارة والحكم:

قامت الدولة السعودية الأولى على مبدأ واضح هدفه الأكبر جمع شتات البلاد على أساس من توحيد الله وإخلاص العبادة له. وقد نذر قادة تلك الدولة أنفسهم لذلك المبدأ؛ دعوةً إليه ودفاعًا عنه. وكانت إدارة شؤون الدولة تتم بتعاون وثيق، وانسجام تام، بين الشيخ محمد عبدالوهاب وقادة آل سعود. وكان متوقعًا أن يحدث الانسجام والتعاون بين ذلك الشيخ وأولئك القادة، الذين تدل أعمالهم على أنهم كانوا مقتنعين بصحة ما دعا إليه. بل إن عبدالعزيز بن محمد، الذي شهد الشيخ سبعة وعشرين عامًا من حكمه، كان على صلة به قبل قدومه إلى الدرعية[١]. وكان من المنتفعين بعلمه بعد استقراره فيها.

ومن الواضح أن كثيرًا من أعباء إدارة الدولة في مراحل تكوينها الأولى كانت تقع على كاهل الشيخ محمد بن عبدالوهاب. لكن الاستيلاء على الرياض سنة ١١٨٧هـ، كان بداية مرحلة جديدة تخلَّى فيها الشيخ عن إدارة الشؤون المالية لعبدالعزيز بن محمد بن سعود[٢]. على أنه ظَلَّ حتى وفاته، سنة ١٢٠٦هـ، المستشار الذي يعتمد على رأيه في الأمور؛ وبخاصة تلك التي يَترتَّب عليها مستقبل الدولة[٣].

---

(١) ابن غنَّام، ج١، ص٢٢٢. فقد طلب عبدالعزيز من الشيخ أن يفسِّر له سورة الفاتحة والشيخ لا يزال في العيينة.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٢٧. وانظر صفحة ٧٤ من هذا الكتاب.

(٣) من ذلك أنه هو الذي أشار على عبدالعزيز بن محمد بقبول سعدون بن عريعر لاجئًا في الدرعية سنة ١٢٠٠هـ، وأنه أخذ البيعة لسعود بن عبدالعزيز ليصبح حاكمًا بعد أبيه سنة ١٢٠٢هـ. انظر ابن غنَّام، ج٢، ص١٢٥ و١٣٧.

وكان الحاكم السعودي يُلقَّب بالأمير حتى اتِّسعت الدولة، فأصبح من بين ألقابه الإمام[1]. وقد حَلَّ الابن الأكبر من أبناء الحاكم مَحلَّه في الحكم بعد وفاته، وذلك بولاية عَهدٍ منه في أثناء حياته[2].

وكان من أَهمِّ واجبات الحاكم السعودي الإشراف على شؤون الدولة بصفة عامة، بحيث يَتحقَّق تطبيق الشريعة، ويَحلُّ الأمن والاستقرار. وكان في طليعة من يستشيرهم في الأمور المُهمَّة الشيخ محمد وأبناؤه وأعيان الدِّرْعيَّة. ومن بين من يستشيرهم الحاكم أيضًا، أمراء المناطق ورؤساء القبائل؛ لا سيما فيما يَتعلَّق بأمور السلم والحرب[3].

وكانت الدولة السعودية مقسمة إلى مناطق متعددة يَتولَّى إمارة كل منطقة منها أمير مُعيَّن من قِبَل تلك الدولة. وكثيرًا ما كان أمراء المناطق من أُسَرٍ لها الإمارة في بلادها قبل قيام الحكم السعودي. وينطبق هذا على البادية أيضًا؛ إذ استمر رؤساء القبائل من الأسر القيادية فيها[4].

---

(١) لم يصف ابن غنَّام محمد بن سعود إلا بالإمارة. وكثيرًا ما تَحدَّث عن ابنه عبدالعزيز باسمه دون لقَب. وعند كلامه عما حدث سنة ١٢٠٢هـ قال (ج٢، ص١٣٧): «أمر.. محمد بن عبدالوهاب المسلمين أن يبايعوا سعودًا على الإمارة بعد أبيه». لكنه في حديثه عن عبدالعزيز، بعد وفاة الشيخ محمد سنة ١٢٠٦هـ، كثيرًا ما وصفه بالإمام. أما الشيخ عبدالرحمن بن حسن فقال: إن عبدالعزيز بن محمد بن سعود لم يكن يُسمَّى إمامًا في حياته، وإنما حدثت تسمية من تولَّى إمامًا بعد وفاته. انظر: **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، جمع عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الثانية، الرياض، ١٣٨٥هـ، ج٤، ص٣٤٠. وفي وثيقة كتبها الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، سنة ١٢٢١هـ، وصف الحاكم سعود بن عبدالعزيز بالأمير. انظر: آل عبدالقادر ج٢، ص٦٩. على أن ابن بشر، الذي وُلِد بعد وفاة محمد بن سعود بـ ٣١ سنة، أطلق لقب الإمام على كل حكام الدولة السعودية الأولى.

(٢) نصت المصادر على ذلك بالنسبة لسعود، وهو ظاهر عبارة ابن بشر بالنسبة لكل من عبدالعزيز بن محمد وعبدالله بن سعود. انظر ابن بشر، ج١، ص٦٣، ١٠١ و٢٤١.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١ /٢٧ و٢٢٦.

(٤) **لمع الشهاب**، ص٢٩.

ومما يلفت النظر أن قادة الدِّرْعيَّة لم يُعيِّنوا أمراء للمناطق من أفراد الأسرة السعودية، وإن كان لأولئك الأفراد جهود مُهمَّة في قيادة الغزوات[1]. ولَعلَّ من أسباب ذلك الرغبة في بقائهم في العاصمة للاستشارة.

وكان من واجبات أمير كُلِّ منطقة أن يعمل على تطبيق أوامر الشرع بين سكان منطقته، ويساعد عُمَّال الزكاة على جبايتها، ويُعدَّ الغزاة للإسهام بحروب الدولة لتوسيع نفوذها أو الدفاع عن كيانها. وكثيرًا ما عهد إليه بغزو الجهات القريبة منه[2].

وكان يوجد إلى جانب أمراء المناطق قضاة يختارون، عادة من ذوي الكفاءة العلمية والنزاهة الخلقية. وكانت مُرتَّباتهم من خزينة الدولة العامة. وقد أجمعت المصادر على أنهم كانوا عادلين في أحكامهم، حتى أصبحوا مضرب المثل في العدالة[3]. ومن بين أولئك القضاة، إضافة إلى قضاة الدِّرْعيَّة، عبدالعزيز الحُصَيِّن قاضي الوَشْم، وحمد العُرَيني قاضي سدير، ومحمد العوسجي قاضي الأحساء[4].

٢- الأمن والشؤون العسكرية:

ولقد أولى قادة الدولة السعودية الأولى الناحية الأمنية أَهمِّيَّة وبخاصة، وتكللت جهودهم التي بذلوها في هذا المجال بالنجاح الكبير، حتى ساد البلاد أمن

---

(١) ولعلَّ الرياض هي البلدة الوحيدة التي ولِّي عليها واحد من آل مقرن لا من ذرية محمد بن سعود. انظر حمد الجاسر، **مدينة الرياض**، ص٩٩.

(٢) من أمثلة هؤلاء حجيلان بن حمد، بالنسبة للمناطق الواقعة شمال القصيم، وهادي بن قرملة الذي كانت له جهود في الغزوات ضد الشريف غالب، وعبدالوهاب أبو نقطة، الذي كان له دور عظيم في الاستيلاء على الحجاز والمخلاف السليماني، انظر فقرة (و) الآتية عن بعض الأمراء والقادة المشهورين.

(٣) انظر - مثلاً - بوركهارت، **ملحوظات** ج٢، ص١٩٦.

(٤) ابن بشر، ج١، ص٢٣٨ - ٢٣٩ انظر فقرة (هـ) الآتية عن بعض العلماء والقضاة المشهورين.

لم تشهد له مثيلًا إلا في فترة قصيرة جدًّا من فجر التاريخ الإسلامي[١]. ولَعلَّ من أسباب ذلك النجاح إلقاء مسؤولية الجرائم على عاتق رؤساء القبائل، حينما يعتدي أَيُّ فرد من قبيلتهم على غيره، ومنع حماية مرتكبي الجرائم[٢].

ومن أَهمِّ ملامح الدولة السعودية الأولى أنه لم يَمرَّ عام واحد من بداية القتال بينها وبين خصومها سنة ١١٥٩هـ إلى نهايتها عام ١٢٣٣هـ إلا وفيه غزوة أو عدة غزوات؛ بعضها دفاعًا، وأكثرها هجومًا. وإذا كانت المنطقة قبل قيام تلك الدولة قد شهدت حروبًا بين إمارتها وقبائلها المختلفة فإن الحروب بعد قيامها ازدادت من حيث عدد المعارك. ومن حيث أعداد القتلى. لكن طبيعة الحروب تغيَّرت؛ إذ اتَّسمت بسمة الجهاد من قِبَل قادة الدرعية وأتباعهم.

ولم يكن هناك جيش دائم للدولة السعودية، وإنما كانت قواتها المحاربة تَتكوَّن بطريقة إلزامية أو تَطوُّعية حسب متطلبات الحال. فقد كان الحاكم، أو نائبه في الغزو، يطلب من أمراء المناطق ورؤساء القبائل، أو من بعض هؤلاء وأولئك، عددًا مُعيَّنًا من المقاتلين لِينضمُّوا إلى الغزو الذي يراد القيام به. وعلى كُلٍّ من يطلب منه ذلك أن يقوم بتنفيذه[٣]. وربما انضم إلى العدد المطلوب أناس متطوعون أقدموا على المشاركة في الغزو تَديُّنًا أو رغبة في الحصول على نصيب من الغنائم؛ وبخاصة أن أكثر الغزوات السعودية كانت ناجحة. على أنه كان هناك عدد من الجنود الدائمين؛ مثل الحرس الخاص للحكام في

---

(١) انظر أمثلة من استتباب الأمن لدى المصدر نفسه؛ ج١، ص١٦٨ - ١٧١.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٣١. من أحسن الكتابات عن النواحي الإدارية والاقتصادية في الدولة السعودية الأولى رسالة الدكتوراه لمحمد الشعفي، التي قدمت إلى جامعة ليدز سنة ١٩٦٧م. وترجمة عنوانها: **الدولة السعودية الأولى في جزيرة العرب (مع إشارة خاصة إلى ملامحها الإدارية والعسكرية والاقتصادية) في ضوء المعلومات غير المنشورة من المصادر العربية والأوروبية**.

الدِّرْعيَّة وللأمراء في قاعدة كُلِّ منطقة من مناطق الدولة. وكان هناك عدد من الجنود الذين يقضون فترات تطول وتقصر حسب الظروف في أماكن مُعيَّنة؛ مثل المرابطين في الحصون المبنية قرب مدن لم يكن من السهل الاستيلاء عليها، أو المناطق التي لا تطمئن الدولة إلى ولاء سكانها.

وكان على كُلِّ منطقة أو قبيلة أن تُجهِّز أفراد غزوها بما يلزمهم من عتاد ورواحل وأطعمة تكفيهم المدة المتوقعة للغزو. لكن الدولة تساعد الغزاة إذا طالت مدة الغزو[١].

ومن الأساليب الناجحة التي اتَّبعها القادة السعوديون في أعمالهم العسكرية سرعة الحركة، وسِرِّيتها، وتضليل الخصوم، وبناء قلاع أو قصور قرب البلدان التي تطول مقاومة أهلها؛ وذلك لمضايقتهم من الناحيتين العسكرية والاقتصادية، حتى يضطروا إلى إعلان الولاء لهم[٢].

أما الأسلحة التي استعملها السعوديون، فمنها السيوف والرماح والخناجر والبنادق. ومع وجود مدافع لديهم غنموا بعضها من خصومهم، فإنهم لم يستفيدوا منها في غزواتهم التوحيدية[٣]. لكنهم استفادوا منها نوعًا ما في دفاعهم ضد الحملة العثمانية التي قام بها حاكم مصر[٤].

على أنه ينبغي أن يشار إلى أن الأسلوب الحربي الذي اتَّبعه القادة السعوديون، ونجح نجاحًا كبيرًا في مراحل تكوين دولتهم واتِّساعها، كان يحمل

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٣١؛ عبدالرحيم، **الدولة السعودية**، ص٢٥٣.

(٢) من هذه القلاع أو القصور قصر الغذوانة قرب الرياض، وقصر البدع حول الدلم، والقصر الذي بناه أبو نقطة في نجران، انظر ابن غنَّام، ج٢، ص٥٣ و١٠٧؛ ابن بشر، ج١، ص٤٩، ٩٠.

(٣) يذكر ابن بشر، (ج١، ص٢٣١) أنه كان لدى سعود ستون مدفعًا.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٣.

في طياته بعض الجوانب الضعيفة. ذلك أن من انضم إلى الدولة وحارب معها زمن انتصاراتها على القوى المحلِّية من غير اقتناع بالدعوة التي قامت عليها سرعان ما أصبح عامل هدم خطير لكيانها حينما تَعَّرضت لهجوم خارجي بدت بوادر تَفوُّقه عليها.

٣- النظام المالي:

وكان النظام المالي للدولة السعودية الأولى مشابهًا للنظام المالي للدولة الإسلامية في الفترة المبكرة من تاريخ الإسلام. فقد كانت أهم مصادر الدخل:

أ-الزكاة:

وفي طليعة ما يُزكَّى الثروة الحيوانية كالإبل والغنم، والمحاصيل الزراعية من تمور وحبوب. وكان دخل الدولة من الزكاة يزداد بازدياد قوتها واتِّساع نفوذها، حتى بلغ قمته زمن الإمام سعود ابن عبدالعزيز[١].

ب- الغنائم:

وقد سبقت الإشارة إلى كثرة غزوات السعوديين وانتصاراتهم. وكانت الدولة تأخذ خمس ما يغنم من الخصوم بحرب. أما الباقي فَيوزَّع على أفراد الجيش المحارب وفق أحكام الشريعة[٢].

وإلى جانب الغنائم الفيء، وهو ما أُخِذ من الأعداء بدون حرب؛ مثل أملاك من هربوا من الرياض عند استيلاء عبدالعزيز بن محمد عليها. ويدخل الفيء كُلُّه إلى بيت مال الدولة[٣].

---

(١) انظر تفاصيل بعض مقادير الزكاة في المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٢ - ٢٣٣. وقد قدَّر ما يأتي من مطير وهتيم وعنزة فقط بسبعين ألف ريال.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ١٥٠.

(٣) ابن غنَّام، ج٢، ص٨٦.

ج- العقوبات:

وهي متنوعة. منها النَّكال لنكث عهد أو مطاولة حرب[١]. ومنها المعاقبة على إخلال بأمن، أو عدم الوفاء بالتزامات التجنيد[٢].

أما وجوه الإنفاق فمن أَهمِّها:

أ- المتطلبات التي كانت ضرورية للحكم؛ مثل الهدايا والهبات والضيافة[٣].
ب- مُرتَّبات الولاة والقضاة وعمال الزكاة والحرس في العواصم والحصون العسكرية، والإنفاق الجزئي على الغزوات.
ج- مكافآت المعلِّمين وطلاب العلم[٤].
د- مساعدة الفقراء ومن تَحلُّ بهم كوارث[٥].

على أن مصادر الدخل فاقت وجوه الإنفاق العامة بدرجة كبيرة.

ولذلك فإن الدولة أصبحت غنية جدًّا؛ وبخاصة زمن الإمام سعود بن عبدالعزيز. واستطاع قادتها أن ينعموا بحياة التنعم المتناسبة مع ظروفهم الاجتماعية في تلك الفترة؛ مثل اقتناء المماليك والخيل وبناء القصور الفارهة نسبيًّا[٦].

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٦ - ٥٧ و٦٣.

(٢) ابن بشر، ج١، ص١٧١ و١٧٤.

(٣) يذكر ابن بشر (ج١، ص٢٣٠) أن خازن قصر الإمام يظهر يوميًّا للضيوف خمس مئة صاع من البر والأرز.

(٤) المصدر نفسه ج١، ص١٧٤.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص١٧٣ - ١٧٤.

(٦) يذكر ابن بشر (ج١، ص٢٣١) أن مماليك سعود بلغوا ألفًا ومئتين بين ذكر وأنثى. وأن عدد خيله بلغ ألفًا وأربع مئة. ويقول بوركهارت (**مواد لتاريخ الوهابيين**، ترجمة عبدالله العثيمين، الرياض، ١٤٠٥هـ، ص٣٧): إن خيله كانت ألفين).

٤- العلم والتعليم:

ولقد كان أمرًا طبيعيًّا أن تهتم الدولة القائمة على أساس من الدعوة الإصلاحية بالتعليم. وكان ذلك واضحًا في سيرة قادتها الذين حرصوا كل الحرص على حضور مجالس العلم، وتتلمذوا على العلماء المُتميِّزين. بل إن من أولئك القادة من كانوا لا يقتصرون على المناقشة العلمية، وإنما يُفسِّرون ما يقرؤه القارئ عليهم، ويوردون أقوال العلماء المختلفة حوله[١].

وقد بلغ من حرص قادة الدولة السعودية الأولى على التعليم أنهم كانوا يصطحبون معهم في الغزوات علماء يعقدون مجالس علمية ينتفع بها أفراد الجيش الغازي[٢]. وبجهود أولئك القادة، وإخلاص علماء البلاد، ازدهرت الحياة العلمية ازدهارًا عظيمًا، ووجدت في الدِّرْعيَّة بالذات مكتبات قَيِّمة ضَمَّت كتبًا كثيرة في موضوعات علمية مختلفة[٣].

وكان التعليم مُركَّزًا، بدرجة كبيرة، على التوحيد وما يَتعلَّق بالعبادة[٤]. لكن العلوم الشرعية الأخرى؛ مثل الحديث والتفسير والسيرة النبوية والفقه، نالت حظًّا وافرًا من الاهتمام.

وفي طليعة علماء تلك الفترة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأبناؤه وأحفاده وتلاميذه، الذين أضافوا إلى المكتبة العربية الإسلامية كثيرًا من الكتب القَيِّمة؛ لا سيما في مجال التوحيد والعقيدة.

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧ و٢٢٦.

(٣) بوركهارت، **ملحوظات** ج١، ص ٢٥٠ ويقول: إن سعودًا كان يملك أغنى مكتبة عربية حينذاك.

(٤) وكان هذا متوقعًا، لأن الدعوة الإصلاحية أساسها التوحيد.

ومن الواضح أن العلماء المشار إليهم قد درسوا قواعد اللغة العربية وأجادوها، لأن كتاباتهم توضح ذلك غاية التوضيح. لكن من اللافت للنظر أنه لم تحدث نهضة أدبية- لا شعرًا ولا نثرًا- تضاهي النهضة العلمية الشرعية أو تقرب منها. ومن اللافت للنظر، أيضًا أن ما أُثِر من الشعر العامي- القريب من الشعر بالفصحى في ألفاظه ومعانيه وفي أغراضه وبحوره- في تلك الفترة لم يصل إلى المستوى الذي كان عليه قبل قيام الدولة السعودية الأولى، ولا إلى ما وصل إليه بعد نهايتها؛ كثرةً وجودة[1].

٥- العلماء والقضاة:

كان على رأس علماء الدولة السعودية الأولى الشيخ محمد بن عبدالوهاب إمام الدعوة التي قامت على أساسها تلك الدولة، ومؤلف الكتب القَيِّمة الكثيرة في أصول الدين وفروعه. وقد برز في عهد الدولة المذكورة علماء أَجلَّاء أغلبهم تتلمذ على ذلك الشيخ الإمام، ونهلوا من نمير علمه الزلال. ومن أشهر هؤلاء:

أ- عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، الذي خلف أباه في الفتوى وإدارة الشؤون الدينية. وقد أَلَّف عدة كتب تَدلُّ على سعة علمه؛ لا سيما في مجال العقيدة. وكان مع سعود بن عبدالعزيز عندما دخل مكة عام ١٢١٨هـ. وقد دافع دفاع الأبطال عن الدِّرْعيَّة خلال حصار إبراهيم باشا لها. ثم أُخِذ مع من أُخِذَ من أسرته إلى مصر بعد نهاية الدولة السعودية الأولى، ومكث هناك حتى توفي عام ١٢٤٢هـ عن عمر يناهز السابعة والسبعين[2].

---

(١) كان من أبرز شعراء نجد قبل الدولة السعودية حميدان الشويعر، وجبر بن سيَّار، ورميزان بن غشام، وأخوه رشيدان. أما بعد الدولة السعودية الأولى فمن أشهر الشعراء عُبيد بن رشيد، وأخوه عبدالله، ومحمد القاضي، وتركي بن حميد، وراكان بن حثلين.

(٢) الشيخ البسام، ج١، ص٤٨ - ١٥٥.

ب- حسين بن محمد بن عبدالوهاب، الذي كان كفيف البصر نَيِّر البصيرة، وكان خطيب جامع الطُّرَيْف الكبير في الدِّرْعيَّة، كما كان أحد قضاة هذه البلدة. وقد توفي عام ١٢٢٤هـ[١].

جـ- سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب الذي وُلِد عام ١٢٠٠هـ، وتَفقَّه في الدين أصولًا وفروعًا، فألَّف كتبًا جيِّدة. وتولَّى القضاء في مكة فترة قصيرة. وقد وُشِي به عند إبراهيم باشا بعد استسلام الدرعية، فأحضره وأهانه، ثم أمر جنده أن يطلقوا عليه رصاصهم دفعة واحدة، ففعلوا، وتَمزَّق جسده إربًا[٢].

د- عبدالعزيز بن عبدالله الحُصَيِّن الذي وُلِد في القرائن سنة ١١٥٤هـ. ثم أَكبَّ على طلب العلم في الدِّرْعيَّة حتى أصبح عالمًا جليلًا. وقد أُرسِل إلى مكة لشرح ما كان يدعو إليه الشيخ محمد ابن عبدالوهاب سنة ١١٨٥هـ، ثم سنة ١٢٠٤هـ. وكان قاضيًا للوَشْم في عهود عبدالعزيز بن محمد وابنه سعود وحفيده عبدالله. وقد جَنَّب الله أهل شقراء بطش إبراهيم باشا بشفاعته لهم عنده. وكانت وفاته سنة ١٢٣٧هـ[٣].

هـ- عبدالرحمن بن نامي الذي وُلِد في العُيَينة، ولازم الشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى أصبح فقيهًا لامعًا. ثم عُيِّن قاضيًا في مسقط رأسه، ثم في مكة فترة قصيرة. وأخيرًا عُيِّن قاضيًا في الأحساء. وقد قتله القائد التركي الذي أرسله إبراهيم باشا إلى الأحساء عام ١٢٣٤هـ[٤].

ح- حمد بن ناصر بن مُعمَّر الذي وُلِد في العُيَينة، ودرس على الشيخ محمد في الدرعية حتى أصبح عالمًا جليلًا. وقد ترأس وفدًا من العلماء إلى مكة

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٢٢٠ - ٢٢١.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٣ - ٢٩٨.

(٣) ابن بشر، ج١، ص١٠٦، ١٢٠، ٣٠٨، ٣١٠؛ الشيخ البسام، ج٢، ص٤٧٦ - ٤٨٢.

(٤) المصدر الأخير نفسه، ج٢، ص٤٣٢، وقد أشار إلى تقدير المكين لعدالته بوركهارت، **ملحوظات**، ج٢، ص١٩٦.

سنة ١٢١١هـ، وناظر علماء تلك البلدة في مجال التوحيد والعقيدة. وفي عام ١٢٢٠هـ حمل خطاب الصلح من الإمام سعود إلى الشريف غالب. ثم أصبح قاضيًا في مكة حتى وفاته فيها سنة ١٢٢٥هـ[١].

ط- حمد بن راشد العُرَيني. وقد تتلمذ على الشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى نال من العلم ما أهَّله لتولِّي القضاء. فَعُيِّن قاضيًا لسُدَير في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد[٢].

ي- عبدالعزيز بن سويلم وقد وُلِد في الدِّرْعيَّة، وتتلمذ على الشيخ محمد. ثم عُيِّن قاضيًا في بُرَيدة في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد، وظَلَّ قاضيًا لها حتى وفاته فيها سنة ١٢٤٤هـ[٣].

ك- علي بن حمد بن راشد العُرَيني. وقد تتلمذ على علماء الدِّرْعيَّة الكبار، وأصبح قاضيًا للخرج. ولما استولى إبراهيم باشا على الدِّرْعيَّة قتله[٤].

ل- سعيد بن حجي، وقد درس على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعلماء الدرعية، وتَولَّى قضاء حوطة بني تميم وما حولها في عهدي الإمامين عبدالعزيز بن محمد وابنه سعود. وتوفي سنة ١٢٢٩هـ[٥].

م- عبدالله بن سليمان بن عُبَيد. وقد تعلَّم على أيدي علماء الدِّرْعيَّة. ثم تَولَّى قضاء جبل شَمَّر في عهدي الإمامين سعود بن عبدالعزيز وابنه عبدالله. ثم ولي قضاء سُدَير، وتوفي سنة ١٢٤١هـ[٦].

---

(١) الشيخ البسام، ج١، ص٢٣٩ - ٢٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٦٣.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٧١٣.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٣.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٥٠.

ن- محمود الفارسي. وقد تتلمذ على علماء الدِّرْعيَّة، ثم ولي قضاء القطيف في عهدي الإمامين سعود وابنه عبدالله[1].

س- قرناس بن عبدالرحمن. وقد وُلِد عام ١١٩٠هـ، ونشأ في الرس. ثم درس على علماء الدِّرْعيَّة وقد عُيِّن قاضيًا عند قبيلة حرب سنة ١٢٢٠هـ. وكان له دور كبير في صمود أهل الرس ضد قوات إبراهيم باشا. وقد تَولَّى قضاء القصيم. وتوفي عام ١٢٦٢هـ[2].

ع- غُنَيم بن سيف. وقد وُلِد في ثادق، ودرس على علماء الدِّرْعيَّة. ثم ولي قضاء عنيزة في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز حتى توفي فيها سنة ١٢٢٥هـ[3].

ف- راشد السردي. وقد ولي قضاء حوطة بني تميم في عهد الإمام عبدالله بن سعود. ولما استولى إبراهيم باشا على الدِّرْعيَّة قتله[4].

٦- الأمراء وقادة الجيوش:

كان قائد الجيوش السعودية في الخمسة والعشرين عامًا الأولى من القتال بين أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وخصومهم عبدالعزيز بن محمد بن سعود في أغلب الأحيان. ثم تلاه ابنه سعود؛ وبخاصة في الغزوات الكبيرة. وهناك عدد من أفراد الأسرة السعودية ذاتها قادوا بعض الغزوات والسرايا.

على أن أمراء المناطق ورؤساء بعض القبائل، وآخرين غير هؤلاء وأولئك، كانت لهم ريادة في قيادة الغزوات ومَدِّ الحكم السعودي وتثبيته. والحديث عن كل

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٣٨ و٢٨١.

(٢) الشيخ البسام، ج٣، ص٧٦٤ - ٧٦٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٧٥٣.

(٤) ابن بشر، ج١، ص٢٧٨ و٢٨١.

فرد من هؤلاء يطول. ولذلك فإن من المستحسن الحديث بإيجاز عن بعض الأمراء والقادة، الذين كان لهم أثر كبير في تاريخ الدولة السعودية الأولى؛ دفاعًا عنها، ومَدًّا لحكمها. وكان بعض أولئك الأمراء والقادة من الحاضرة، وبعضهم الآخر من البادية. لكن أكثرهم كانوا من الحاضرة على أَيِّ حال. ومن أشهر هؤلاء:

أ- سليمان بن عُفَيْصان. وقد وقف مع تلك الدولة ضد خصومها في منطقة الخرج بدءًا بسنة ١١٩٠هـ. ثم عُيِّن أميرًا على تلك المنطقة عام ١١٩٩هـ. وقاد عِدَّة غزوات في شرقي الجزيرة العربية حتى توفي عام ١٢٠٧هـ[١].

ب- إبراهيم بن سليمان بن عُفَيْصان. وقد ولي إمارة الخرج بعد وفاة أبيه، وقاد- مثل ذلك الأب- غزوات في شرقي الجزيرة العربية. وكان رئيس إحدى الحاميتين السعوديتين في الأحساء سنة ١٢١٣هـ. ثم عُيِّن أميرًا للإحساء عام ١٢١٩هـ. وبعد فترة عُيِّن أميرًا لعنيزة حيث توفي فيها سنة ١٢٢٩هـ[٢].

ج- فهد بن سليمان بن عُفَيْصان. كان أول نشاط مذكور له عندما أُرسِل إلى البحرين سنة ١٢٢٥هـ مديرًا لبيت المال. ثم تَولَّى إمارة الأحساء في عهد الإمام عبدالله بن سعود. وقد قتله قائد عسكر إبراهيم باشا مع من قتل من آل عُفَيْصَان في الدِّلَم جورًا سنة ١٢٣٤هـ[٣].

د- حُجَيلان بن حمد. وقد عُيِّن أميرًا لبُرَيدة وما يتبعها من بلدان القصيم سنة ١١٩٠هـ، فنجح في توطيد الحكم السعودي هناك. وقد قام بكثير

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٩٥ - ٩٧، ١٠٠ - ١٠٣، ١١١و ١٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٣٣ - ١٣٦، ١٥٩، ١٧٧، ١٨١، ٢٠٥، ٢٣٧ و٢٤١.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٧ - ١٩٨، ٢٨١و ٢٩١.

من الغزوات لمصلحة ذلك الحكم ومَدِّ رقعته. وظَلَّ أميرًا نشِيطًا في غزواته حتى قضى إبراهيم باشا على الدولة السعودية الأولى، فأُخِذ إلى المدينة المنوِّرة سنة ١٢٣٤هـ حيث توفي هناك بعد وصوله إليها بقليل[١].

هـ- ربيع بن زيد. وكان رئيس المخاريم من الدواسر. قدم إلى الدِّرْعيَّة عام ١١٩٩هـ، وبايع قادتها. ثم أخذ ينشر مبادئ الدعوة بحماس في الوادي، ويحارب بشجاعة من يعارضها. وكان له مواقف مشهودة في الدفاع عن الأراضي السعودية، وتوسيع رقعة نفوذ آل سعود؛ وبخاصة في جهات عسير[٢].

و- عثمان المضايفي. كان صهرًا للشريف غالب، ثم اختلف معه، وانضم إلى آل سعود عام ١٢١٧هـ، فاستولى بمعونتهم على الطائف، وأصبح أميرًا لهم عليها. وقد ساهم في إدخال الحجاز كلها تحت حكمهم. ولما استولت قوات حاكم مصر العثماني، محمد علي باشا، على تلك المنطقة طاردته حتى قبض عليه أناس من المتعاونين معها، وأُخِذ إلى مصر، ثم إلى اسطنبول حيث قُتِل أواخر سنة ١٢٢٨هـ[٣].

ز- محمد بن مُعَيقل. بدأ نشاطه عام ١٢٠٥هـ عندما كُلِّف بتعقُّب جيش شريف مكة المنهزم. ثم قاد جيوش المناطق السعودية المتجهة إلى الجوف سنة ١٢٠٨هـ. وقاد جيشًا ضد قبيلة عُتَيبة سنة ١٢١٠هـ، كما قاد جيشًا مساندًا لهادي بن قَرْملة في السنة ذاتها. وفي سنة ١٢١١هـ

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٨٣، ٩٤، ٩٨، ١٠٠، ١٣٠، ١٥٠، ١٧٧، ١٨٨، ٢٢٣، ٢٣٨، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٨١، ٢٩٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٩٧، ١٠١ - ١٠٢، ١٠٨، ١٣٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٥١، ١٥٧، ١٧٧ و٢٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٥٦، ١٦٢ - ١٦٥، ١٧٧، ١٨٤، ١٨٨، ١٩٤، ٢٠٠، ٢١٤ - ٢١٧ و٢٣٧.

قاد الجيوش الموجَّهة لصد حملة ثُوَيني بن عبدالله، كما قاد جيشًا ضد جزيرة العمايرِ في السنة نفسها. ثم قاد جيشًا ضد آل خليفة سنة ١٢٢٤هـ[١].

ح- هادي بن قَرْملة. زعيم قبيلة قحطان. وقد وفد إلى الدِّرْعيَّة سنة ١٢٠١هـ، وبايع قادتها، فصدق معهم، وأبلى بلاءً حسنًا في المهمَّات التي كَلّفوه بها؛ وبخاصة في المعارك مع قوات أشراف مكة والمعارضين في جهات عسير. وقد وصل بغاراته إلى حدود حضرموت جنوبًا. وقُتِل في معركة وادي الصفراء التي حدثت بين طوسون وعبدالله بن سعود عام ١٢٢٦هـ[٢].

ط- عبدالوهاب أبو نقطة. وقد وفد إلى الدِّرْعيَّة مع أخيه محمد سنة ١٢١٥هـ، وعاهدا قادتها على السمع والطاعة. فبعث الإمام عبدالعزيز بن محمد معهما سَريَّة بقيادة ربيع بن زيد. وانتشرت دعوة الشيخ محمد في عسير. ولما توفي محمد أبو نقطة، سنة ١٢١٧هـ، أصبح عبدالوهاب أميرًا لتلك المنطقة. وكان له دور كبير في إدخال الحجاز وجازان تحت الحكم السعودي. وقد قاد غزوات كثيرة ضد خصوم ذلك الحكم. وقُتِل في معركة دارت بينه وبين الشريف حمود حاكم إقليم جازانَ سنة ١٢٢٤هـ[٣].

ي- طامي بن شُعَيِّب. وَلَّاه الإمام سعود إمارة عسير بعد مقتل عبدالوهاب أبي نقطة، فأبدى نشاطًا كبيرًا لمدِّ الحكم السعودي في ساحل اليمن،

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٩، ١٣٢ - ١٣٦، ١٤٢، ١٤٨ و١٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١/ ١٠٠، ١٠٧، ١١، ١٣٤ - ١٣٦، ١٤٩، ١٥١، ١٦٢ و٢١١.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ١٧٧، ١٨٢ - ١٨٨، ١٩٤ - ١٩٥ و٢٣٧.

وقاد مقاومة باسلة ضد قوات محمد علي باشا في عسير كَبَّد فيها خصومه خسائر فادحة. لكن تلك القوات انتصرت آخر الأمر، وراحت تطارده. فاستقدمه حسن بن خالد إلى صبيا، ثم سَلَّمه لأتباع محمد علي سنة ١٢٣٠هـ، فأُخِذَ إلى مصر، ثم بعث به إلى اسطنبول حيث قُتِل هناك[١].

ك- مطلق المطيري. ظهر نشاطه القيادي سنة ١٢٢٤هـ عندما أُرسِل قائدًا للجيوش المتجهة إلى عمان، فَحقَّق نجاحًا كبيرًا، وظَلَّ قائدًا للجيوش السعودية هناك طوال بقية عهد الإمام سعود ابن عبدالعزيز. وقد قُتِل سنة ١٢٢٦هـ[٢].

ل- غَصَّاب العتيبي. بدأ نشاطه الواضح سنة ١٢٢٠هـ. وفي سنة ١٢٢٤هـ أُرسِل من الدرعية قائدًا لفرقة مختارة من الفرسان دعمًا لعبدالوهاب أبي نقطة ومن معه من السعوديين ضد الشريف حمود حاكم جازان. وكان مع القادة في جنوب الطائف ضد قوات محمد علي سنة ١٢٢٩هـ. ثم قاد المقاومة في منطقة تُرَبة تلك السنة. وكان رئيسًا للخيَّالة في الدِّرْعيَّة عندما حاصرها إبراهيم باشا عام ١٢٣٣هـ. لكنه آخر الأمر- ربما لخلاف مع الإمام عبدالله بن سعود- خرج من الدِّرْعيَّة، وقصد إبراهيم باشا المحاصر لها[٣].

م- مسعود بن مُضيَّان، عندما توفي أخوه بَدَّاي، سنة ١٢٢٠هـ، عَيَّنه الإمام سعود مَحلَّه في رئاسة حرب. وكان من الذين أمرهم ذلك الإمام بمنع أمير الحج الشامي، عبدالله العظم، من مواصلة السير إلى مكة خوفًا

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٥، ٢٠٠، ٢٢٣، ٢٣٧، ٢٤٢ - ٢٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٦، ٢٠٣ - ٢٠٤، ٢١٩، ٢٣٧ و٢٨١.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٨٥، ١٩٤، ٢٢٢، ٢٤٣، ٢٧٣.

من أن يستعين به الشريف غالب ضد الحكم السعودي. وكان لمسعود دور بارز في معركة وادي الصفراء التي دارت سنة ١٢٢٦هـ، بين القوات السعودية بقيادة عبدالله ابن سعود وقوات محمد علي باشا بقيادة ابنه طوسون، وقد أخذه رجال حاكم مصر إلى القاهرة، وقتلوه فيها.

٧- نهاية الدولة السعودية الأولى:

سبق أن ذُكِر بأن الدولة العثمانية رأت في خروج الحجاز عن دائرة نفوذها ضربة معنوية موجهة لهيبتها في العالم الإسلامي، وأنها عقدت العزم على انتزاع تلك المنطقة من آل سعود والقضاء على دولتهم التي لم تقتصر على بسط حكمها على أكثر مناطق الجزيرة العربية، وإنما بلغت طلائع قواتها المتحفزة عدة أماكن في العراق والشام. وكانت تجربة العثمانيين في محاربة السعوديين عن طريق باشوية بغداد قد باءت بالفشل قبل بلوغ الدولة السعودية المستوى الذي بلغته بعد دخول الحجاز وعسير والمخلاف السليماني تحت حكمها. وكان آخر والٍ رأى السلطان العثماني أن يَكِل إليه محاربة الدولة السعودية هو محمد علي باشا حاكم مصر[١].

وتشير المصادر إلى أن أَوَّل أمر من الدولة العثمانية لمحمد علي بغزو السعوديين كان عام ١٢٢٢هـ[٢]. غير أن الغزو لم يبدأ إلا بعد أربع سنوات من ذلك التاريخ. فقد رأى حاكم مصر ضرورة الإعداد الجَيِّد للحملة العسكرية،

---

(١) بعد أن أجلى العثمانيون الفرنسيين من مصر، سنة ١٢١٦هـ، دبَّ الخلاف بين الجيش وقادته بسبب تأخر المرتَّبات. ثم تطور الخلاف إلى حدوث فوضى في البلاد. فانتهز هذه الفرصة الضابط الألباني، محمد علي، ونهض لإخماد الفتن. وقد نجح في مسماه بمساعدة أعيان البلاد الذين رشحوه لولاية مصر. ووافقتهم الدولة العثمانية على ذلك عام ١٢٣٠هـ. ولقد حاول المماليك، الذي كان لهم نفوذ في الصعيد، الإطاحة به بمساعدة البريطانيين، لكنهم فشلوا.

(٢) عبدالرحيم، **الدولة السعودية**، ص٢٩٨.

التي سيقوم بها لأن مستقبله في الحكم سيتأثر، بدرجة كبيرة، بنجاحه أو فشله في تلك الحملة. ومن الخطوات التي قام بها في هذا المجال بناء أسطول مُكوَّن من ثمانٍ وعشرين سفينة ومستودعات للأرزاق في السويس، والاتِّصال بالشريف غالب ليُرتِّب معه ما ينبغي اتِّخاذه من إجراءات. ورأى حاكم مصر، أيضًا ضرورة القضاء على خصومه في داخل البلاد قبل أن تَتحرَّك قواته إلى الجزيرة العربية، لئلا يُعرِّض مركزه للخطر أثناء غياب تلك القوات[1]. وكان آخر إجراء اتَّخذه ضد أولئك الخصوم غدره بزعماء المماليك والقضاء عليهم في حفلة إسناد قيادة الحملة المتجهة إلى الحجاز لابنه طوسون؛ إذ قتل من حضر منهم، ولم ينج من غدره إلا واحد هرب من القلعة[2].

وكان الجو في الحجاز مُهيَّأً لنجاح الحملة المصرية العثمانية. ذلك أن الشريف غالبًا لم يَنضمَّ إلى الدولة السعودية عن رضا واقتناع. وكان يَتطلَّع إلى اليوم الذي يَتخلَّص فيه من تلك الدولة[3]. وكان انقطاع الحج من الولايات العثمانية الغنية قد أَضرَّ ببعض التجار الحجازيين. كما أضرَّ ببعض زعماء القبائل الذين كانوا يأخذون إتاوات على قوافل الحجاج. ولهذا فإن الفئات التي لها النفوذ الأكبر في المجتمع كانت توافق زعامتها السياسية التقليدية في المشاعر غير الوُدِّية تجاه الحكم السعودي.

وبعد أن اطمأن محمد علي إلى وضعه الداخلي، واستكمل الترتيبات اللازمة للحملة، انطلق بها ابنه طوسون عام ١٢٢٦هـ. ووصلت الحملة برًّا وبحرًا

---

(١) البطريق، ص٩٠ - ٩١.

(٢) انظر تفاصيلها في كتاب الرافعي، **عصر محمد علي**، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٣٧٠هـ، ص١١٢ - ١١٧. ومن بين الأمور التي قام بها محمد علي خلال تلك الفترة محاولة إضافة سوريا إلى ولايته. لكن السلطان العثماني رفض طلبه. انظر البطريق، ص٩٤ - ٩٦.

(٣) دحلان، ص٢٩٥.

إلى ينبع. وكان عدد أفرادها ثمانية آلاف مقاتل[1]. وحين وصلت إلى البلدة الحجازية المشار إليها استولت عليها دون عناء. ثم زحف طوسون من ينبع صوب المدينة المنورة؛ مُتَّخِذًا إغراء القبائل الموجودة في المنطقة بالهدايا والأموال وسيلة لتمهيد الطريق أمام قواته. واستولى على بلدة بَدْر بسهولة. غير أنه حينما اشتبك مع القوات السعودية الكبيرة بقيادة عبدالله بن سعود في وادي الصفراء تَكبَّد هزيمة ساحقة. وفَرَّ مع من نجا من جيشه عائدًا إلى ينبع. ومن حسن حظه أن السعوديين لم يَتعقَّبوا فلول قواته المنهزمة ويقضوا عليها[2].

وبعد عودة طوسون إلى ينبع انتظر حتى قدمت إليه تعزيزات جديدة من مصر، كما وصلت إليه مبالغ كبيرة لتوزيعها على رجال القبائل. وقد نجح في استمالة بعض رؤساء قبيلتي حرب وجهينة الذين كانوا في الجهات المحيطة بوادي الصفراء[3]. وكانت القوات السعودية قد انسحبت من تلك الجهات بعد انتصارها العظيم على طوسون؛ معتقدة، فيما يبدو، أن الحامية التي تركتها في المدينة المنورة كافية لدرء الخطر عنها. وهكذا باجتذاب بعض فئات القبائل، وخُلوِّ الطريق نسبيًّا من المدافعين السعوديين، وصل طوسون إلى المدينة، وحاصرها. وقد استعمل في حصارها المدافع والمتفجرات. ومن سوء حظ الحامية السعودية الموجود فيها أن سكان المدينة كانوا، بصفة عامة، لا يُكنُّون مَودَّة لقادة الدِّرْعيَّة. بل إنهم كانوا يضمرون كرهًا لهم. ولذلك تعاونوا مع الجيش الغازي ضد رجال الحامية السعودية حتى أصبحت في موقف حرج، وانتشر المرض بين أفرادها، واضطرت إلى الاستسلام في ذي القعدة سنة ١٢٢٧هـ[4].

---

(١) عبدالرحيم، **الدولة السعودية**، ص٣٠٣.

(٢) انظر تفصيلها لدى ابن بشر، ج١، ص٢٠٧ - ٢١١؛ وفي كلام عبدالرحمن بن حسن، حفيد الشيخ محمد، الذي كان مع الجيش السعودي، **الدرر السنية**، ج٩، ص٢٢٢ - ٢٢٤؛ وقارن ذلك بعبدالرحيم، **الدولة السعودية**، ص٣٠٤ - ٣٠٦.

(٣) الرافعي، ص١٣٧.

(٤) ابن بشر، ج١، ص٢١٢ - ٢١٣.

وكان لاستيلاء طوسون على المدينة المنورة أثر كبير في رفع معنويته، وبَثِّ الحماسة والثقة في نفوس أفراد جيشه، وزيادة المُنضمِّين إليه من رجال القبائل، مما فتح الطريق أمامه للتوغل في بقية الحجاز. وبالاتفاق السرِّي مع الشريف غالب تَوجَّه بقواته إلى جدة، ودخلها دون مقاومة، ثم اتَّجه إلى مكة المكرمة، ودخلها بمساعدة الشريف غالب بعد أن تركتها الحامية السعودية بأمر من عبدالله بن سعود الذي كان معسكرًا خارج البلدة. وكان دخول طوسون لمكة في شهر المُحرَّم سنة ١٢٢٨هـ. وبعد دخوله إيَّاها انسحب عبدالله بن سعود من معسكره خارجها إلى العُبَيْلاء ثم ترك هذه البلدة وتَوجَّه إلى الخُرْمة. ومن الواضح أن اليأس قد دَبَّ في نفوس بعض قادة السعوديين بالنسبة لموقفهم في الحجاز. وكان عثمان المضايفي أحد هؤلاء، ذلك أنه لم يبق في الطائف بعد انسحاب عبدالله بن سعود، بل تَوجَّه إلى رَنْية. فأرسل طوسون فرقة من جيشه استولت على الطائف، وتَوجَّه إلى هذه البلدة بصحبة الشريف غالب[1].

وهكذا دخلت المدن الحجازية الكبيرة تحت نفوذ طوسون، وحققت الدولة العثمانية الهدف الأساس من أهدافها باستعادة الحرمين الشريفين من السعوديين. ومن الواضح أن تعاون زعماء المدن الحجازية وزعماء القبائل في المنطقة مع جيش الغزاة كان أَهمَّ الأسباب التي سهلت لهم التَّغلُّب على القوات السعودية. على أن الدولة السعودية ظلَّت قوية. فهي وإن فقدت الحجاز فإنها كانت تحتفظ بالمناطق الأخرى التي تثق بولاء سكانها إلى درجة كبيرة.

ولقد شَجَّع طوسون ما أحرزه من نجاح في الحجاز على محاولة ضم مناطق أخرى توسيعًا لنفوذه، ومحافظة على ما استولى عليه. ولذا بعث ثلاث

---

(١) دحلان، ص٢٩٥ - ٢٩٦؛ ابن بشر، ج١، ص٢١٣ - ٢١٥؛ عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص٣١٠ - ٣١١.

مئة رجل إلى الحناكية ليكونوا طليعة لجيشه صوب نجد. ثم بعث فرقة من جيشه إلى تُرَبة للاستيلاء عليها[١]. فماذا فعل السعوديون؟

قاد الإمام سعود قوات، واتَّجه إلى الحناكية حيث حاصر رجال طليعة طوسون، وأجبرهم على الاستسلام، وبعد أن استسلموا له أرسلهم مخفورين إلى العراق[٢]. ثم قام بهجمات ناجحة على القبائل التي وقفت مع جيش طوسون، واستطاع أن يصل بقواته إلى ضواحي المدينة المنورة ووادي الصفراء، ثم عاد إلى الدِّرْعيَّة. وانطلق من نجد جيش سعودي آخر تدعيمًا للجبهة الجنوبية، واتَّخذ من بلدة تُرَبة مركزًا له. ولما اشتبك هذا الجيش مع الفرقة التي بعثها طوسون إلى هناك استطاع - بإمدادات من بيشة وما حولها - أن يحقق انتصارًا عظيمًا على خصومه[٣].

وبعد أن انتصرت القوات السعودية في تُرَبة بدأ عثمان المضايفي بمهاجمة الطائف ذاتها، واتَّخذ من بِسْل مقرًّا لقيادته. فسار إليه الشريف غالب بقوات كبيرة، وحاصره. فهرب عثمان من هناك، لكن أناسًا من المتعاونين مع الغزاة أمسكوه وسَلَّموه إلى غالب. فبعثه إلى مصر، ثم بُعِث به من هناك إلى العاصمة العثمانية حيث قُتِل[٤].

وإدراكًا من محمد علي لما طرأ على موقف قواته من ضعف أمام القوات السعودية قَرَّر أن يقود بنفسه إمدادات جديدة لَعَلَّه يَتمَّكن من تغيير الوضع

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢١٥ - ٢١٦.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢١٥، وكان إرسالهم إلى هناك بخفارة أمير جبل شمَّر محمد بن عبدالمحسن.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢١٥ - ٢١٦؛ عبدالرحيم، **الدولة السعودية**، س٣١٢.

(٤) دحلان، ج٢، ص٢٩٦؛ ابن بشر، ص٢١٦ - ٢١٧؛ العجلاني، **عهد سعود الكبير**، ص١٣٠.
وتذكر بعض المصادر أن الإمام سعود بن عبدالعزيز عرض دفع فدية كبيرة لإطلاق سراح عثمان، كما عرض الصلح مع محمد علي. لكن عرضه لم يُقبَل. انظر الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، الطبعة الثانية، دار الجيل ببيروت، ١٩٧٨م، ج٣، ص٤٢٠. ودحلان، ج٢، ص٢٩٦.

لصالحه. ولما وصل إلى الحجاز كان من أَوَّل الأعمال التي قام بها القبض على الشريف غالب ونفيه عن البلاد. وعَيَّن مَحلَّه في شرافة مكة ابن أخيه يحيى بن سرور[1]. وأخذ يُعدُّ قواته إعدادًا جيدًا حتى اعتقد أنها أصبحت قادرة على محاربة السعوديين، وزحفت تلك القوات بقيادة طوسون ومعه الشريف راجح، أحد كبار الأشراف وشجعانهم. إلى تُرَبة، لكنها فشلت في الاستيلاء عليها، وعادت إلى الطائف بعد أن تَكبَّدت خسائر فادحة[2].

ومن الواضح أن الأشراف شَكُّوا في نوايا محمد علي بعد غدره بالشريف غالب، وخافوا أن يكون مصيرهم مثل مصيره. ولذلك هرب الشريف راجح وانضم إلى القوات السعودية في تُرَبة. ولَعلَّ هروبه حدث وقوات محمد علي في طريقها إلى هذه البلدة. ثم خرج الشريف يحيى بن سرور من مكة؛ مظهرًا أنه سيغزو بعض القبائل المعارضة له، وهرب إلى تهامة[3].

وكان محمد علي قد أرسل قوات لتستولي على القُنْفذة، فدخلتها دون صعوبة. لكن القوات السعودية انتزعتها منها وكَبَّدتها خسائر فادحة[4]. وبذلك ازداد موقفه حرجًا. وتراجعت قواته إلى الطائف. لكن إمدادات جديدة قدمت إليه من مصر، كما وصلت إليه من هناك مبالغ مالية ضخمة، فأخذ يُدرِّب قواته تدريبًا جيدًا، ويغدق الهدايا والأموال على رجال القبائل[5].

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٢١؛ دحلان، ج٢، ص٢٩٧ - ٢٩٨. وكان مصير غالب أن توفي منفيًّا في سلانيك. المصدر الأخير نفسه، ص٢٩٩.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٢٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٢١؛ دحلان، ج٢، ص٣٠٠.

(٤) ابن بشر، ج١، ص٢٢٣.

(٥) عبدالرحيم، **الدولة السعودية**، ص٣١٧ - ٣١٨؛ الرافعي، ص١٤٤.

وكانت وفاة الإمام سعود بن عبدالعزيز سنة ١٢٢٩هـ، من الأمور التي أضعفت الجبهة السعودية نوعًا ما[١]. ذلك أن ابنه عبدالله، الذي خلفه في الحكم، لم يكن مثله صرامةً وسداد رأي؛ وبخاصة في الأمور العسكرية، ولم يكن مثله، أو قريبًا منه، في هيبة القبائل له. ومع ذلك فإن القوات السعودية كَبَّدت قوات محمد علي هزيمة كبيرة بعد وفاة الإمام سعود بقليل[٢] على أن الوضع سرعان ما تَغيَّر لصالح حاكم مصر. وحينما تقابل سنة ١٢٣٠هـ، مع السعوديين في بِسْل انتصر عليهم. فتحرَّك بقواته حتى استولى على رَنْية وبِيْشة وتُرَبة. كما استولى على مناطق أخرى من عسير وتهامة[٣].

وبعد الانتصارات السابقة اطمأن محمد علي إلى سلامة موقف قواته في الجزيرة العربية، فعاد إلى مصر. ولَعلَّ من أسباب سرعة سفره إلى هناك الظروف التي أَلَّمت ببلاده حينذاك[٤].

وبينما كانت العمليات العسكرية تدور في منطقة عسير بين قوات محمد علي والقوات السعودية كان طوسون يَتقدَّم في غربي نجد حتى وصل إلى القصيم. وكان الإمام عبدالله بن سعود على علم بتحركاته، فاتَّجه إلى تلك المنطقة لصده عنها. وهناك حدثت مناوشات بين الطرفين. وبدا لكُلٍّ منهما أنه لن يُحقِّق انتصارًا على الآخر. ولذلك مالا إلى الصلح. وتختلف الروايات حول من بدأ بطلبه. لكن المهم أن طوسون وعبدالله تَوصَّلا في نهاية الأمر إلى مشروع صلح

---

(١) وكان مولده سنة ١١٦٥هـ.

(٢) لم تتمكن القوات السعودية من صد الهجمات الموجهة ضدها فقط، بل بدأت تهاجم مواقع الغزاة حتى اقتربت من الطائف ذاتها. انظر ابن بشر، ج١، ص٢٤٢ - ٢٤٣؛ الرافعي، ص١٤٤ - ١٤٥.

(٣) ابن بشر، ج١، ص٢٤٤ - ٢٤٧؛ عبدالرحيم، **الدولة السعودية**، ص٣١٩ - ٣٢٠.

(٤) ابن بشر، ج١، ص٢٤٨ - ٢٤٩؛ الرافعي، ص١٤٨. ومن هذه الظروف -كما يذكر الرافعي- مؤامرة لطيف باشا ضده، وإشاعة هرب نابليون من منفاه واحتمال محاولته غزو مصر من جديد.

تَضمَّن -كما روى ابن بشر- إيقاف الحرب بين الطرفين، وجلاء قوات الغزاة عن نجد، وتأمين تَنقُّل أتباع أَيٍّ من الطرفين في بلاد الآخر[1]. ومن الواضح أن هذا المشروع كان مرهونًا بموافقة محمد علي. ذلك أن عبدالله بن سعود بعث مندوبين إلى القاهرة لأخذ موافقة حاكمها عليه[2]. وكان ذلك سنة ١٢٣٠هـ.

على أن طوسون انسحب من نجد، على أَيِّ حال، وعاد إلى مصر. ولكن محمد علي لم يوافق على ما تَمَّ بين ابنه طوسون والإمام عبدالله بن سعود. وأَصرَّ على أن يقدم إليه هذا الإمام ليرسله إلى السلطان العثماني، وأن يحضر معه ما سبق أن أخذه أبوه سعود من نفائس كانت موجودة في الحجرة النبوية الشريفة[3]. ومن الواضح أن الإمام عبدالله أدرك ما يَترتَّب على ذهابه إلى مصر، فرفض ذلك. وأخذ الطرفان يستعدان للحرب من جديد.

حينما استكمل محمد على استعداداته لحملة جديدة ضد الدولة السعودية أسند قيادتها إلى ابنه ابراهيم. وتَوجَّهت تلك الحملة من مصر، فوصلت الحجاز في ذي القعدة سنة ١٢٣١هـ[4]. وقد أجرى إبراهيم قرب المدينة المنورة مناورات عسكرية، كان الهدف منها إظهار قوته أمام القبائل، ليبقى من كان مواليًا لأبيه على ولائه، ولينضم إليه من لم يكن مواليًا من قبل. وتَحقَّق له هذا الهدف بدرجة

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٥٠.

(٢) المندوبان هما عبدالله بن بنيان، وعبدالعزيز بن حمد بن إبراهيم، انظر ابن بشر: ج١، ص٢٥١. وقد حاول هذان المندوبان أن يقنعا محمد علي بحسن نوايا عبدالله بن سعود تجاهه وتجاه الدولة العثمانية، فلم ينجحا في إقناعه.

(٣) كان سعود بن عبدالعزيز قد أخذ تلك النفائس عند استيلائه على المدينة، وباع بعضها، وأنفق ثمنه على فقراء البلدة. وقد ذكر ذلك عدة كتاب من بينهم عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، الذي ذكر بأن سعودًا لم يقم بما قام به إلا بعد أن أفتاه علماء المدينة بوجوب القيام به. انظر: **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية**، ج٣، ص٤٥١.

(٤) عبدالرحيم، **الدولة السعودية**، ص٣٣٠.

كبيرة. فانضمَّت إليه فئات من حرب، ومطير، وعتيبة، وعنزة[١]. ثم زحف مُتَّجِهًا إلى القصيم.

وفي أثناء ذلك كان الإمام عبدالله بن سعود قد قام بإجراءات تأديبية ضد من وقف من أهل القصيم مع طوسون، أو تعاون معه بأي شكل من الأشكال[٢]. وحينما سمع أنباء وصول حملة إبراهيم إلى الحجاز وتحركها إلى القصيم جمع ما أمكنه جمعه من قوات، واتَّجه إلى تلك المنطقة لصد الحملة عنها.

وقبل أن يَتوغَّل إبراهيم كثيرًا في أراضي القصيم اشتبكت قواته مع أتباع الإمام عبدالله عدة اشتباكات. وكانت الغلبة لقوات إبراهيم[٣]. وبعد ذلك واصل هذا القائد زحفه حتى وصل إلى بلدة الرس، وبدأ يحاصرها. أما الإمام عبدالله فقد اتَّخذ من بلدة عنيزة مقرًّا لقيادته في المنطقة. وكانت الرس محصنة تحصينًا جيدًا. وقد أبدى أهلها، ومن بعثهم الإمام لمساعدتهم، شجاعة عظيمة؛ إذ صمدوا أمام قوات إبراهيم، بكل ما تملك من قوة واستعداد، أكثر من ثلاثة أشهر ونصف. بل إنهم ألحقوا - خلال الحصار - بتلك القوات خسائر تفوق كثيرًا ما ألحقته بهم[٤].

ومن المرجح أن القلق أخذ من نفس إبراهيم مأخذه، لأن فشله في الاستيلاء على الرس، رغم حصاره الطويل لها، مما يضعف الأمل في القضاء

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٦.

(٤) استمر حصار إبراهيم للرس من الخامس والعشرين من شعبان إلى الثاني عشر من ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ، وقتل من جيشه- كما يقول ابن بشر (ج١، ص٢٥٧) أكثر من ٦٠٠ رجل، بينما قتل ممن كانوا في الرس حوالي ٧٠ رجلًا، على أن الرافعي يقول (ص١٥٧): إن قتلى جيش إبراهيم كانوا ٢٤٠٠ جندي وقتلى الرس ١٦٠ رجلًا.

على الدولة السعودية، لكن من المرجح أيضًا: أن أهل الرس بعد ذلك الحصار قلَّت لديهم المؤن، وباتوا ينتظرون حَلًّا للموقف. فطلبوا من الإمام عبدالله أن يَتقدَّم لمناجزة العدو، أو يسمح لهم بالصلح معه[1].

ومن الواضح أن الإمام عبدالله بن سعود قد أدرك عدم قدرته على القيام بما طلب منه أهل الرس من مناجزة لقوات إبراهيم، فسمح لهم بأن يتصالحوا معه. ولم يكن شيء أَحبَّ إلى قائد القوات الغازية في تلك الظروف من حَلٍّ يتيح له التقدم نحو هدفه الأكبر، وهو الوصول إلى الدِّرعية. وتَوصَّل في نهاية الأمر مع أهل الرس إلى صلح من بنوده أن يرفع الحصار عن البلدة. وأَلَّا يدخلها جنوده، وأن تخرج الحامية السعودية منها بأسلحتها، وأن يقف أهلها على الحياد حتى يَتقرَّر مصير عُنَيزة؛ فإن خضعت له انضموا إليه، وإلا وقفوا ضده[2].

أما الإمام عبدالله بن سعود فانسحب من عُنَيزة بعد أن ترك فيها حامية صغيرة من جيشه. وتَوجَّه إلى بُرَيدة حيث أقام يراقب سير الأحداث. وتَقدَّم إبراهيم بقواته إلى عُنَيزة، فأطاع له أهلها، وبدأ يحارب الحامية السعودية الموجودة فيها. ولما رأى قادة الحامية ضعف موقفهم صالحوه على أن يخرجوا من البلدة بأسلحتهم[3]. ولما علم عبدالله بن سعود بذلك غادر بُرَيدة إلى الدِّرْعيَّة. ولَعلَّ مغادرة عبدالله القصيم قد قضت على ما بقي لدى سكانها من أمل في المقاومة. فدخلت بقية بلدان تلك المنطقة تحت نفوذ إبراهيم دون صعوبة.

ونتيجة لما تَحقَّق لإبراهيم باشا من انتصارات في المنطقة ازداد عدد المنضمِّين إليه من رجال القبائل، وارتفعت معنويات أفراد جيشه. ثم وردت إليه

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٥٧.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ الرافعي، ص١٥٧.

(٣) ابن بشر، ج١، ص٢٥٨. على أنَّ الرافعي يقول (ص١٥٧): إن إبراهيم أخذ أسلحة الحامية. ويبدو أن ذلك هو الصحيح؛ إذ إن موقفه كان قويًّا.

إمدادات جديدة من مصر. فتَحرَّك من القصيم، وأخذ معه عددًا من زعماء بلدانها، ليضمن عدم ثورة تلك البلدان عليه وقطع مواصلاته مع الحجاز. واتَّجه نحو الوَشْم حتى وصل إلى قاعدته شقراء. وسَلَّط عليها نيران مدفعيته حوالي أسبوع حتى طلب أهلها منه الأمان. وقد أجابهم إلى ذلك على أن يُسلِّموا إليه ما عندهم من أسلحة، ويبيعوا ما لديهم من غذاء إلى جنوده[1].

وباستيلاء إبراهيم باشا على الوَشْم ازدادت خشية النجديين منه، ثم تابع زحفه نحو الدِّرْعيَّة. وفي طريقه إليها حاصر بلدة ضرما، التي كانت فيها قوات من جيش الإمام عبدالله لمساعدة أهلها ضد الغزاة. وقد دام حصاره لها أربعة أيام دارت خلالها معارك ضارية قُتِل فيها عدد كبير من كلا الجانبين[2]. لكن إبراهيم تَمكَّن في نهاية الأمر من احتلالها، فأصبحت الطريق إلى الدِّرْعيَّة مفتوحة أمامه.

وفي غُرَّة جمادى الأولى من عام ١٢٣٣هـ وصل إبراهيم بقواته إلى مشارف الدِّرْعيَّة. وكان الإمام عبدالله بن سعود قد بذل كل ما استطاع لتحصينها، ورَتَّب رجاله وأتباعه الترتيب اللازم للدفاع عنها[3]. ثم ابتدأت المناوشات بين

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٥٩؛ الرافعي، ص١٥٨. ولمزيد من التفصيلات انظر العجلاني، **عهد عبدالله بن سعود**، ص٩٢ - ٩٧. وكان أهل شقراء من المتحمِّسين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنصارها، كما كانوا من المحافظين على الواجبات الدينية حتى أصبح تمسكهم بها مضرب المثل. ولذا يقول أحد الشعراء:

حالف ما أسلي ولا أنسى حب سارة لين أهل شقرا يخلُّون الصلاة

وقصده أن يقول بما أن أهل شقراء لا يمكن أن يتركوا الصلاة فإنه لا يمكن أن ينسى حب محبوبته سارة، أو يسلو عنها.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٢٦١ - ٢٦٢. ويذكر ابن بشر هنا أن من قتل من الجانب السعودي حوالي ٨٥٠ رجلًا. وقد فتك إبراهيم بأهل البلدة بعد أن استولى عليها؛ إذ «أمر بقتلهم جميعًا، عقابًا لهم على ما كبَّدوا الجيش من الخسائر. فقتلوا جميعًا». على حد تعبير الرافعي، ص١٥٩.

(٣) ابن بشر، ج١، ص٢٦٣ - ٢٦٤.

المهاجمين للعاصمة والمدافعين عنها. وبعد ثلاثة أسابيع من بداية تلك المناوشات تَمكَّن المهاجمون من احتلال المتاريس والبروج الواقعة شمالها. غير أن ذلك لم يَفتَّ في عضود المدافعين. وقد اندلعت النيران في مستودع ذخيرة إبراهيم. لكن السعوديين لم يَستغلُّوا ذلك بهجوم قويٍّ على قواته[1]. فوصلت إليه إمدادات من المناطق التي استولى عليها من نجد، كما وصلت إليه إمدادات من مصر. وبدأ يُعدُّ العُدَّة لمواصلة هجومه على الدِّرْعيَّة.

وقد دام حصار إبراهيم باشا للعاصمة السعودية أكثر من ستة أشهر. وأبدى أتباع الإمام عبدالله خلال ذلك الحصار شجاعة فائقة، وتَكبَّدوا -كما كَبَّدوا عدوَّهم- خسائر فادحة. لكن موقف أولئك الأتباع كان يضعف تدريجيًّا بسبب الحصار في حين كان موقف قوات إبراهيم يزداد قوة بما يصل إليه من إمدادات[2].

وهكذا بدأ اليأس يَدبُّ في نفوس بعض المدافعين عن الدِّرْعيَّة. فترك جماعة منهم ميدان القتال مُتسلِّلين إلى خارج البلدة. ورغم ما وصل إليه الوضع من سوء، فإن الإمام عبدالله لم يشأ أن ينجو بنفسه ويغادر عاصمته. وكما رفض أن يكون بعيدًا عنها لدى قبيلة قحطان من قبل أن يحاصرها إبراهيم بقواته فإنه صَمَّم أن يبقى فيها خلال الساعات الحرجة من حصارها[3]. ولَعلَّه رأى في هروبه منها عارًا تهون دونه أَيُّ مصيبة. فانتصرت عوامل الشجاعة في نفسه على ما كانت تُحتِّمه الجوانب السياسية الذكية والرأي السليم. ولم تقف الحال ببعض أتباعه عند حَدِّ الهروب من الدِّرْعيَة نجاة بأنفسهم من المصير المخيف.

---

(١) الرافعي، ص١٥٩ - ١٦٠؛ ابن بشر، ج١، ص٢٧١.

(٢) لمزيد من التفصيلات انظر المصدر الأخير نفسه، ج١، ص٢٦٤ - ٢٧٤.

(٣) كان قد أشير على الإمام عبدالله بعد انسحابه من القصيم أن يحمل ما له من الدرعية ويذهب إلى قحطان، ويعلِّق على هذا الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بقوله: «فلو شاء القدر لم يظفر به عدوُّه.. ولو قُدِّر غير ذلك لكان». انظر الدرر السنية، ج٩، ص٢٢٦.

بل إن منهم من خرج منها. وقصد إبراهيم باشا. وكان من هؤلاء أحد القادة المشهورين، غَصَّاب العتيبي. ومهما كان السبب وراء اتِّخاذه ذلك الموقف، فإن ما قام به كان ضربة قاسية للمدافعين السعوديين وتقوية لعزيمة إبراهيم. وكان من نتائجه تقريبه مدفعيته من أسوار البلدة، وتركيز نيرانها عليها[١].

وفي نهاية الأمر اضطر الإمام عبدالله بن سعود إلى أن يخرج إلى إبراهيم باشا ليفاوضه حول إنهاء الحرب. واتَّفق الطرفان على ذلك، كما اتَّفقا على أن يُسلِّم عبدالله نفسه لإبراهيم ليبعث به إلى أبيه في مصر. وقد طلب الإمام من إبراهيم ألَّا يَضرَّ أحدًا من سكان الدِّرْعيَة، وألَّا يُخرِّبها. فوعده بتلبية ما طلبه منه[٢]. وكان استسلام الإمام عبدالله في الثامن من ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ (٩ سبتمبر ١٨١٨م) [٣]. وباستسلامه انتهت آخر حلقة من حلقات الدفاع البطولي الذي قام به السعوديون. وانتهت دولتهم الأولى. وقد قُتِل في معارك الدرعية كثيرون من الطرفين. ومن بين القتلى السعوديين واحد وعشرون من أفراد الأسرة الحاكمة[٤].

وقد بُعِث بعبدالله بن سعود إلى مصر حيث قابل حاكمها محمد علي، الذي أعجب برباطة جأشه وشجاعته المعنوية، ثم أُرسِل من هناك إلى عاصمة الدولة العثمانية، وحُوكِم في تلك العاصمة محاكمة صورية. فقُتِل في شهر صفر سنة ١٢٣٤هـ[٥].

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٧٣، وكان- كما يقول ابن بشر- رئيس الخيَّالية في الدرعية.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٥؛ عبدالرحيم، **الدولة السعودية**، ص٣٤٣.

(٣) ابن بشر، ج١، ص٢٧٥؛ عبدالرحيم، **الدولة السعودية**، ص٣٤٣.

(٤) ابن بشر، ج١، ص٢٧٦.

(٥) العجلاني، **عهد عبدالله بن سعود**، ص١٤٠ - ١٤٢. ولمزيد من التفصيلات عن حرب الدرعية ومصير الإمام وطريقة التحقيق معه. انظر المصدر نفسه، ص١١٣ - ١٤٨. وفي هذا المصدر، أيضًا، وثائق مهمَّة تتعلق بتاريخ تلك الفترة. كذلك توجد وثائق مهمة في كتاب **الدولة السعودية**، لعبدالرحيم.

الدولة السعودية الثانية

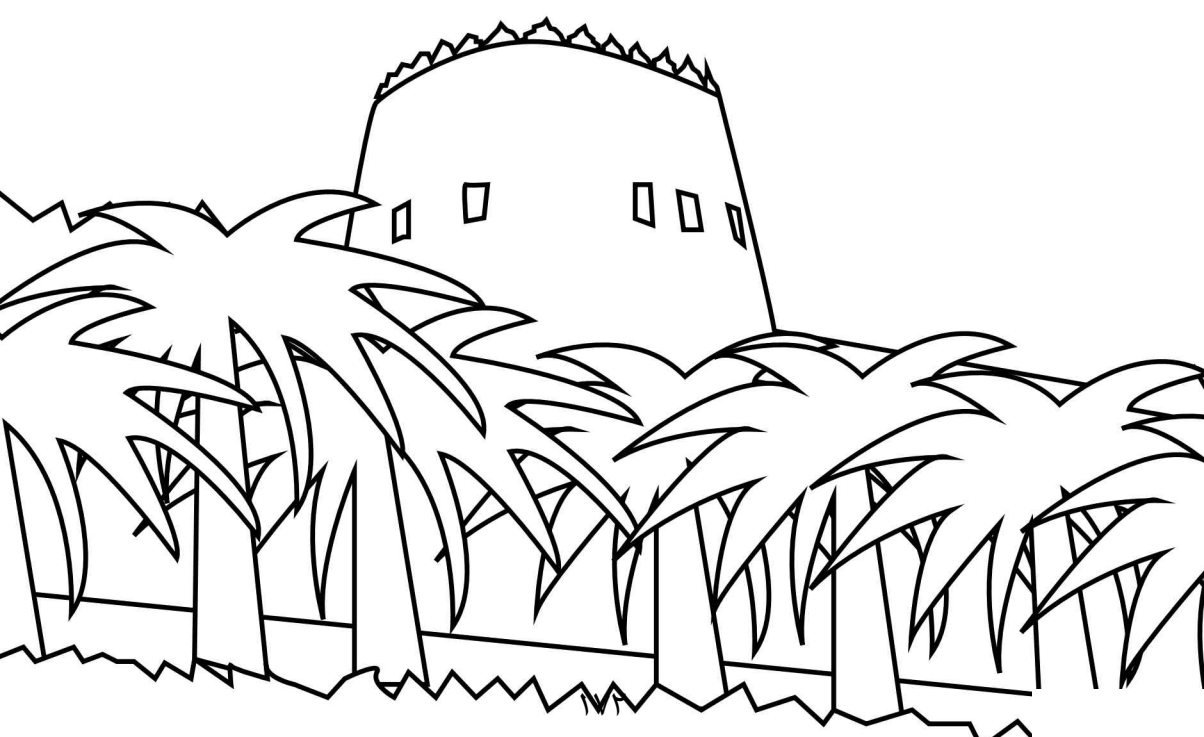

١- أوضاع البلاد إثر نهاية الدولة السعودية الأولى:

بعد أن استسلم الإمام عبدالله بن سعود لإبراهيم باشا قدمت إلى هذا الأخير وفود من بلدان وقبائل نجدية مختلفة، معلنة ولاءها له. أما الذين خافوا على أنفسهم من بطشه، أو خافوا أن تضطرهم الظروف، وهم كارهون، إلى التعاون معه بأَيِّ شكل من الأشكال، فقد هربوا إلى المناطق النائية في جنوبي نجد، أو في الجهات القريبة من عمان، التي كانت بعيدة عن متناول يده حينذاك[١].

ولقد ارتكب إبراهيم باشا أعمالًا إجرامية في البلاد، فعَذَّب عددًا من زعمائها، وقتل آخرين. وكان ممن ذهب ضحية جوره وجور ضباط جيشه الشيخ سليمان بن عبدالله -حفيد الشيخ محمد ابن عبدالوهاب[٢]- وأخوه علي، والأمراء محمد بن سدحان من شقراء، ومحمد بن عبدالمحسن بن علي بن حا ئل، وعبدالله بن رشيد من عُنَيزة، وثلاثة من آل عُفَيصان[٣].

ومن الأمور التي قام بها إبراهيم إرسال كل من وقعت عليه يده من آل سعود وآل الشيخ إلى مصر[٤]. وذلك محاولة منه، فيما يبدو، أن يبعد عن البلاد أولئك الذين ينظر إليهم كثير من النجديين على أنهم رمز لنهضتهم ووحدتهم. كذلك قام بهدم مدينة الدِّرْعيَّة التي سبق أن أعطى الإمام عبدالله بن سعود وعدًا بألَّا يهدمها[٥]. وكان هدمه لها بناء على أوامر من أبيه[٦]. وقد أجبر سكان

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٨٧ و٢٩٩ - ٣٠٠.

(٢) بلغ جور إبراهيم درجة جعلته يأمر بعزف آلات اللهو أمام الشيخ سليمان قبل قتله إمعانًا في إيذائه. ثم أطلقت عليه النيران حتى ذهب جسده قطعًا في المقبرة، انظر المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٨ و٢٩١.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٦ - ٢٨٧.

(٥) عبدالرحيم، **الدولة السعودية**، ص٣٤٣.

(٦) الرافعي، ص١٩٥.

بعض البلدان النجدية، أيضًا، أن يهدموا أسوار بلدانهم[1]. ولَعلَّه أراد بذلك أن يفقدوا كل أمل في المقاومة مستقبلًا.

وفي أثناء ذلك تَوجَّه ماجد بن عُرَيعر، أحد زعماء بني خالد، إلى الأحساء التي كانت تحت حكم أسرته قبل استيلاء السعوديين عليها. وظاهر عبارة ابن بشر أن تَوجُّه ماجد إلى تلك المنطقة كان بموافقة إبراهيم باشا وتأييده[2]. وعندما وصل القائد الخالدي إلى هناك هرب من الأحساء أميرها من قِبَل آل سعود. ولكن لم تمض أيام على استيلاء ماجد على المنطقة المذكورة إلا وقد وصل إليها محمد كاشف مع فرقة عسكرية صغيرة من جيش إبراهيم باشا.

وصادر هذا القائد التركي جميع ما كان في بيت المال السعودي من أموال، وما كان يوجد في تلك البلاد من خيل وأسلحة لآل سعود. وقام هذا القائد أيضًا بأعمال إجرامية منها قتل العالم عبدالرحمن بن نامي وبعض المرشدين المعروفين بحماستهم للدعوة الإصلاحية[3]. ويبدو أن زعماء بني خالد، وفي مُقدِّمتهم ماجد بن عُرَيعر وأخوه محمد، خافوا أن ينالهم بطش ذلك القائد التركي، فهربوا إلى الحدود العراقية. ومكثوا هناك حتى انسحب محمد كاشف إلى نجد لاحقًا برئيسه إبراهيم باشا، فعادوا إلى الأحساء وتولَّوا حكمها[4].

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٨٥.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٥ - ٢٨٦.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٣ على أن رحمة بن جابر الجلهمي اتخذ من الدمام والمنطقة الساحلية القريبة منها مركزًا لنشاطه البحري العسكري. وكان رحمة.. شجاعًا ومتحمِّسًا لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وقد تحالف آل خليفة وزعماء بني خالد ضده في نهاية الأمر، وتوفي محاربًا للطرفين سنة ١٢٤٢هـ. انظر ابن بشر، ج٢، ص٣٢ - ٣٤ ومحمد عرابي نخلة، **تاريخ الأحساء السياسي** (١٨١٨ - ١٩١٣)، ذات السلاسل في الكويت، ١٤٠٠هـ، ص٤٤ - ٤٨.

ويبدو أن فئات قبلية نجدية لم ترض بالخضوع الكامل لإبراهيم باشا، ولم تستجب لما طلب منها. ولَعلَّ مما يؤكد ذلك أنه اضطر إلى القيام بغزوها. وكاد يُقتَل في إحدى غزواته لها[١]. على أنه قد حَقَّق الهدف الأساس من حملته، وهو القضاء على الدولة السعودية.

واعتقد أنه بإرسال آل سعود وآل الشيخ إلى مصر، وبتخريب الدِّرْعيَّة وتهديم أسوار البلدان النجدية المُهمَّة، وقتل بعض زعماء نجد، قد قضى على أَيِّ أمل لسكان المنطقة في إقامة دولة تجمع شتاتهم من جديد. لذلك انسحب بقواته إلى الحجاز. ثم عاد من هناك إلى مصر حيث وصل إلى القاهرة في شهر صفر سنة ١٢٣٥هـ[٢].

وبعد انسحاب إبراهيم باشا بقواته من نجد وقع فيها ما كان متوقعًا نتيجة انعدام السلطة القوية؛ إذ دَبَّت فيها الفوضى السياسية، وتَجدَّدت الضغائن بين زعمائها[٣]. وسيطر الخوف على كثير من سكانها لاختلال الأمن. فبات عدد غير قليل منهم يتوقون إلى الخلاص من الحالة التي وصلوا إليها.

٢- المحاولات الأولى لتكوين دولة نجدية جديدة:

كان محمد بن مشاري بن مُعمَّر -وخاله عبدالعزيز بن محمد بن سعود[٤]- ممن ترك الدِّرْعيَّة عند استيلاء إبراهيم باشا عليها. وقد استقر في بلدة العُيَينة التي كانت إمارتها لأسرته. وبعد أن انسحب إبراهيم بقواته من نجد راودته

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٩٠ - ٢٩١.

(٢) الجبرتي، ج٣، ص٦٠٦.

(٣) ابن بشر، ج١، ص٢٩٢ - ٢٩٣. ويرجع مؤلف هذا الكتاب ذلك إلى محاولات الزعماء، الذين عزلهم آل سعود عن الزعامة لعدم خضوعهم لهم، أن يستعيدوا نفوذهم في بلدانهم.

(٤) انظر ما ذكره عبدالرحمن آل الشيخ في تعليقه على ابن بشر، ج١، ص٢٩٤ هامش ١.

فكرة إقامة دولة في هذه المنطقة. ولَعلَّ مما شَجَّعه على ذلك أن إبراهيم قد أبعد من وجده من آل سعود إلى مصر، وأنه سليل أقوى أسرة نجدية قبل قيام الدولة السعودية الأولى، وأنه يَمتُّ بصلة الرحم لآل سعود كما ذُكِر سابقًا. ثم إنه كان يمتلك كثيرًا من الأموال والأسلحة[1].

ومن الواضح أن ابن مُعمَّر قد أدرك المكانة التي تحتلها مدينة الدِّرْعيَّة في نفوس كثير من النجديين؛ إذ كانت رمزًا لقوة منطقتهم ووحدتها. فرأى أن تكون هذه المدينة قاعدة الدولة التي عزم على إقامتها، وكأنه يوحي بذل إلى النجديين أنه يعمل لإعادة مجد دولة نجد، لا مجد أسرته الخاص. وقدم إلى الدِّرْعيَّة أواخر سنة ١٢٣٤هـ، فأخذ يعيد بناءها. ودعا قادة المنطقة إلى مبايعته. وكان زعماء بلدة منفوحة أَوَّل من انضم إليه[2]. لكن بعض القادة النجديين رأوا في حركته مصدر خطر عليهم، فاتَّصلوا بزعماء بني خالد، وحَثُّوهم على التوجُّه إلى نجد للقضاء على تلك الحركة في مهدها.

ولقيت اتصالات المعارضين لابن مُعمَّر بزعماء بني خالد نجاحًا كبيرًا. وتَوجَّه ماجد بن عُرَيعر بأتباعه إلى نجد حتى وصل إلى العارض، حيث انضم إليه أهل الخرج والرياض وحُرَيملاء. وأمام هذا الخطر تَصرَّف ابن مُعمَّر بذكاء؛ إذ أرسل إلى ماجد بعض الهدايا، وأخبره أنه تابع للسلطان العثماني. وبهذا الأسلوب عاد الزعيم الخالدي إلى بلاده، وتَخلَّص ابن مُعمَّر من الخطر الذي أحدق به[3].

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٤.

وازدادت شعبية ابن مُعمَّر شيئًا فشيئًا لدى النجديين. وعاد إلى الدِّرْعيَّة كثير ممن تركوها قبيل استسلامها لإبراهيم باشا، أو عند تخريبه لها. ومن بين هؤلاء تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، وأخوه زيد، اللذان أخذا يساعدان ابن مُعمَّر في نشاطه[1]. وبدت بوادر النجاح تلوح في الأفق أمام رئيس الدولة الناشئة؛ إذ استطاع أن يدخل حُرَيملاء تحت طاعته. ثم دانت له بعض البلدان النجدية الأخرى بالولاء[2].

على أن نجاح ابن مُعمَّر لم يستمر. فقد جابهته مشكلة لم يتوقعها. ذلك أن مشاري بن سعود- أخا الإمام عبدالله- كان قد هرب من حُرَّاسه وهو في طريقه من المدينة المنورة إلى ينبع مع آل سعود الذين أُرسِلوا إلى مصر. ثم وصل إلى الوَشْم حيث انضم إليه بعض الأعوان من مناطق نجدية مختلفة. فاتَّجه إلى الدرعية ودخلها بمن معه. ولم يجد ابن مُعمَّر أمامه حَلًّا إلا أن يتنازل له عن الحكم، وإن كان يضمر في نفسه ضده ما يضمره[3].

وما إن بويع مشاري بن سعود بالحكم في الدِّرْعيَّة حتى قدم إليه عدد من أفراد الأسرة السعودية، الذين هربوا من تلك المدينة وقت استسلامها لإبراهيم باشا. ومن بين هؤلاء عَمُّه عمر ابن عبدالعزيز. ثم قدمت إليه وفود من سُدَير والوَشْم والمِحمَل معلنة ولاءها. وقد وقف معه تركي بن عبدالله آل سعود، وأيَّده غاية التأييد[4].

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٥ - ٢٩٦.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٦.

(٤) قدوم الوفود المذكورة لمبايعة مشاري بن سعود تبيَّن أن كثيرًا من النجديين كانوا يكنّون مودة للأسرة السعودية التي تمَّ توحيد المنطقة سابقًا على يديها. وتعاون تركي بن عبدالله معه ومع ابن معمَّر قبل ذلك يوحي بأن تركي بن عبدالله كان حريصًا على أن يرى دولة تجمع شتات المنطقة وإن لم يكن رئيسها.

وبعد أن انضمت إلى مشاري بن سعود كثير من بلدان الأقاليم المذكورة سابقًا أراد أن يوسع دائرة نفوذه. فجمع أتباعه من العارض وتلك الأقاليم واتَّجه إلى الخرج. وحالفه التوفيق. فلم يعد من هناك إلا وقد دانت له بلدان ذلك الإقليم بالولاء. لكن النجاح الذي حَقَّقه مشاري بن سعود قُدِّر له أن يصاب بانتكاسة شديدة. ذلك أن ابن مُعمَّر، الذي كانت الرغبة في الحكم مسيطرة على مشاعره، احتال عليه وخرج من الدِّرعية إلى سدوس، مُدَّعيًا أنه سيزور بعض أقاربه في تلك البلدة. وحين وصل إليها أظهر أنه مريض. لكنه كان في حقيقة الأمر، يجمع الأنصار ليعود إلى الحكم. وقد نجح في كسب فيصل الدويش، زعيم قبيلة مطير، إلى جانبه[1]. فأرسل ذلك الزعيم بعض أتباعه إليه، ثم سار ابن مُعمَّر بمن اجتمع لديه من الأعوان إلى الدِّرْعيَّة، فدخلها وألقى القبض على مشاري بن سعود، وأرسله إلى سدوس. وبعد ذلك تَوجَّه إلى الرياض، واستولى عليها. وكان تركي بن عبدالله في هذه البلدة فغادرها عند اقتراب محمد بن مُعمَّر وأتباعه منها[2].

وفي هذه الأثناء كان محمد علي، حاكم مصر، على علم بالتطورات الجديدة في منطقة نجد. وقد ساءه أن تُبذَل محاولات لتوحيدها. فبعث فرقة من الجيش إلى عُنَيزة بقيادة آبوش آغا. ولم يغب عن ذهن ابن مُعمَّر، الذي سبق أن أخبر زعيم بني خالد بأنه تابع للسلطان العثماني، أن يبعث رسالة إلى القائد آبوش يخبره فيها أن الأعمال التي يقوم بها في صالح محمد علي والدولة العثمانية. فَأقرَّه آبوش علي أعماله، وأَيَّد إمارته على المنطقة[3].

---

(١) لم يكن غريبًا أن يقف الدويش مع ابن مُعمَّر الذي يظهر تبعيته للدولة العثمانية. ذلك أن زعيم مطير كان من المتعاونين مع إبراهيم باشا التابع حينذاك لتلك الدولة.

(٢) وجود تركي في الرياض وطريقة إيراد ابن بشر لهذا الخبر توحيان بأنه كان واليًا عليها من قِبَل مشاري بن سعود. ابن بشر، ج١، ص٢٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٧. قارن ذلك بالفاخري، ١٥٤.

٣- تركي بن عبدالله وقيام الدولة السعودية الثانية:

لم يقل تركي بن عبدالله آل سعود مكتوف اليدين إزاء ما قام به محمد بن مُعمَّر من غدر بمشاري بن سعود. لقد وقف تركي مع ابن مُعمَّر حين بدأ جهوده لتكوين دولة جديدة في المنطقة. وعندما تنازل عن الحكم لمشاري بن سعود أصبح تركي ينظر إلى هذا الأخير على أنه الحاكم الشرعي، فوقف معه وأيَّده. ولما غدر ابن مُعمَّر بهذا الحاكم الشرعي صَمَّم تركي على أن يعيد الحق إلى نصابه. فانطلق من بلدة الحائر، التي كان قد ذهب إليها بعد مغادرته للرياض، واتَّجه إلى بلدة ضرما. وهناك انضم إليه مُؤيِّدوه، فسار بهم حتى فاجأ محمد بن مُعمَّر في الدِّرْعيَّة وقبض عليه. ثم تَوجَّه إلى الرياض فاستولى عليها، وقبض على أميرها مشاري بن محمد بن مُعمَّر. وفي محاولة لإنقاذ مشاري بن سعود هَدَّد ابنَ معمَّر وابنه بأنه لن يطلق سراحهما حتى يُسلَّم إليه الأمير السعودي المعتقل. لكن أنصار ابن مُعمَّر في سدوس خافوا من غضب القائد التركي آبوش آغا فَسلَّموه أتباعه، وأُخِذ إلى عُنَيزة حيث وافته المنية في سجنه هناك. فلما علم تركي بن عبدالله بذلك نَفَّذ ما هَدَّد به تجاه محمد بن مُعمَّر وابنه مشاري[1].

ولم يشأ تركي بن عبدالله أن يَتَّخذ من الدِّرْعيَّة مركزًا لنشاطه، وإنما فَضَّل الرياض عليها. وربما كان من أسباب تفضيله لهذه المدينة أنها كانت قوية التحصين، كثيرة المزارع، وأنه -بصفته من الأسرة السعودية ذاتها- لم

(١) انظر تفصيل ذلك لدى ابن بشر، ج٢، ص٢٩٧ - ٢٩٨. وقد ذكر ابن بشر خطأ هذه الحوادث وهو يتكلَّم عمَّا حدث سنة ١٢٣٤هـ. والصحيح أن قضاء تركي على ابن معمَّر وابنه كان سنة ١٢٣٦هـ. فقد ذكر المؤلف نفسه (ج١، ص٢٩٦) أن قدوم مشاري بن سعود إلى نجد في جمادى الآخرة سنة ١٢٣٥هـ. ولا يمكن أن يكون تحرُّك تركي في ربيع الأول سنة ١٢٣٥هـ، وذلك أمر حدث بعد مدة من مجيء مشاري. وانظر، أيضًا الفاخري، ص١٥٤ - ١٥٥.

توجد لديه حساسية أين يضع مركز نشاطه؛ إذ إن مجده امتداد لمجد الأسرة السعودية السابق.

على أن الأمور ما إن استقرت لتركي بن عبدالله في الرياض حتى حاصره فيصل الدويش بأتباعه ومعه عدد من رجال الفرقة العسكرية الموجودة في عُنَيزة. لكنه صمد أمام المحاصرين له، فانسحبوا إلى الوَشْم. ولم يكن نجاح تركي بن عبدالله الأوَّلي إلا حافزًا لمحمد علي، حاكم مصر، ليرسل تعزيزات أخرى للقضاء على الحركة السعودية الجديدة. فأرسل قوة بقيادة حسين بك إلى نجد. وحين وصلت إلى القصيم انضم إليها آبوش آغا ببعض من معه. وسار الجميع بقيادة حسين بك حتى وصلوا إلى الوَشْم. ومن هناك بعث القائد المذكور آبوش أغا مع عدد من أفراد جيشه ومن انضم إليه من أهل نجد إلى الرياض. ودخل آبوش ومن معه هذه المدينة، فحاصر تركي بن عبدالله وأنصاره في قصر إمارتها. وحينما اشتد الحصار على هؤلاء تَسلَّل تركي من القصر ليلًا إلى خارج المدينة، واتَّجه إلى الجهات الجنوبية من نجد. أما من كانوا معه فطلبوا الأمان من قائد الفرقة المحاصرة لهم، واستسلموا له بعد أن وعدهم بتلبية ما طلبوه منه. لكنه غدر بهم، وقتل أكثرهم[1].

ولقد أقدم حسين بك على ارتكاب جرائم شنيعة. ومن أعظم تلك الجرائم أنه طلب من أهل الدِّرْعيَّة أن يفدوا إليه في ثرمداء ليعطي كل واحد منهم إذنًا بأن ينزل أَيَّ بلد شاء. وحينما وفد إليه حوالي مئتين وثلاثين رجلاً منهم قتلهم أجمعين. ثم فَرَّق ضباطه في بعض البلدان النجدية، فقاموا بأعمال إجرامية في مُقدِّمتها القتل والتعذيب ومصادرة الأموال[2]. وبعد أن اعتقد بأن أعماله

(١) انظر تفصيل ذلك لدى ابن بشر، ج١، ص٣٠٠، والفاخري، ص١٥٥. ومما يلفت النظر أن الذين لم يقتلهم قائد الفرقة هم من آل سعود. وقد بعث بهم إلى مصر.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٣٠٠ - ٣٠٣.

الإجرامية قد بَثَّت الرعب من قوة حاكم مصر في نفوس النجديين انسحب بقواته من نجد؛ تاركًا حاميات صغيرة في كُلٍّ من الرياض، ومنفوحة، وثرمداء، وعُنَيزة، لتُذكِّر السكان بأن محمد علي بالمرصاد لأيِّ حركة توحيدية جديدة.

وبعد انسحاب حسين بك بقواته من نجد تَجدَّدت الاضطرابات بين الزعامات المحلِّية بشكل عنيف. ثم قدمت إلى المنطقة حملة عسكرية أخرى قائدها حسين أبو ظاهر. ولم تكن سيرة هذا القائد تختلف كثيرًا عن سيرة سلفه من حيث الظلم والجور والغدر[1]. لكن شعور السكان إزاء إجراءاته بدا يَتحوَّل إلى ثورة ومقاومة. ومن بوادر ذلك أن قبيلة سبيع كَبَّدت الغزاة خسارة فادحة أواخر سنة ١٢٣٧هـ؛ إذ قتلت منهم قرب الحائر أكثر من ثلاث مئة رجل[2]. وقام أهل عُنَيزة على أبي ظاهر ومن معه وأرغموهم على الخروج من بلدتهم. ثم قدم إليه العسكر الموجودون في ثرمداء، وانسحبوا معه إلى المدينة المنورة؛ تاركين في قصر الصفا، الواقع خارج أسوار عُنَيزة حينذاك، نحو ست مئة جندي. ثم تصالح الطرفان على أن يترك بقية الجنود المذكورين المنطقة بأسلحتهم، وذلك في شهر رجب سنة ١٢٣٨هـ[3]. وبذلك لم يبقَ في نجد من جيش الغزاة إلا الذين كانوا في منفوحة والرياض.

وفي شهر رمضان من سنة ١٢٣٨هـ استأنف تركي بن عبدالله نشاطه لإخراج بقية القوات الغازية من نجد وتوحيد المنطقة. فترك بلدة الحلوة الواقعة جنوبي نجد، ووصل في نهاية الأمر مع عدد قليل من أنصاره إلى بلدة

(١) انظر عن ذلك المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٧ وابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث**، ص١٥١.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٣٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٧. ويذكر ابن عيسى (**تاريخ بعض الحوادث**، ص١٥٣): أن أهل عنيزة هدموا قصر الصفا بعد رحيل العسكر عنه. ومن الواضح أن الهدف من هدمه هو ألَّا يستعمل قاعدة ضدهم مرة أخرى.

عِرْقة القريبة من الرياض[1]. وهناك وفد إليه مُؤيِّدوه من الوشم وسدير. فبدأ بمحاربة الحاميتين الموجودتين في الرياض ومنفوحة. وظَلَّ محاربًا لهما أكثر من سنة. لكنه لم يقصر نشاطه على محاربة الحاميتين المذكورتين؛ بل كان يَتحرَّك لإدخال بلدان نجدية أخرى تحت نفوذه، مما يشير إلى أنه كان يرى مسألة انتصاره عليهما مسألة وقت فقط. وقد نجح في مسعاه نجاحًا عظيمًا؛ إذ انضمَّت إليه، وهو لا يزال في عِرْقة، أكثر بلدان الوَشْم وسُدَير[2].

وفي أواخر عام ١٢٣٩هـ تَقدَّم تركي بن عبدالله بأعوانه إلى منفوحة، وأجبر مَن كان فيها من الجنود على مغادرتها، واستولى عليها. ثم شَدَّد حصاره على العسكر الموجودين في الرياض حتى طلب قائدهم، أبو علي المغربي، منه الصلح. فوافقه تركي على ذلك. وتم الصلح بينهما على أن يغادر المغربي نجدًا بقواته وأسلحته، وأن يُؤمَّن من تعاون معه من أهل الرياض[3].

ولم يشأ تركي بن عبدالله، لبُعْد نظره، أن يدخل الرياض قبل أن يَتأكَّد بنفسه من تنفيذ المغربي ما اشترط عليه من انسحاب عن المنطقة. ولذلك أمر مشاري بن ناصر آل سعود أن يدخل البلدة المذكورة ويضبط الأمور فيها. أما هو فَتوجَّه بأعوانه إلى الوَشْم، حيث استقام في شقراء شهرًا مَرَّ به خلاله أبو علي المغربي ومن معه مُتَّجهين إلى الحجاز[4]. وقد وفد إليه هناك أمير بلدة

---

(١) يذكر الفاخري (ص١٦٠): أن تركي بن عبدالله استولى على ضرما قبل أن يتجه إلى عرقة. وقد ذكر ذلك ضمن حوادث سنة ١٢٣٧هـ. ومن الواضح أن هذا خطأ. لكن ابن بشر (ج٢، ص١٦ و١٨) يذكر أنه اتجه من الحلوة إلى عرقة في التاريخ المذكور أعلاه. وبعد أن استقر فيها ذهب إلى ضرما واستولى عليها، وذلك سنة ١٢٣٩هـ.

(٢) المصدر الأخير نفسه، ج٢، ص١٦.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٤.

عُنَيزة، يحيى بن سُلَيم[1]، وبايعه على السمع والطاعة؛ وذلك عام ١٢٤٠هـ[2]. وكان استيلاء تركي بن عبدالله على الرياض في مُستهلِّ ذلك العام. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الرياض مقرًّا للحكم السعودي. وكان جلاء القوات الغازية عن نجد إيذانًا بقيام الدولة السعودية الثانية.

٤- توحيد نجد:

سبق أن أشير إلى تَطلُّع كثير من النجديين إلى وجود سلطة تُحقِّق لهم الأمن والوحدة، كما سبق أن أشير إلى ازدياد كره غالبية سكان نجد للغزاة. وبخاصة بعد أن قام هؤلاء بما قاموا به من غدر وظلم. وقد اتَّضح هذا وذاك في ضوء ما قام من حركات مقاومة في أمكنة متعددة، وما أقدم عليه بعض الأمراء من انضمام إلى تركي بن عبدالله قبل أن يستكمل خطواته في إجلاء بقية رجال الحاميات العسكرية التابعة لحاكم مصر من البلاد ويستقر في الرياض، عاصمة دولته الجديدة.

ولم يَمرَّ عامان على جلاء القوات الغازية عن نجد واستقرار تركي بن عبدالله في الرياض إلا وقد بايعته البلدان النجدية كلها. ومن الواضح أن تلك البلدان- باستثناء بعض بلدان الخرج- قد انضمَّت إلى دولته دون حرب[3]. ولَعلَّ هذا يَدلُّ على أمرين مُهمِّين؛ أحدهما ما سبق أن ذكر من تَطلُّع كثير من النجديين إلى زعامة تجمع شتاتهم وتحقق لهم الأمن، وهما مسألتان شعروا بفائدتهما زمن الدولة السعودية الأولى. وثانيهما تَحلِّي الإمام تركي بن عبدالله بصفات قيادية عظيمة أَثَّرت في نفوس كثير منهم؛ زعامات وأتباعًا.

---

(١) سُلَيم هو سليمان آل زامل. لكن سليمان عُرِف بِسُلَيم.

(٢) ابن بشر، ج٢، ص٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٤ - ٢٥.

ولقد شهد عام ١٢٤١هـ وصول الشيخ عبدالرحمن بن حسن، حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، من مصر إلى الرياض[١]. فَحلَّ محلَّ جدِّه محمد في إدارة الشؤون الدينية في الدولة وإبداء المشورة في تسيير أمورها العامة. وبعد ذلك بعامين استطاع فيصل بن تركي أن يغادر القاهرة ويعود إلى نجد. وكان قد أُخِذَ مع مَن أُخِذَ من آل سعود إلى مصر بعد استسلام الدِّرْعيَّة لإبراهيم باشا[٢]. وقد أصبح الساعد الأيمن لأبيه تركي في توكيد دعائم الدولة وتوسيع نفوذها.

٥- توحيد المنطقة الشرقية مع نجد:

سبق أن ذُكِر بأن زعماء بني خالد استطاعوا أن يستعيدوا حكم المنطقة الشرقية بعد القضاء على الدولة السعودية الأولى وانسحاب قائد الفرقة العسكرية التابعة لإبراهيم باشا منها. وكان أولئك الزعماء ينظرون إلى أَيِّ دولة توحيدية تقوم في نجد نظرة غير وُدِّية. ومن أدِلّة ذلك ما سبق ذكره عن تَحرُّكهم ضد محمد بن مُعمَّر حينما حاول إقامة دولة في هذه المنطقة.

وكانت أَوَّل مناوشة بين دولة الإمام تركي بن عبدالله وزعماء بني خالد سنة ١٢٤٢هـ[٣]. لكن سنة ١٢٤٥هـ كانت السنة الحاسمة في العلاقة بين الطرفين. ذلك أن أَوَّلها شهد غزو عمر بن عُفَيْصان، بأمر الإمام تركي، للإحساء، ثم تلا ذلك غزو أحد زعماء بني خالد لبلدة حَرْمة النجدية[٤]. وبعد هذين الغزوين سار محمد بن عُرَيعر وأخوه ماجد بأتباعهما من قبيلتهما ومن انضم إليهما من القبائل الأخرى إلى نجد[٥]، فأمر الإمام تركي ابنه فيصلًا بأن يقود أتباعه

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧.

(٢) يذكر ابن بشر (ج٢، ص٤١) أن مجيئه كان هروبًا، وكان فيصل بن تركي ممن ثبت في حرب الدرعية. انظر المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢.

(٤) الفاخري، ص١٤٧ - ١٤٨؛ ابن بشر، ج٢، ص٤٥.

(٥) كان من بين من انضموا إلى بني خالد فئات من سبيع ومطير وعنزة وبني حسين.

من الحاضرة والبادية لصد الزعيمين الخالدين ومن معهما[1]. وقد دارت بين الطرفين اشتباكات عنيفة استمرت أيامًا. وقُتل خلالها ماجد بن عُرَيعر. ثم لحق الإمام تركي بابنه فيصل وأتباعه. وحينما وصل إلى ميدان المعركة دَبَّ الفشل في صفوف محمد بن عُرَيعر ومن معه، فوَلَّوا مدبرين. وغنم الجيش السعودي الشيء الكثير مما كان في حوزتهم من الإبل والغنم والأمتعة والأموال. وقد عُرِفت المعركة بمعركة السَّبيَّة[2]. ثم كتب الإمام تركي إلى كبار الأحساء يدعوهم إلى مبايعته. فأجابوه إلى ذلك. واتَّجه إلى هناك. فلما اقترب من الأحساء هرب منها كثير من بني خالد، ودخلها الإمام وابنه دون قتال، أما محمد بن عُرَيعر، الذي كان قد وصل إلى تلك البلاد بعد هزيمته في معركة السَّبيَّة، فقد تَحصَّن في قصر الكوت. ثم استسلم للإمام تركي بن عبدالله، فعامله باللطف والتقدير[3]. وهكذا خرجت الأحساء من حكم بني خالد، وأصبحت جزءًا من الدولة السعودية مرة ثانية.

وقد مكث الإمام تركي بن عبدالله في الأحساء أكثر من أربعين يومًا وفد إليه خلالها زعماء القطيف، وبايعوه على السمع والطاعة، كما وفد إليه زعماء رأس الخيمة وجَدَّدوا ولاءهم له[4]. وبعد أن رَتَّب أمور المنطقة الشرقية وعَيَّن عمر بن عُفَيْصان أميرًا عليها، وعبدالله الوُهَيبي قاضيًا لها، عاد إلى عاصمة دولته[5].

---

(١) كان الحاضرة من العارض الجنوب والوشم وسدير والقصيم وجبل شمَّر ووادي الدواسر. وكان البادية فئات من سبيع والسهول وقحطان وآل شامر والعجمان.

(٢) علَّل ابن بشر (ج٢، ص٤٧). تسمية المعركة بهذا الاسم لما غُنم فيها، لكن الشيخ حمد الجاسر أوضح (المنطقة الشرقية، ج٢، ص٨٣٣)؛ أنها سُمِّيت بذلك لأنها وقعت في مكان اسمه السَّبيَّة. وهو الأصح.

(٣) انظر عن ذلك وعمَّا حدث في أثناء تلك المعركة وما أعقبها، ابن بشر، ج٢، ص٤٧ - ٤٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٠، وكان زعماء رأس الخيمة قد بايعوه قبل ذلك. انظر صفحة ١٦٣ من هذا الجزء من الكتاب.

(٥) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها. انظر عن عمر بن عفيصان صفحة ٢٣٣ من هذا الجزء من الكتاب. أما الشيخ الوهيبي فتلقَّى العلم في الدرعية حتى أصبح مؤهلًا للقضاء، وعيَّنه الإمام عبدالله بن سعود قاضيًا فيها. ثم هرب عند سقوطها إلى رأس الخيمة، فلما استولى الإمام تركي على نجد عاد إليها. وظل قاضيًا في الأحساء حتى وفاته سنة ١٢٦٣هـ. انظر الشيخ البسام، ج٢، ص٢٥٢ - ٥٢٧.

٦- الإمام تركي والبادية:

كان هناك فرق بين موقف حاضرة نجد وموقف باديتها من الإمام تركي بن عبدالله. فالحاضرة- إلا من ندر منها- التفت حوله وانضوت تحت لوائه طائعة مختارة. ولم ينته عام ١٢٤٢هـ إلا وقد بايعته وأعلنت الولاء له[١]. أما البادية فإن أكثرها لم يذعن له إلا بعد أن أدرك قوته العسكرية[٢]. بل إن بعضًا ممن أذعنوا له منها غَيَّروا موقفهم بعد ذلك لأسباب مختلفة[٣]. ولذلك لم تنقطع غزواته لعدد من القبائل عدة سنوات[٤].

ولم يكن وضع حاضرة المنطقة الشرقية من البلاد وباديتها مختلفًا عن وضع حاضرة نجد وباديتها بصفة عامة. على أن بعض القبائل من المنطقتين كان موقفها المعادي أو غير الوُدِّي من الإمام تركي بن عبدالله أكثر وضوحًا من البعض الآخر. بل إن قسمًا من قبيلة واحدة كان مختلفًا، أحيانًا، عن قسم ثانٍ منها في موقفه تجاه ذلك الإمام. ومما يراه الباحث أن القبائل كانت تتحارب فيما بينها رغم تبعيتها لجهة واحدة هي دولة الإمام المذكورة[٥].

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص٢٧ و٤١.

(٢) من ذلك أن رؤساء سبيع، والسهول، والعجمان، ومطير، وقحطان، وفدوا على الإمام تركي بن عبدالله سنة ١٢٤٣هـ، وذلك بعد أن رأوا دخول حاضرة نجد كلها تحت نفوذه، ورأوا هزيمته لفريق من قبيلة مطير قبل عام من التاريخ المذكور، انظر المصدر نفسه، ج٢، ص٤٢.

(٣) من ذلك أن فئات من قبيلة سبيع وفئات من مطير انضمت إلى زعماء بني خالد في زحفهم على نجد سنة ١٢٤٥هـ. المصدر نفسه، ج٢، ص٤٧. وكانت سبيع ومطير ممن بايع الإمام قبل ذلك بسنتين، كما سبق أن ذكر.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٠، ٥٢ و٥٥.

(٥) وقد اتضح ذلك من مناخ المربع، سنة ١٢٤٩هـ، الذي انقسمت فيه القبائل على نفسها انقسامًا غريبًا. انظر تفصيله لدى ابن بشر، ج٢، ص٥٩ - ٦١.

٧- الإمام تركي وجهات عمان:

ظلت بعض المناطق التي دخلت تحت نفوذ الدولة السعودية الأولى في جهات عمان؛ مثل رأس الخيمة، على ولائها لآل سعود والمبادئ التي قامت عليها تلك الدولة. وقد لجأ إليها عدد ممن هربوا من الدرعية حين استسلم الإمام عبدالله بن سعود لإبراهيم باشا[١]. وفي عام ١٢٤٤هـ وَفَد إلى الإمام تركي بن عبدالله جماعة من أهل تلك الجهات، وطلبوا منه أن يرسل إليهم قاضيًا وسَريَّة تقف معهم ضد خصومهم. فأرسل إليهم سَريَّة بقيادة عمر بن عُفَيْصان ومعه الشيخ محمد العوسجي[٢]. وأصبحت البُرَيمي مركزًا للقوة السعودية في الجهات المشار إليها.

على أن عمر بن عُفَيْصان لم يمكث طويلاً في جهات عُمان؛ إذ عاد إلى نجد، ثم صحب الإمام تركي بن عبدالله في غزوة للأحساء، حيث عُيِّن أميرًا عليها كما سبق أن ذكر. وفي سنة ١٢٤٨هـ أرسله الإمام تركي على رأس حملة قوية إلى عُمان، واضطر السلطان سعيد، صاحب مسقط، إلى إظهار المَودَّة لذلك الإمام وإلى دفع مبلغ مالي إليه سنويًّا[٣]. وهكذا وصل نفوذه في جهات عمان إلى المستوى الذي وصل إليه نفوذ قادة الدولة السعودية الأولى، أو كاد يصل إليه.

٨- الإمام تركي وآل خليفة:

كان لدخول المنطقة الشرقية تحت حكم الإمام تركي بن عبدالله أثره المباشر في علاقته مع آل خليفة الذين كانوا يحكمون البحرين وجزءًا كبيرًا من

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٩ - ٣٠٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٥؛ بيلي وايندر وترجمة عنوان كتابه: **العربية السعودية في القرن التاسع عشر**، نيويورك، ١٩٦٥م، ص٨٠ - ٨١ اعتمادًا على بادجر في تاريخه لأحداث عمان من سنة ١٨٣٢ إلى سنة ١٨٣٤م.

قطر حينذاك. وقد دخل الإمام مع عبدالله ابن خليفة في مفاوضات أَدَّت إلى اعتراف عبدالله بتبعيته للإمام المذكور، وقبوله دفع الزكاة إليه، على أن يساعده الإمام ضد أَيِّ عدوان يُوجَّه إلى البحرين[1]. لكن ذلك الاتِّفاق لم يستمر حتى نهاية عهد الإمام تركي. ففي أواخر عهده حدث خلاف بين العمايِر وأمير القطيف[2]. وذهب فيصل بن تركي إلى هناك لمعالجة تلك المشكلة. فلما أغار على العمايِر لجأ من انهزم منهم إلى قصر الدمام، الذي كان فيه أبناء آل خليفة. فهاجمهم فيصل هناك، ثم رحل إلى سيهات، التي كان رئيسها مُتَّفقًا مع ابن خليفة على محاربة آل سعود. وقد حَقَّق فيصل كثيرًا من النجاح في المنطقة. لكن أخبار اغتيال أبيه في الرياض جعلته ينسحب بسرعة من المنطقة المذكورة إلى العاصمة[3].

٩- الإمام تركي والعثمانيون:

من الواضح أن العثمانيين كانوا يكرهون أن تقوم دولة جديدة لآل سعود بعد أن رأوا ما رأوه من الدولة السعودية الأولى. ولذا فإن حاكم مصر، الذي كان تابعًا للدولة العثمانية، بذل جهودًا مكثفة للقضاء على حركة الإمام تركي بن عبدالله في مهدها. لكن ذلك الإمام نجح أمام العقبات التي واجهته. ومع نجاحه العسكري في إرغام بقية رجال محمد علي على مغادرة نجد، فإنه حاول أن يَتقرَّب من الدولة العثمانية، وينال اعترافها به، وذلك بمراسلة كُلٍّ من والي مصر ووالي العراق، والتَّودُّد إليهما؛ معلنًا استعداده لموالاتهما[4]. وقد نجح في إقامة علاقة لا بأس بها مع باشا بغداد، لكن حاكم مصر لم يعترف به؛

---

(١) المصدر الأخير نفسه، ص٧٨.

(٢) العمايِر: فرع من بني خالد.

(٣) ابن بشر، ج٢، ص٦١.

(٤) عبدالرحيم، **محمد علي وشبه الجزيرة العربية**، القاهرة، ١٩٨١م، ص٢٥٠ - ٢٥١.

بل كان ينظر إلى المناطق التي استولى عليها على أنها تابعة له. ولم يمنعه من التدخُّل ضده عسكريًّا إلا انشغاله بحروبه خارج الجزيرة العربية، وبمحاولته القضاء على ثورة عسير. وظَلَّ الإمام تركي يَتصرَّف في دولته تَصرُّف الحاكم القَويِّ المستقل. لكنه لم يحاول أن يَتحدَّى الدولة العثمانية أو حكومة محمد علي بالتعرُّض للمناطق الحساسة كالحجاز.

١٠- نهاية عهد الإمام تركي:

كان مشاري بن عبدالرحمن آل سعود[١] -ابن أخت الإمام تركي- مع من أُخِذ من أفراد الأسرة السعودية إلى مصر بعد استيلاء إبراهيم باشا على الدِّرْعيَّة. وكان خاله يُقدِّره غاية التقدير، ويراسله في منفاه[٢]. وقد حَثَّه على القدوم إليه في نجد. فكان أن هرب مشاري من مصر، وقدم إلى الرياض سنة ١٢٤١هـ[٣]. فأكرمه الإمام تركي، ووَلَّاه إمارة منفوحة. لكنه عزله عن إمارة هذه البلدة، سنة ١٢٤٥هـ، إثر وشاية دارت حوله بأنه يتآمر مع آخرين للإطاحة

---

(١) أورد ابن بشر نسبه في موضع من كتابه (ج٢ - ص٣٢) على أنه مشاري بن عبدالرحمن بن حسن بن مشاري ابن سعود بن محمد بن مقرن. لكنه أورده في موضع آخر (ج٢، ص٢٧ و٦٣) بحذف اسم حسن من النسب، وقد أورده آل الشيخ في تعليقه على ابن بشر (ج٢، ص٦٣ هـ١) بإثبات اسم حسن. على أن عبارة ابن بشر (ج٢، ص١٤) - عند حديثه عن ذرية مشاري بن سعود بن محمد بن مقرن- توحي بأن عبدالرحمن، أبا مشاري، ابن لمشاري بن سعود.

(٢) من بين رسائل تركي إليه قصيدته المشهورة التي مطلعها:

طار الكرى من مَوق عيني وفرَّا وفزَّيت من نومي طرى لي طواري

ومنها:

سر يا قلم واكتب على ما تورَّا أزكى سلام لابن عمي مشاري

(٣) ذكر ابن بشر (ج٢، ص٢٧) قدوم مشاري ضمن حوادث سنة ١٢٤١هـ. لكنه حين تكلَّم عن اغتيال الإمام تركي قال (ج٢، ص٦٣) عن مشاري: إنه قدم من مصر سنة ١٢٤٢هـ. ويبدو أن التاريخ الأول أصح، ذلك أن مشاري بن عبدالرحمن كان قائد إحدى الغزوات سنة ١٢٤٢هـ. المصدر نفسه، ج٢، ص٣٩. وهذا يرجح أنه كان في نجد قبل تلك السنة.

بخاله عن الحكم. وبينما كان الإمام تركي غازيًا بعد ذلك بعام خرج مشاري من الرياض ثائرًا ضده. وقد حاول أن يجد له مؤيدين في نجد، لكنه فشل فشلًا ذريعًا لما كان يَتمتَّع به الإمام من تقدير وإعجاب بين السكان. ولذلك تَوجَّه إلى الحجاز محاولًا أن ينال تأييد الشريف محمد بن عون. لكن الشريف قبله لاجئًا عنده، وامتنع عن مساعدته عسكريًّا.

وبقي مشاري بن عبدالرحمن في الحجاز حتى مستهل عام ١٢٤٨هـ. ثم تَوجَّه إلى نجد، فوصل إلى بلدة المِذنَب، في القصيم، وطلب من أهل تلك البلدة أن يشفعوا له عند خاله. فركبوا معه إلى الرياض. وقَدَّرهم الإمام، فعفا عنه، وأنزله في بيت من البيوت الخاصة بأسرته[١].

على أن طموح مشاري بن عبدالرحمن على الحكم ظَلَّ مسيطرًا على مشاعره. وحينما كان فيصل بن تركي على رأس القوات السعودية في شرقي الجزيرة العربية للقضاء على التمرُّد الذي قام به العمايِر استغل مشاري بن عبدالرحمن هذه الفرصة فدَبَّر مؤامرة أَدَّت إلى اغتيال خاله الإمام تركي بن عبدالله، واستيلائه على مقاليد الأمور في الرياض. وكان ذلك في آخر يوم من سنة ١٢٤٩هـ[٢]. (١٨٣٤/٥/٩م).

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٥١.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٣ - ٦٥ وكان الذي قام باغتيال الإمام تركي إبراهيم بن حمزة، أحد المماليك السود، ويذكر موزل وترجمة عنوان كتابه: (**شمالي نجد**؛ نيويورك، ١٩٢٨، ص٢٣٧) أن مشاري بن عبدالرحمن قتل تركي بن عبدالله بالذهب المصري، كما يذكر (ص٢٧٢) أن للقائد إسماعيل بك يدًا في هذا الموضوع، وأن الأتراك اعترفوا بحكومة مشاري بعد اغتياله لخاله. لكن من الواضح أن مشاري بن عبدالرحمن بدأ محاولاته للتخلُّص من خاله منذ سنة ١٢٤٥هـ. على أن شريف مكة المؤيِّد للمصريين، والتابع لهم، لم يساعد مشاريًا حين قدم إليه ثائرًا ضد تركي سنة ١٢٤٦هـ. وهذا وذاك مما يرجح أن الدافع لمشاري للإقدام على ما أقدم عليه كان ذاتيًّا، وهو الرغبة في الحكم، أما عن اعتراف الأتراك بحكومة مشاري فمعروف أن هذا الأمير حوصر من قِبَل فيصل بن تركي بعد ثمانية عشر يومًا من اغتيال تركي، وقُضي عليه بعد أربعين يومًا من ذلك الاغتيال. ومن غير المرجح أن يحدث الاعتراف المذكور خلال هذه المدة القصيرة في زمن مثل ذلك الزمن.

وهكذا انتهى عهد الإمام تركي الذي اتَّصف بصفات قيادية عظيمة، من أبرزها الشجاعة وحسن التخطيط والعدل. وقد تَمكَّن من إجلاء بقية القوات التابعة لحاكم مصر عن نجد، كما تَمكَّن من توحيد كثير من المناطق التي كانت تابعة للدولة السعودية الأولى. وهو بما حَقَّقه من نجاح لم يَتفوَّق عليه نجاح أي حاكم من حكام الدولة السعودية الثانية، وبأقدميته زمنًا على أولئك الحكام، يُعدُّ المؤسس لتلك الدولة.

*****

الفترة الأولى من حكم الإمام
فيصل بن تركي

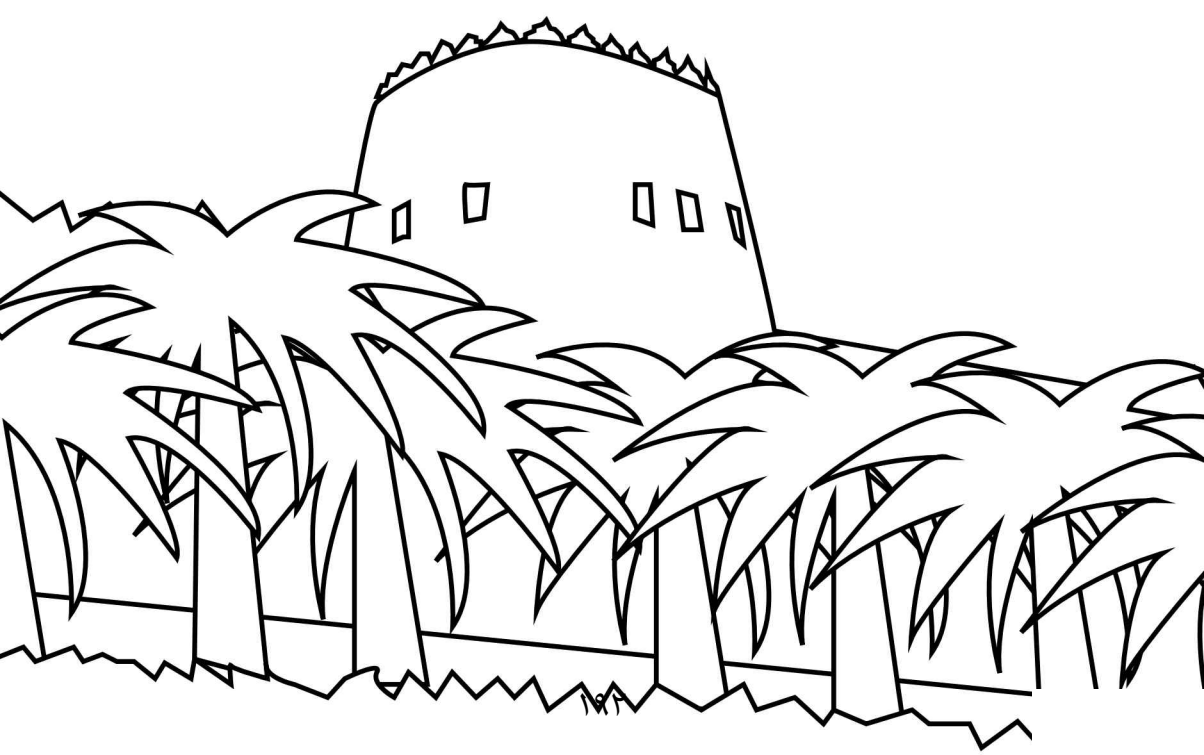

١ - تولِّيه الحكم وتثبيته:

حينما وصل إلى فيصل بن تركي خبر اغتيال أبيه واستيلاء مشاري بن عبدالرحمن على مقاليد الأمور في الرياض جمع كبار قادة جيشه، وأطلعهم على ما حدث، فبايعوه بالإمامة. واستقر رأي الجميع على العودة بسرعة إلى الرياض لانتزاع الحكم ممن استولى عليه جورًا[١].

وبعد ثمانية عشر يومًا فقط من اغتيال الإمام تركي بن عبدالله وصل ابنه فيصل بقواته من المنطقة الشرقية إلى الرياض. وتَمكَّن من دخول هذه المدينة مفاجئًا بذلك خصمه الذي اعتصم بقصر الحكم. وكان واضحًا منذ البداية أن كِفَّة فيصل راجحة على كِفَّة مشاري. ذلك أن تقدير سكان العاصمة لأبيه كان عظيمًا. وكان اغتيال ذلك الأب قد ترك أثرًا عميقًا في نفوسهم، وَهيَّأهم للوقوف مع مَن سينتقم من مغتاليه. ولَعلَّ من أَدلَّة ذلك أن من وُضِعوا في بروج سور المدينة للدفاع عنها فرحوا برؤية أتباع فيصل بن تركي، وساعدوهم على الدخول إليها[٢].

وكانت نهاية مشاري بن عبدالرحمن معروفة، فلم تكن مسألة انهياره والقضاء عليه إلا مسألة وقت فقط[٣]. وبعد عشرين يومًا من بدء محاصرته

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص٦٥. ويدل كلام ابن بشر، هنا على أن عبدالله بن علي بن رشيد، الذي كان صديقًا لفيصل وأحد كبار أعوانه، كان لرأيه أهميَّة في التوصل إلى ما توصل إليه من قرار. ويذكر هوبير وترجمة عنوان كتابه: (**تقرير عن رحلة في جزيرة العرب**، باريس، ١٨٨٨، ص١٥١ - ١٥٢) أن عبدالله علم بمقتل تركي قبل فيصل بورود رسالة إليه مع أحد القادمين من الرياض، وأنه أخبر فيصلاً بالحادثة. لكن رواية ابن بشر القريب من مسرح الأحداث أقرب إلى الصحة من رواية هوبير.

(٢) ابن بشر، ج٢، ص٦٦.

(٣) كان معه في القصر مئة وأربعون رجلًا. ومن الواضح مبالغة ابن بشر حين قال عنهم (ج٢، ص٦٦ - ٦٧): وهم في حصن حصين. وعندهم من السلاح وآلات الحرب كمين فوق كمين. وعندهم من الأزواد وفواكه الطعام ما لو حاربوا مئة سنة لكفاهم. ولعلَّ قصده من المبالغة أن الظالم مهما كان قويًّا، فإنه مهزوم لا محالة.

فقد فريق ممن كان معه الثقة بموقفهم، فنزلوا من القصر، وأخبروا فيصلاً واتباعه: أن الذعر قد دَبَّ في نفوس المحاصرين، كما أخبروهم بمواقعهم[1].

وكان مع مشاري بن عبدالرحمن داخل القصر سُويِّد بن علي أمير بلدة جلاجل سابقًا. ولم يكن غريبًا أن يقف سُويِّد مع مشاري لأن الإمام تركي بن عبدالله سبق أن عزله عن إمارة بلدته أواخر سنة ١٢٤٧هـ[2]. وكان يَهمُّه أن يعود إلى تلك الإمارة بأَيِّ وسيلة.

ولَعلَّه رأى طريق العودة إليها في وقوفه مع المستولي الجديد على السلطة في عاصمة البلاد. ومن الصدف أن سُويِّد بن علي كانت تربطه صداقة قديمة بعبدالله بن رشيد، أحد قادة جيش فيصل بن تركي المقرَّبين إليه[3]. وبموافقة من فيصل تَمَّ اتِّصال بين سُويِّد وعبدالله نتج عنه اتِّفاق على أن يُسهِّل الأول مَهمَّة تَسلُّق الثاني مع عدد من أفراد الجيش المُحاصِر إلى داخل القصر، وأن يقف بجانبهم ضد مشاري بن عبدالرحمن على أن يُولِّيه الإمام فيصل إمارة بلدته، جلاجل، وأن تكون إمارتها لذريته من بعده. وحينما أصبح ابن رشيد ومَن معه في القصر انضم إليه سُويِّد وأتباعه. ثم دارت بينهم وبين مشاري ومن بقي مواليًا له معركة انتهت بالقضاء عليه. وذلك بعد أربعين يومًا فقط من اغتيال الإمام تركي وتَولِّيه السلطة في الرياض[4].

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٦.

(٢) الفاخري، ص١٧٠، وكان سويِّد قد استولى على إمارة جلاجل سنة ١٢٣٦هـ. المصدر نفسه، ص١٥٤. وقد أصبح له نفوذ قوي في إقليم سدير. وكان ممن وقف مع تركي بن عبدالله في بداية عهده. وبعد عودته إلى إمارة جلاجل زمن الإمام فيصل بن تركي جُعلت زكاتها له.

(٣) كانت الصداقة بين سويِّد وعبدالله قد بدأت حينما كانا في العراق قبل تولِّي سويِّد إمارة جلاجل. انظر عن ذلك نبذة تاريخية عن نجد. أملاها ضاري الرشيد، وكتبها وديع البستاني، درسها وحقَّقها عبدالله العثيمين، الرياض، ١٤١٩هـ، ص٧٧.

(٤) انظر تفصيل ذلك في رسالة ابن سيف إلى ابن بشر، ج٢، ص٦٧ - ٦٩.

وبعد أن قُضِي على مشاري بن عبدالرحمن، وتَمَّت لفيصل بن تركي السيطرة على مقاليد الأمور في العاصمة، أخذت الوفود من مختلف البلدان، التي كانت تابعة لأبيه، تصل إليه معلنة ولاءها وتأييدها له[١]. وكان من أَوَّل الأعمال التي قام بها الإمام الجديد أن دعا كبار قضاة البلدان إلى عاصمته، وأكرمهم غاية الإكرام. ووجَّه خطابًا إلى أتباعه حَثَّهم فيه على الوحدة والتَّمشي مع أوامر الشرع؛ وبخاصة فيما يَتعلَّق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأداء الزكاة[٢]. ومعروف أن الزكاة كانت أَهمَّ مصدر من مصادر دخل الدولة حينذاك. ولذلك أمر الإمام فيصل عُمَّالها أن يركبوا مع رؤساء القبائل الذين وفدوا إليه لجبايتها من قبائلهم[٣].

على أن الأمور لم تسر وفق ما كان يَتمنَّاه الإمام فيصل؛ لا من حيث الاستقرار الداخلي ولا من حيث تأدية الزكاة إلى حكومته. ذلك أنه حدث خلاف بين سكان وادي الدواسر[٤]. وامتنعت بعض القبائل من أداء الزكاة إلى عُمَّال الدولة. فأرسل الإمام فيصل جيشًا إلى الوادي المذكور لإنهاء الخلاف القائم فيه. وقام ذلك الجيش بمهاجمة من وقع منهم الخلاف والشغب. ثم عاد إلى العاصمة[٥]. ومع أن الجيش المشار إليه قد أظهر، فيما يبدو، قوة الحكومة

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٤.

(٢) ومما قاله عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «وأنا ملزم كل من يخاف الله تعالى، ويرغب في الفلاح، أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن يكون الآمر مراعيًا للشروط في ذلك: بأن يكون عليمًا فيما يأمر به، عليمًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه. ابن بشر، ج٢، ص٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٣.

(٤) نص عبارة ابن بشر: «وقع بين أهل وادي الدواسر اختلاف بينهم». المصدر نفسه، الصفحة ذاتها. ومن المحتمل أن المشكلة هناك كانت اعتداء فريق من أهل ذلك الوادي على فريق آخر. وفي ذلك ما فيه من اضطراب أمني.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٢.

الجديدة إلا أنه لم يُحقِّق كل أهدافه، ثم سار الإمام فيصل بنفسه ومع قوات أغلبها من الحاضرة، وهاجم فريقًا من قبيلة الدواسر في العرمة[1]. وبذلك أدرك زعماؤهم قوته أكثر من ذي قبل، وأصبحوا على استعداد للإذعان له، ثم اتَّجه بمن معه إلى عالية نجد حيث أقام أربعين يومًا حول بلدة الشُّعَراء هاجم خلالها بعض القبائل التي لم تُؤدِ الزكاة إليه حتى خضعت لحكمه، وأَدَّت الزكاة إليه[2]. وهناك وفد إليه زعماء وادي الدواسر، وبايعوه على السمع والطاعة[3]. ومما قام به وهو نازل حول الشُّعَراء أن عَيَّن صديقه الحميم عبدالله بن علي بن رشيد أميرًا على جبل شَمَّر بدلًا من صالح بن عبدالمحسن بن علي[4]. وبذلك وضع أساس إمارة آل رشيد التي أصبح لها تأثير كبير في تسيير دفة الأحداث في منطقة نجد.

وبعد النجاح الذي حَقَّقه الإمام فيصل في إظهار قوته أمام القبائل النجدية عاد إلى الرياض، وأخذ يعمل لِحَلِّ المشكلة التي كانت قائمة في المنطقة الشرقية منذ أواخر عهد أبيه. وقد أتاحت له ظروفه الداخلية، وظروف خصومه من آل خليفة، التي كان منها تَوتُّر العلاقة بينهم وبين حاكم بلاد فارس، أن يصل معهم إلى اتِّفاق تَخلَّوا بموجبه عما سبق أن استولوا عليه من سواحل تلك المنطقة، وتَعهَّدوا بدفع الزكاة إليه مقابل مساعدته لهم ضد أَيِّ عدوان خارجي[5].

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٢) من عادة القبائل أن تنهي ارتباطها بالحكومة المركزية إذا توفي الحاكم الذي بايعته. فإن رأت في الحاكم الجديد ما يدفعها إلى مبايعته وإلا رفضت طاعته. وكان ممن امتنع عن دفع الزكاة إلى عُمَّال فيصل فريق من قبيلة قحطان. المصدر نفسه، ج٢، ص٨٤.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤) عن الظروف التي أدَّت إلى ذلك وما حدث بعد التعيين المذكور، انظر عبدالله العثيمين، **نشأة إمارة آل رشيد**، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤١١هـ، ص١١٣ - ١٦٣.

(٥) نخلة، ص٦٦ - ٦٧؛ وايندر، ص١٠٥ - ١٠٦.

٢- الغزو المصري ونهاية فترة حكمه الأولى:

وبينما كان الإمام فيصل بن تركي يوالي جهوده لتوطيد حكمه كان محمد علي حاكم مصر، قد نجح في تحقيق كثير من أحلامه الرامية إلى تكوين دولة كبرى على حساب الدولة العثمانية ذاتها، فقد استولى على السودان والشام وعلى أجزاء من بلاد اليونان والأناضول. وبما أنه قد ضَمَّ أجزاء مُهمَّة من جزيرة العرب قبل ذلك فقد قَرَّر أن يستولي على بقية مناطقها. على أنه أدرك من خلال تجاربه السابقة فيها أن أكثرية سكان نجد بالذات كانوا يُكنُّون مَودَّة وولاء لآل سعود. ولذلك رأى أن أحسن وسيلة تُسهِّل له الاستيلاء على هذه المنطقة هي أن يضع على رأس الحملات العسكرية الموجهة إليها رجلًا من الأسرة السعودية.

وما أن انتهى الإمام فيصل بن تركي من حَلِّ مشكلاته الداخلية، ومشكلته مع آل خليفة، حتى أتاه نذير خطر التدخُّل المصري ضده. وكانت بادرة ذلك النذير أن قدم إليه مبعوث من محمد علي عن طريق حكومة الحجاز يطلب منه تزويد الجيش المصري في الجزيرة العربية ببعض ما يحتاج إليه. ومن المرجح أن فيصلًا قد أدرك بأنه من الصعب عليه إمداد ذلك الجيش الذي إن لم يستعمل ضده مستقبلًا فإنه سيستعمل في ضرب الثورة العسيرية، التي كان يربط زعماءها به الحماسة لمبادئ الدعوة الإصلاحية النجدية. ولكنه رأى من المصلحة عدم الوقوف من الحكومة المصرية، التي أصبحت مرهوبة الجانب، موقف المتشدد. فاستحسن أن يرسل هدايا إلى ممثلها في الحجاز مع أخيه جلوي[1]؛ مؤملاً، فيما يبدو، أن يكون موقفه هذا كافيًا للتعبير عن حسن نواياه تجاهها، ومغنيًا عمَّا طلبته منه. بل إنه أبدى استعداده لمدِّ تلك الحكومة ببعض

(١) سمي جلوي بهذا لاسم، لأنه ولد في أثناء جلاء أبيه تركي بن عبدالله عن الدرعية بعد استسلامها لإبراهيم باشا. وكثيرًا ما سمَّى العرب أبناءهم بأسماء تشفُّ عن الظروف التي ولدوا فيها.

ما طلبته من الإبل. لكن حاكم مصر لم يقتنع بذلك الموقف؛ إذ لم تكن مطالبه في حقيقة الأمر إلا تمهيدًا للقيام بحملة عسكرية يستولي بها على نجد وما يتبعها من المناطق.

وهكذا جَهَّز محمد علي جيشًا بقيادة إسماعيل بك، ولكنه من الناحية الاسمية تحت راية خالد بن سعود، أخي الإمام عبدالله آخر حكام الدولة السعودية الأولى[1]. وكان خالد قد أُخِذَ مع مَن أُخِذ من أفراد أسرته إلى مصر بعد القضاء على تلك الدولة.

ولقد حاول الإمام فيصل بن تركي أن يتفادى الصدام مع الجيش المُوجَّه إليه بإرسال الهدايا إلى قائديه، وإظهار حسن نيته تجاههما. لكن محاولته لم تؤدِّ الثمرة المرجوَّة. ذلك أن الجيش واصل زحفه من المدينة المنورة إلى الحناكية مُتجِّهًا إلى القصيم. وهنا استقر رأي الإمام فيصل على أن يَتَّجه بقواته إلى ذلك الإقليم لئلا يقع في يد خصومه. وغادر الرياض آخر شهر شوال سنة ١٢٥٢هـ.

ولما وصل الإمام فيصل بأتباعه إلى إقليم القصيم أقام قرب التنومة فترة علم خلالها أن الجيش المصري قد وصل إلى بلدة الرس إحدى بلدانه المُهمَّة. فَتوجَّه الإمام إلى بلدة عُنَيزة ونزلها. فوقف معه أميرها وأهلها. ثم استنفر أمير بُرَيدة فوقف معه. وبعد ذلك تَحرَّك بقواته ومن انضم إليه من أهالي القصيم إلى رياض الخَبْراء. وأقام هناك حوالي عشرين يومًا مستعدًّا لمحاربة خصمه.

---

(١) في عام ١٢٤٨هـ قدم إلى بُرَيدة رجل ادَّعى أنه خالد بن سعود، وأنه قد هرب من مصر. فأمر الإمام تركي أتباعه بإكرامه وحين وصل إلى الرياض اكتشف بعض من عرفوا خالدًا في مصر بأن الرجل المدَّعي كاذب. فهرب من العاصمة إلى مصر، ابن بشر، ج٢، ص٥٨. ويقول عبدالرحيم (**محمد علي**، ص٢٦٥ - ٢٦٧): إن ذلك الرجل كان عجيل بن حمود أحد مشائخ عنزة، وإنه هرب من الرياض إلى المدينة المنورة، مؤملاً أن يجد لدى المسؤولين فيها مساعدة لحرب تركي. ثم بُعِثَ به من هناك إلى مصر.

وفي آخر الأمر قام ببعض الإجراءات التي جعلت بعض أتباعه يظنُّون أنه منهزم. فَدبَّت الفوضى بينهم. ورجع الإمام إلى عُنَيزة. ثم غادرها عائدًا إلى الرياض[١].

ومن سوء حظ الإمام فيصل أنه حين عاد من القصيم إلى عاصمة بلاده وجد أن الفشل قد دَبَّ في نفوس أهلها، وأنهم غير مستعدين لمواجهة الجيش المصري. بل إن قسمًا منهم كان مُهيّئًا للانضمام إلى ذلك الجيش؛ إما لأنهم رأوا أَحقِّية خالد بن سعود في الحكم، وإما لأنهم خافوا من بطش الغزاة[٢]. وعلى أَيِّ حال فإن الإمام فيصلًا حينما رأى ضعف موقفه في الرياض قَرَّر أن يتركها. فأخذ ما استطاع أخذه من قصر الحكم، واتَّجه هو ومن اتبعه إلى الخرج، ثم تَوجَّه من هناك إلى الأحساء[٣].

أما إسماعيل بك وخالد بن سعود فَتقدَّما بالجيش المصري إلى عُنَيزة فور مغادرة الإمام فيصل لها. وقد تَمكَّنا من الاستيلاء عليها صلحًا. ثم دخلت بقية بلدان القصيم تحت طاعتهما. وعندئذ بعثا أربع مئة فارس تركي ومئة رجل من أهل عُنَيزة بقيادة أميرها يحيى بن سُلَيم، مع عيسى بن علي، أحد أفراد الأسرة التي كانت لها إمارة حائل، إلى جبل شَمَّر لانتزاع حكمه من عبدالله بن رشيد. وحين اقتربت تلك القوة من الجبل هرب منه الأمير عبدالله، وذهب إلى بلدة جُبَّة[٤]. ودخلت القوة المذكورة بلدة حائل دون مقاومة. وبعد أن

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص٨٦ و٨٨ - ٩٠.

(٢) من بين الذين وقفوا ضد الإمام فيصل أحد مماليك آل سعود، خير الله، الذي كان يعتمد عليه ذلك الإمام. وقد أشارت إلى ذلك القصيدة المنسوبة للإمام، انظر: الحاتم، ج٢، ص١٢.

(٣) ابن بشر، ج٢، ص٩٠.

(٤) جُبَّة تبعد عن حائل تسعين كيلًا شمالًا. انظر عنها حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: شمال المملكة**، دار اليمامة، ١٣٩٧هـ، ص٣٠٨ - ٣١٠. وكان حاكمها حينذاك ابن رخيص، الذي آوى عبدالله وأكرمه. انظر عن ذلك العثيمين، **نشأة إمارة آل رشيد**، ص١٤٠ - ١٤٣.

ظَنَّ عيسى بن علي أن مركزه هناك قد أصبح آمنًا عاد يحيى بن سليم ومن معه إلى عُنَيزة، ولم يبق لدى عيسى إلا مئة جندي[١].

وعندما كان إسماعيل وخالد في عُنَيزة قدمت إليهما وفود من بلدان نجدية مختلفة معلنة ولاءها. ومن بين هذه الوفود أناس من أهل الرياض ذاتها[٢]. وبدا أن كثيرًا من سكان المنطقة يُؤيِّدون الجيش المصري الغازي، أو على الأَقلِّ لا يعارضونه. ثم تَوجَّه القائدان المذكوران إلى الرياض، فدخلاها دون قتال بعد أن هرب منها من لم يرضوا أن يخضعوا لحكومة مصر. ومن بين هؤلاء عدد من آل الشيخ ذهبوا إلى جهات الحلوة. والحَريق، وحوطة بني تميم، في جنوبي نجد، فأصبحوا من أكبر مُشجِّعي سكان تلك الجهات على الصمود ضد الغزاة. وكان وصول إسماعيل وخالد إلى الرياض في السابع من شهر صفر سنة ١٢٥٣هـ[٣].

وبعد أن أصبحت الرياض وجميع البلدان النجدية الواقعة غربها وشمالها تحت نفوذ الجيش المصري، أراد خالد بن سعود أن يسيطر على بلدان جنوبي نجد. لكن سكان تلك البلدان رفضوا طاعته ما دام يَستظلُّ بِظلِّ جيش محمد علي، فَتوجَّه إليهم بقواته لإخضاعهم بالقوة. ولكنهم تَمكَّنوا من إنزال هزيمة ساحقة به قرب بلدة الحلوة. فعاد بفلول جيشه المنهزم إلى الرياض[٤].

وكان لهزيمة خالد بن سعود ومن معه في جنوبي نجد دَويّ هائل بين النجديين بصفة عامة. وقد رأى فيها الإمام فيصل بن تركي بشائر نصر له ضد خصومه. فَتوجَّه مسرعًا من الأحساء إلى الخرج حيث لحق به أنصاره؛

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص٩١ - ٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٩٢.

(٣) الفاخري، ص١٧٣؛ ابن بشر، ج٢، ص١٩٣.

(٤) انظر تفصيل ذلك لدى الفاخري، ص١٧٣ - ١٧٤، ابن بشر، ج٢، ص٩٣ - ٩٤.

وبخاصة أولئك الذين سبق أن أحرزوا النصر على خالد ومن معه. ثم زحف بالجميع حتى وصل إلى قرب الرياض. فاشتبك مع خصومه، وانتصر عليهم، ثم حاصر الرياض ذاتها، وكادت تسقط في يده لولا أن إمدادات من قبيلتي سبيع وقحطان وصلت إلى هناك لنجدة خالد بن سعود ومن معه. فاضطر فيصل إلى فك الحصار عن العاصمة، وتراجع إلى بلدة منفوحة. ثم جرت اتصالات بينه وبني خالد لعقد الصلح. لكنهما لم يتوصلا إلى ذلك، فاستؤنفت الاشتباكات[1].

وفي أثناء ذلك جرت اتِّصالات بين فيصل بن تركي ووالي العراق العثماني[2]. ومن الواضح أن كُلًّا منهما حاول أن يستفيد من الآخر في الوقوف أمام العدو المشترك لهما حينذاك، وهو محمد علي. وحينما أدرك هذا الأخير ضعف موقف خالد بن سعود ومن معه بعث حملة جديدة إلى نجد بقيادة واحد من أمهر قادته العسكريين، وهو خورشيد باشا. وكان من أَوَّل ما قام به ذلك القائد أن أرسل إلى فيصل بن تركي هدية مع عبدالله الشريف، صاحب بلدة ينبع؛ آذنًا له أن يأخذ ما أراد أخذه من ممتلكاته الموجودة في الرياض، وواعدًا إيَّاه «التقرير في ملكه، ولا عليه منازع»، كما يقول ابن بشر[3]. ولَعلَّ ما حدث هو أن ذلك القائد وعد فيصلًا بأن يَظلَّ حاكمًا على أجزاء مما كان تحت يده؛ مثل الجهات الجنوبية من نجد والأحساء، وهما الجهتان اللتان كانتا ما تزالان مواليتين له. ومن الواضح أن هدف خورشيد من ذلك العرض كسب الوقت لكي يصل إلى العارض قبل أن ينال فيصل من خالد ما ينال. ولم يكن فيصل غير راغب في الصلح؛ لا سيما بعد أن علم بقوة الحملة الجديدة. فتراجع إلى

(١) المصدر الأخيرة نفسه، ج٢، ص٩٥ - ٩٧.

(٢) عبدالرحيم، **محمد علي**، ص٣٠١ - ٣٠٢.

(٣) ابن بشر، ج٢، ص٩٨.

الدِّلَم، وبعث هدية إلى خورشيد مع أخيه جلوي بن تركي، الذي بقي مع ذلك القائد في مسيرته من الحجاز حتى وصل إلى القصيم. وسواء كان بقاء جلوي مع خورشيد شرطًا من شروط الأخير ليضمن عدم مهاجمة فيصل لخالد بن سعود، أو كان رغبة من ذلك الإمام في كسب ثقة القائد المذكور وزيادة في إظهار حُسن نواياه تجاهه، فإن جلوي بن تركي هرب من عُنَيزة بعد أن اتَّضحت له حقيقة موقف خورشيد من أخيه الإمام فيصل[1].

وبينما كانت تلك الأحداث تجري حدث تَغيُّر في سير الأمور بمنطقة جبل شَمَّر. فقد ترك عبدالله بن رشيد جُبَّة، واتَّخذ من بلدة قُفَار المجاورة لحائل مركزًا لنشاطه ضد عيسى بن علي. وفي أثناء مواصلته لذلك النشاط أشار عليه رجل من حائل بأن يذهب إلى المدينة المنورة، ليتَّفق مع خورشيد باشا ويتعاون معه، مقابل مساعدة ذلك الباشا له على استعادة إمارة الجبل. وذهب عبدالله إلى هناك، واتَّفق مع خورشيد. لكنه لم يعد إلى جبل شَمَّر إلا وقد نجح أخوه عُبيد في الاستيلاء على حائل وإخراج عيسى بن علي منها. وبذلك عاد عبدالله بن رشيد إلى إمارة الجبل بقوة أخيه عبيد وأعوانه، وبمباركة قائد الحملة المصرية الجديدة، خورشيد باشا[2].

ولقد استقام خورشيد في عُنَيزة حوالي خمسة أشهر وفد إليه خلالها كثير من زعماء القبائل الكبيرة في نجد معلنين ولاءهم له، واستعدادهم للقيام

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٩٨ - ٩٩ و١٠١ و١٠٣.

(٢) انظر تفصيل ذلك لدى العثيمين في نشأة إمارة آل رشيد، ص١٤٦ - ١٥٢.
ومن الواضح أن عبدالله بن رشيد رأى استعداد الإمام فيصل للاتفاق مع خورشيد، كما رأى قوة هذا القائد، فتعاون معه. وقد كان ذلك التعاون لمصلحته ولمصلحة صديقه الإمام فيصل مستقبلًا؛ إذ كان جبل شمَّر النقطة التي انطلق منا ذلك الإمام سنة ١٢٥٩هـ لاستعادة حكمه.

بما يأمرهم به. كما وفد إليه الأمر عبدالله بن رشيد، ونال تقديره وهداياه[1]. ثم واصل قائد الحملة سيره إلى الرياض. فلما وصل إليها أفصح عن نواياه الحقيقية تجاه فيصل بن تركي، وأنذره بأنه سيحاربه إن لم يستسلم له. ورفض الإمام أن يستسلم لخورشيد، فاتَّجه هذا القائد لمحاربته. ودارت بينهما عدة معارك في جهة الدِّلَم. وكان النصر في النهاية لخورشيد ومن معه. واضطر الإمام فيصل إلى أن يقابله لإنهاء الحرب. واتَّفقا على أن يُؤَمَّن أتباع فيصل، وأن يَتوجَّه هو إلى مصر، وكان ذلك في العشر الأواخر من رمضان سنة ١٢٥٤هـ[2]. وهكذا انتهت فترة حكم الإمام فيصل الأولى، وحُمِل إلى القاهرة في اليوم الثاني من شهر شوال من تلك السنة[3]، التاسع عشر من ديسمبر عام ١٨٣٨م.

*****

(١) وقد حدثت بين خورشيد وأهل عنيزة مشكلة قتل بسببها تسعون رجلًا من جنده وخمسون من أهل تلك البلدة. انظر تفصيل ذلك لدى ابن بشر، ج٢، ص١٠١ - ١٠٢ والفاخري، المصدر السابق؛ ١٧٤. ولمزيد من التفصيلات انظر دراسة الدكتور محمد الثنيان، «**انقضاض عنيزة على جند خورشيد باشا وحصاره لها**»، **مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، الآداب والعلوم الإنسانية**، ١٤٠٨هـ ص٢٤٧ - ٢٧٩ وكتاب الدكتور محمد السلمان، **الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية**، عنيزة، ١٤٠٧هـ، ص١٠٣ - ١٠٦.

(٢) ابن بشر، ج٢، ص١٠٢ - ١٠٧.

(٣) عبدالرحيم، **محمد علي**، ص٣٠٩.

البلاد بين فترتي حكم الإمام فيصل بن تركي

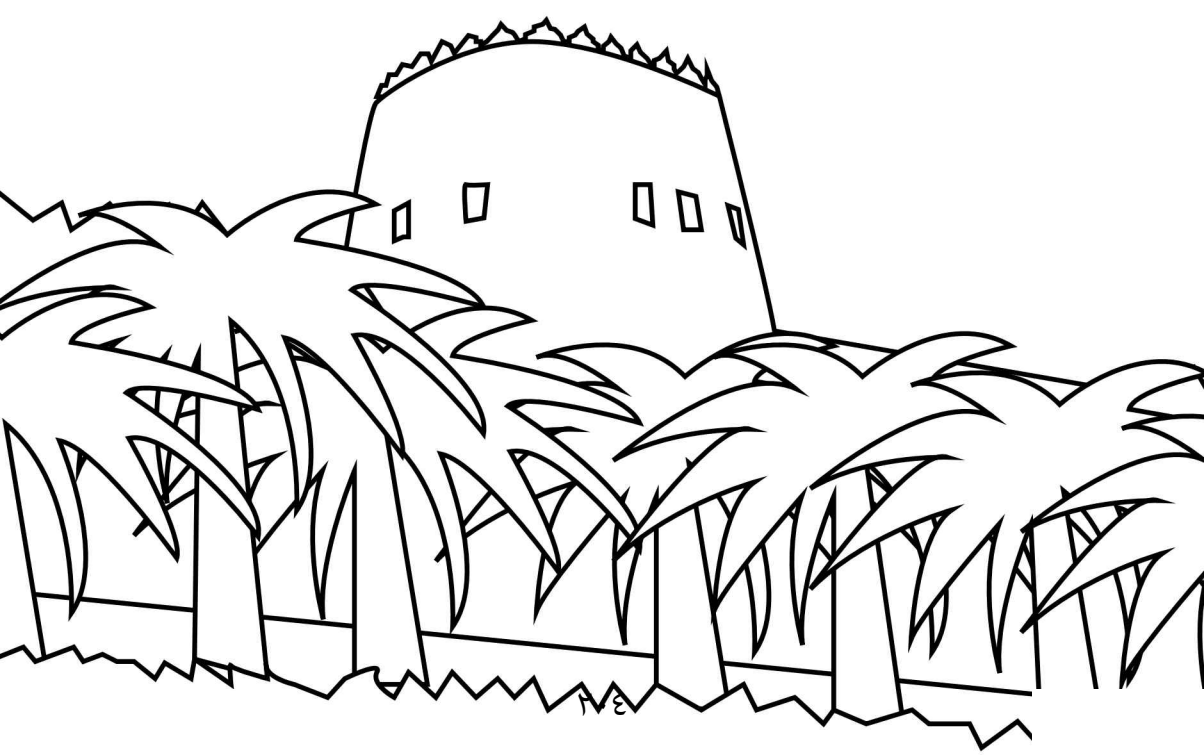

بعد استسلام الإمام فيصل بن تركي لخورشيد باشا بدأ هذا القائد يخطط للاستيلاء على منطقة الأحساء المُهِمَّة، ثم التوغل منها في بقية جهات الخليج. فأرسل إلى عمر بن عُفَيصان، أمير تلك المنطقة من قِبَل الإمام فيصل؛ عارضًا عليه الأمان مقابل دخوله في طاعته[1].

وإدراكًا من عمر لقوة خورشيد ترك الأحساء: إما لعدم ثقته بذلك القائد وبما عرضه عليه من أمان، وإما لعدم رغبته في الدخول تحت نفوذه. وبتركه الأحساء دخلت تلك المنطقة تحت حكم خورشيد. فَعيَّن أحمد السديري أميرًا لها. وعَيَّن عيسى بن علي، الذي سبق أن تَولَّى إمارة جبل شَمَّر، أمينًا لبيت المال فيها[2]. وتَمكَّن بعد ذلك من إدخال القطيف تحت نفوذه[3]. وبذلك خضعت المنطقة الشرقية كلها له.

وكان من نتائج استيلاء خورشيد على المنطقة الشرقية أن بدأ نشاطه في بقية جهات الخليج وعمان؛ مُتّخذًا من تبعية تلك الجهات لآل سعود بطريقة من الطرق وسيلة لمحاولة إدخالها تحت الحكم المصري. ويبدو أن الظروف التي كان يَمرُّ بها حاكم البحرين حينذاك قد هَيَّأته لإبرام اتِّفاق مع خورشيد، بحيث أصبح وضع ذلك الحاكم معه مشابهًا لوضع أسلافه من آل خليفة مع القادة السعوديين الأقوياء[4]. وقد نجح خورشيد، أيضًا، في مَدِّ نفوذه على الجهات التي كانت خاضعة لآل سعود في نواحي عمان. وقام بجهود لإجبار سلطان مسقط بأن

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص١٠٨.

(٢) على أن عيسى لم ينعم بذلك المنصب طويلاً؛ إذ توفي آخر سنة ١٢٥٥هـ. انظر المصدر نفسه، ج٢، ص١١ و١١٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١١٠.

(٤) انظر تفصيل ذلك لدى وايندر، ص١٢٥ - ١٢٨؛ عبدالرحيم، **محمد علي**، ص٣٢٢ - ٣٤٣ نخلة، ص٧٧ - ٩٣.

يكون وضعه تجاهه مثل وضعه مع أولئك القادة السعوديين[١]. وأقام علاقات طيبة مع حاكم الكويت[٢]. ثم بدأ يُخطِّط لغزو العراق[٣].

ومن الواضح أن النجاح الذي حَقَّقه محمد علي عن طريق قائده في الجزيرة العربية؛ إضافة إلى ما حَقَّقه من نجاح في مناطق أخرى، قد أثار مخاوف بريطانيا بدرجة كبيرة. وإذا كانت هذه الدولة قد رأت في الدولة السعودية الأولى مصدر خطر على نفوذها في الخليج، وأبدت سرورها بِقضاء حاكم مصر عليها، فإنها قد أدركت أن هذا الحاكم قد أصبح أَشدَّ خطرًا عليها من آل سعود، بعد أن وصلت دولته إلى ما وصلت إليه من اتِّساع، وبلغ جيشه ما بلغه من تنظيم وتدريب وقوة. ولذلك بدأت تعمل على تحطيم قُوَّته التي باتت تُهدِّد مصالحها في المنطقة كلها. وقد لاحت الفرصة الذهبية أمامها حينما انتصرت قواته على قوات الدولة العثمانية، وزحفت نحو عاصمتها مما جعل ذلك الصراع يَتحوَّل إلى أزمة دولية. وتَزعَّمت بريطانيا بعض القوى العالمية حينذاك، فأرغمت محمد علي، بموجب معاهدة لندن سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م)، على سحب قواته من بلاد الشام والجزيرة العربية. وبذلك لم تطل إقامة خورشيد في شرقي الجزيرة ونجد؛ بل انسحب إلى الحجاز، فمصر، تاركًا حاميات صغيرة مع خالد بن سعود[٤].

وكان لانسحاب خورشيد بقواته أثر كبير على موقف خالد بن سعود. ذلك أن الجهات النائية نوعًا ما عن الرياض بدأت تَتصرَّف تَصرُّف المستقل. ولم يستمر خالد في الحكم بعد ذلك الانسحاب أكثر من عام واحد، حدثت خلاله عدة مشكلات، من أبرزها المشكلة التي قامت بين زعيم جبل شَمَّر، عبدالله بن رشيد،

---

(١) عبدالرحيم، **محمد علي**، ص٣٥٤ - ٣٥٦، وايندر، ص١٢٩ - ١٣١، نخلة، ص٩٤ - ٩٧.

(٢) عبدالرحيم، **محمد علي**، ص٣٧٤ - ٣٧٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٧٦ - ٣٨٩.

(٤) ابن بشر، ج٢، ص١١٣ - ١١٤، عبدالرحيم، **محمد علي**، ص٣٨٨.

وزعماء القصيم؛ وبخاصة أمير بُرَيدة عبدالعزيز بن محمد آل عُليَّان. وقد تَطوَّرت هذه المشكلة إلى حدوث معركة بين الطرفين في بقعاء سنة ١٢٥٧هـ. وانتصر في تلك المعركة زعيم الجبل وقومه من شَمَّر انتصارًا عظيمًا على أهل القصيم وحلفائهم من عنزة. فثبت مركزه في منطقته وما حولها أكثر من ذي قبل[١].

على أن المشكلة الحقيقية الكبرى بالنسبة لخالد بن سعود في تلك الفترة كانت ثورة عبدالله ابن ثُنيَّان آل سعود ضده[٢]. كان عبدالله يختلف مع خالد في نظرته تجاه الحكم المصري. وقد اتضح موقفه المعادي لمحمد علي وأعوانه قبل انسحاب خورشيد من نجد. وربما كان ذلك هو السبب الأساس لعدم اطمئنان خالد إليه، وإلحاحه على أن يصحبه إلى القصيم لوداع القائد المذكور حين مغادرته تلك المنطقة. لكن عبدالله استطاع فيما بعد أن يهرب من الرياض إلى قبيلة المنتفق. ثم عاد من تلك القبيلة إلى نجد بعد فترة قصيرة، واتجه إلى بلدة الحائر. وبدأ نشاطه من هناك، فاتصل بسكان المنطقة الجنوبية من نجد الذين اشتهروا بمقاومتهم للنفوذ الخارجي في البلاد. واتفق معهم على العمل للإطاحة بخالد بن سعود الممثِّل لذلك النفوذ. وقد حاول خالد أن يستنهض همم النجديين للوقوف معه ضد ابن ثُنيَّان ومن انضم إليه. لكن محاولته باءت بالفشل. فأدرك أن الموقف في صالح خصمه. وقرر أن يبتعد عن نجد ويذهب إلى الأحساء، لعلَّه يجد فيها من يقف معه. أما ابن ثُنيَّان فاستولى على ضرما، وزحف بأتباعه صوب الرياض. واستطاع أن يستولي على البلدان القريبة منها. ثم بدأ يهاجمها

---

(١) من علامات خطورة هذه المعركة أن ابن بشر (ج٢، ص١١٧ - ١١٨) سمَّاها «الواقعة العظمى والحادثة الكبرى». وانظر عن ظروفها وملابساتها ونتائجها عبدالله العثيمين، **نشأة إمارة آل رشيد**، ص٢٣١ - ٢٤٣.

(٢) عبدالله بن ثُنيَّان هو عبدالله بن ثُنيَّان بن إبراهيم بن ثُنيَّان بن سعود بن محمد بن مقرن. انظر: **مثير الوجد في أنساب ملوك نجد**، لراشد بن علي الحنبلي، تحقيق عبدالواحد راغب، دارة الملك عبدالعزيز، ١٣٩٩هـ، ص٥٠.

حتى تمكن من دخولها وإجبار الحامية العسكرية الموجود فيها على مغادرتها. وما إن تمَّ له ذلك حتى قدمت إليه وفود من بلدان نجدية متعددة معلنة ولاءها. وعاد إلى العاصمة من سبق أن تركوها في ظل الحكم المصري[١].

وحينما علم خالد بن سعود باستيلاء عبدالله بن ثُنيَّان على الرياض حاول أن يجهِّز جيشًا من الأحساء ليزحف به على نجد. لكن الشعور بالضعف كان قد أخذ منه مأخذه، فأقلع عن محاولته، وغادر تلك المنطقة إلى الكويت. ومن هناك توجه إلى القصيم، ثم إلى مكة المكرمة[٢].

ولما وصلت الأخبار إلى عبدالله بن ثُنيَّان بهروب خالد بن سعود من الأحساء بعث طليعة من أتباعه لتستولي على قصر الحكم فيها. ثم بعث إليها عمر بن عُفَيْصان أميرًا. وعيَّن بعد ذلك أحمد بن محمد السديري أميرًا على القطيف. وهكذا أصبح نفوذه يشمل المنطقة الشرقية ونجدًا باستثناء منطقتي القصيم وجبل شمَّر اللتين يبدو أنهما كانتا تتمتعان بالاستقلال[٣].

ولقد حاول عبدالله بن ثُنيَّان أن يبسط نفوذه على الجهات التي سبق أن خضعت لآل سعود في نواحي عمان[٤]. لكن عهده لم يطل لكي يَتضَّح أنه قادر أو غير قادر على تحقيق ما حَقَّقه أسلافه من نجاح؛ وبخاصة أن النفوذ البريطاني قد ازداد في تلك الجهات بعد انسحاب قوات محمد علي من الجزيرة العربية.

ومع أن عبدالله بن ثُنيَّان كان صلبًا في آرائه تجاه أَيِّ نفوذ خارجي على بلاده، فإنه أبدى رغبة ملحة في إقامة علاقات طيبة مع حكومة الحجاز وشريف

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص١١٩ - ١٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٤.

(٣) ومن أدلة ذلك أن أمير بريدة عند قدوم فيصل من مصر إلى جبل شمَّر سنة ١٢٥٩هـ اتصل بابن ثنيَّان واعدًا إياه بأن يبايعه ويقف معه إن هو اتجه إليه.

(٤) وايندر، ص١٤١.

مكة محمد بن عون. ومن أَدلَّة ذلك أنه بعث إلى مُمثِّل تلك الحكومة وإلى الشريف مبديًا حسن نواياه تجاههما[1].

ولقد شهد شهر رمضان من سنة ١٢٥٨هـ نزول أمطار غزيرة جدًّا على نجد، وانتهت بذلك سنوات قحط مريرة توالت على البلاد منذ اغتيال الإمام تركي بن عبدالله[2]. ولم يكن ذلك عائدًا بالفائدة على عامة السكان فقط، وإنما كان مفيدًا غاية الفائدة لعبدالله بن ثُنيَّان. ذلك أن ازدهار الثروة الحيوانية والزراعية كان سيزيد دخله من الزكوات. لكن ذلك الحاكم لم ينعم بما كان مؤملاً؛ إذ حدث في مستهل السنة التالية ما كَدَّر صفوه، ومَهَّد السبيل لإنهاء حكمه.

فقد تَمكَّن فيصل بن تركي- بتدبير من حفيد محمد علي، عباس باشا- من مغادرة مصر بَرًّا والوصول إلى جبل شَمَّر[3]. ومن هناك بدأ خطواته التي أَدَّت إلى القضاء على حكم ابن ثُنيَّان، واستعادته للحكم، كما سيأتي مفصلًا.

*****

(١) ابن بشر، ج٢، ص١٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٦ - ١٢٧.

(٣) اختلفت الروايات في مسألة خروج فيصل من مصر. فابن بشر (ج٢، ص١٢٩) يذكر أنه نزل من حبسه بحبال عبر فرجة تبعد عن الأرض أكثر من سبعين ذراعًا، حيث استقل ركائب سبق أن واعد أصحابها إلى جبل شَمَّر. لكنه قال في موضع آخر من كتابه (ج٢، ص١٠٧): إن فيصلًا كان في بيت، وكان كثير من المصريين يأتون إليه ليقرأ على مرضاهم. أما دحلان فيقول (ج٢، ص٣١٢ - ٣١٣): إن خروج فيصل كان بتدبير من عباس باشا بعد أن وعده بأن يكون مواليًا لحكومة مصر. ولعل فيصلًا كان في بيت تحت الحراسة. وخرج من مصر بتدبير عباس باشا. وكان معه حين خرج من هناك أخوه جلوي وابنه عبدالله وابن عمه عبدالله بن إبراهيم، انظر ابن بشر، ج٢، ص١٢٩. ومن الواضح أن مصر لن تخسر شيئًا في عودة فيصل إلى نجد، لأنها لن تمده برجال أو سلاح. فإن نجح في مسعاه فإنه سوف يقضي على ابن ثنيَّان الذي كان قاسيًا في معاملته لمن بقي من الجنود المصريين. وإن خسر الجولة مع خصمه، فلن يضيرها ذلك شيئًا.

الفترة الثانية من حكم الإمام
فيصل بن تركي

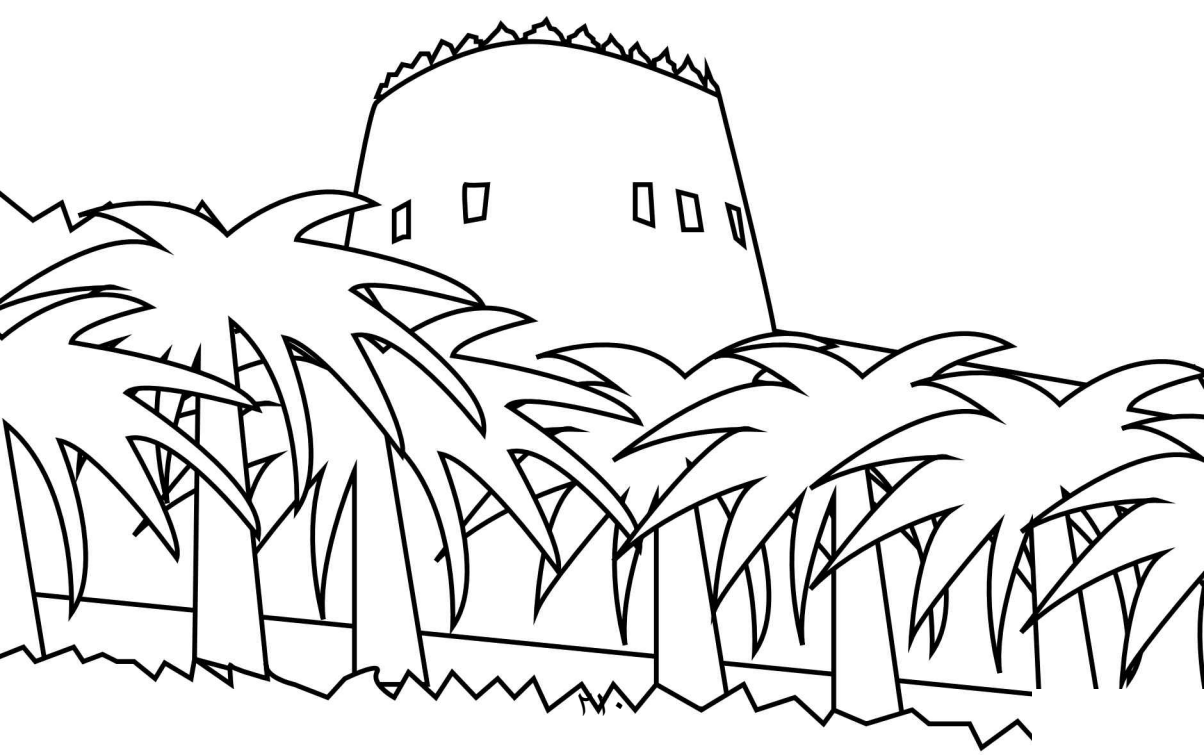

١- استعادته الحكم:

حينما تَمكَّن فيصل بن تركي من مغادرة مصر اتَّجه إلى جبل شَمَّر. وكان ذلك الاتِّجاه أمرًا متوقعًا. ذلك أن الجبل أقرب المناطق النجدية إلى شمالي الحجاز الذي توغَّل فيصل في جزيرة العرب عن طريقه. ثم إن ذلك الجبل أيضًا، كان حينذاك تحت إمرة صديقه عبدالله بن رشيد، الذي كان قد ثبت حكمه هناك، وازداد رسوخًا إثر معركة بقعاء المشار إليه سابقًا. ولقد وجد فيصل من ذلك الأمير ما كان متوقعًا ومؤملًا أن يجده من ترحيب واستعداد للوقوف معه لاستعادة حكم البلاد[١].

وما إن استقر فيصل بن تركي في حائل حتى كتب إلى أمراء نجد وزعمائها يخبرهم بوصوله إليها، ويطلب منهم أن يَنضمُّوا إليه[٢]. وكانت القصيم أَوَّل مرحلة من مراحل خطته في الاستيلاء على نجد، وذلك لقربها من جبل شَمَّر، ولأَهمِّيتها من حيث الموقع والثروة.

أما عبدالله بن ثُنيَّان فإنه حين علم بأخبار فيصل بن تركي جمع ما أمكنه جمعه من قوات، واتَّجه إلى القصيم ليحول دون وقوعها في يد خصمه الجديد[٣]. فماذا كان موقف زعماء القصيم ذاتها؟

لقد اختلف موقفا زعماء البلدتين الكبيرتين هناك. فَفضَّل أمير بُرَيدة، عبدالعزيز بن محمد آل أبي عليَّان، أن ينضم إلى عبدالله بن ثُنيَّان. ولَعلَّ من أسباب ذلك ما كان يوجد من عداوة بينه وبين عبدالله بن رشيد عماد قوة فيصل بن تركي حينذاك. فدفعته تلك العداوة إلى أن يقف ضد من يعتمد على

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص١٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٠ - ١٣١.

عَدوِّه. أما أمير عُنَيزة، عبدالله بن سُلَيم، فقد ناقش القضية مع كبار أهل بلدته، والقاضي عبدالله أبي بطين، ورأى الجميع الوقوف مع فيصل بن تركي. فبعثوا إليه وفدًا يخبره باستعدادهم لاستقباله والترحيب به، واستطاع فيصل أن يصل إلى عُنَيزة قبل أن يدركه عبدالله بن ثُنيَّان بما أَعدَّه من قوات. وعندئذ أدرك هذا الأخير ضعف موقفه؛ وبخاصة بعد أن انضم بعض أتباعه إلى صفوفه خصمه. ولم يجد بُدًّا من العودة إلى الرياض[1].

وما إن انسحب عبدالله بن ثُنيَّان من القصيم حتى أصبحت جميع بلدانها تحت نفوذ فيصل ابن تركي، الذي واصل زحفه صوب الرياض والنصر يواكبه مرحلةً مرحلةً حتى وصل إلى هذه المدينة. وعند وصوله إليها تعاون معه بعض سكانها، فدخلها وحاصر عبدالله بن ثُنيَّان في قصر الحكم. وبعد حوالي ثلاثة أسابيع من بدء الحصار دارت مفاوضات بين الزعيمين السعوديين عن طريق عُبَيْد بن رشيد، لكنها لم تسفر عن نتيجة إيجابية، فَتسلَّل عبدالله من القصر محاولًا الهروب من الرياض. لكن أتباع فيصل قبضوا عليه وسَلَّموه إلى قائدهم، الذي أودعه في السجن[2]. وبذلك انتهت فترة حكم ابن ثُنيَّان التي دامت عامين شهدت البلاد خلالها انسحاب بقية حاميات حاكم مصر منها. لكنها شهدت أيضًا شيئًا من القسوة والإجراءات الصارمة. وقد توفي عبدالله داخل السجن بعد شهر تقريبًا من سجنه. وكانت وفاته في منتصف جمادى الآخرة عام ١٢٥٩هـ[3].

وهكذا عاد فيصل بن تركي إلى الحكم، وبدأت فترة حكمه الثانية التي استمرت ثلاثة وعشرين عامًا.

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٠ - ١٣١.

(٢) الفاخري، ص١٧٧؛ ابن بشر، ج١، ص١٣١ - ١٣٤.

(٣) المصدر الأخير نفسه، ص١٣٤. ويذكر ضاري الرشيد (ص٩٧) أن حراسه هم الذين قتلوه، لأنه قتل آباءهم. وادَّعوا أنه مات موتًا طبيعيًّا.

٢- توحيد نجد والأحساء وبداية المشاكل:

كان فيصل بن تركي قد استولى على كثير من بلدان نجد قبل أن يستولي على الرياض. وبعد استيلائه على العاصمة قدمت إليه وفود من بقية البلدان النجدية، معلنة ولاءها له دون قتال[١]. وهذا يوحي بِتطلُّع كثير من سكان المنطقة إلى حكمه، ونظرتهم المعجبة بزعامته. وكان مما قام به في مستهل فترة حكمه الثانية أن وَجَّه إلى أتباعه نصيحة مشابهة لتلك التي وَجَّهها إلى من انضمَّ إليه بعد استيلائه على العاصمة ذاتها عند بداية فترة حكمه الأولى، وتَتَضمَّن حَثَّهم على الوحدة وتطبيق أوامر الشرع؛ وبخاصة ما يَتعلَّق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأداء الزكاة[٢].

وكما كان متوقعًا اتَّجه نظر الإمام فيصل بن تركي بعد دخول نجد تحت طاعته إلى المنطقة الشرقية من البلاد. فبعث عبدالله بن بتَّال المطيري إلى الأحساء ليتَولَّى مقاليد الأمور فيها[٣]. ومن الواضح أن السكان هناك كانوا مستعدين للانضمام إلى الإمام الجديد؛ إذ لم يجد ابن بتَّال أَيَّ معارضة منهم.

وإذا كان سكان نجد والأحساء قد رَحَّبوا، بصفة عامة، بالإمام فيصل وحكمه، فإن بعض القبائل لم تُحبِّذ الخضوع لسلطة تَحدُّ من نشاطها غير المبرَّر أحيانًا. ولذلك بدأت المشكلات في فترة مبكرة من عهد ذلك الإمام. فبعد وصول ابن بَتَّال إلى المنطقة الشرقية بأشهر قليلة هاجمت قبيلة المناصير قافلة للحجاج ونهبتها. وعمل كهذا العمل المُخلِّ بالأمن والمُوجَّه ضد أرواح الأبرياء وأموالهم لا بد أن يجلب غضب الإمام على مرتكبيه. ولهذا قاد فيصل بنفسه قوات كبيرة من

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص١٣٤.

(٢) انظر نصها في المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٤ - ١٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٤.

الحاضرة والبادية، وتَوجَّه إلى ناحية القطيف حيث أغار على القبيلة المعتدية ونَكَّل بها[١]. ويبدو أن قبيلة المناصير لم تكن وحدها القبيلة التي لم تتجاوب التجاوب المأمول في تلك الناحية. ذلك أن الإمام قام أيضًا بمهاجمة قبيلة بني هاجر، وأنزل بها بعض الخسائر[٢]. وكان وجود الإمام فيصل بقواته الكبيرة في شرقي البلاد فرصة لانتزاع الدمام من آل خليفة. ولهذا اتجَّه إلى قصرها حتى اضطر من كانوا فيه إلى الاستسلام له. وهكذا أصبحت المنطقة الشرقية كلها جزءًا من دولته. وقبل أن يعود منها إلى الرياض عَيَّن أحمد بن محمد السديري أميرًا للإحساء، وعبدالله بن سعد المداوي أميرًا للقطيف[٣].

ومن الواضح أن الإمام فيصل بن تركي لم يَتعرَّض لغزوات خارجية مُهمَّة خلال فترة حكمه الثانية. لكنه واجه مشاكل داخلية متعددة. وإذا كانت حادثة المناصير المشار إليها سابقًا يمكن أن تفسَّر بأن تلك القبيلة لم تكن بَعدُ قد خضعت لحكمه، فإن مشاكل بعض القبائل التي كانت منضمة إليه رسميًّا لم تلبث أن قامت بما يُخلُّ بالأمن. وقد حدثت أولى تلك المشكلات وهو لا يزال في المنطقة الشرقية عام ١٢٦٠هـ. ذلك أن قسمًا من قبيلة العُجْمان، مع فئات من قبائل أخرى، أغار على زعيم قبيلة مطير محمد الدويش، ونهب كثيرًا مما كان معه. وكان الدويش قد اشترك مع الإمام فيصل في حربه ضد ابن ثُنيَّان. فما كان من الإمام إلا أن ساعده ماليًّا ليَتغلَّب على ما حَلَّ به[٤]. ويبدو أنه رأى ذلك الحَلَّ كافيًا في الظروف التي حدث فيها الحادث، ولم يقم بعمل عسكري ضد العُجْمان ومن معهم.

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٤٠.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ آل عبدالقادر، ج١، ص١٥٧.

(٣) ابن بشر، ج٢، ص١٤٢.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

وكان عام ١٢٦١هـ أسوأ من العام الذي قبله من حيث المشاكل وخطورتها المستقبلية. فقد شهد ذلك العمل خلافًا بين أهالي الأفلاج اضطر الإمام إلى القيام بغزو تلك الجهة لِحَلِّه. وشهد اختلافًا من بعض أهل وادي الدواسر اضطره إلى إرسال جيش بقيادة أخيه جلوي للقضاء عليه. وشهد اعتداء فلاح بن حِثْلين، زعيم قبيلة العُجْمان على قافلة للحجاج، وقتل كثير من رجالها ونهب أموالهم. وشهد أيضًا أخذ أمير عُنَيزة، عبدالله بن سُلَيم، إبلًا لأمير جبل شَمَّر، وإغارة عُبَيِّد ابن رشيد على تلك البلدة، وقتله لأميرها عبدالله[١]. وظَلَّت المشكلات تقوم بين فترة وأخرى بدرجات متفاوتة من حيث الخطورة والتعقيد. على أن أَهمَّ مشكلة واجهها الإمام مع القبائل كانت مع العُجْمان. أما أَهَمُّ مشكلة واجهها مع الحاضرة فكانت مع زعماء القصيم.

٣- مشكلة العُجْمان:

كانت قبيلة العُجْمان رغم قِلَّتها العددية نسبيًّا من القبائل المشهورة بعنفوانها وقوة شكيمتها. وكان لزعمائها مكانة لدى الإمام تركي بن عبدالله، الذي أنزلهم في بعض ديار بني خالد في المنطقة الشرقية من دولته[٢]. وكان من أشهر زعمائها فلاح بن حثلين، الذي ظَلَّ زعيمًا لها من عهد ذلك الإمام حتى عام ١٢٦٢هـ. ومع أن الهجوم العجمي الذي حدث على الدويش قبل ذلك بعامين لم يكن بزعامة فلاح إلا أن هذا الأخير ارتكب، سنة ١٢٦١هـ، ما كان أسوأ من ذلك الهجوم[٣]. فقد اعتدى على قافلة من الحجاج، وقتل كثيرًا من رجالها، ونهب أموالهم ركابهم، مما أَدَّى إلى أن يموت ظمأ بعض من سلم من قتله. وكما

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٤٣ - ١٤٦.

(٢) ابن عيسى، عقد الدرر، ص٢٦.

(٣) كان ذلك الهجوم بقيادة محمد بن جابر الطويل.

كان متوقعًا لم يقف الإمام فيصل تجاه ذلك الاعتداء موقف المتساهل. ذلك أنه تهديد واضح للأمن، واعتداء على أبرياء قصدوا تأدية ركن من أركان الإسلام. ثم إن عددًا من هؤلاء الحجاج كانوا من رعايا دول أخرى. وفي ذلك ما فيه من تعقيدات سياسية. ولذلك فإن الأخبار ما إن وصلت إلى الإمام حتى جَهَّز جيشًا كبيرًا من الحاضرة والبادية، وتَوجَّه إلى المنطقة الشرقية. وحينما اقترب من فلاح وقومه أدرك العُجْمان الخطر المحدق بهم، وأتى كبارهم إليه معتذرين عما بدر من قبيلتهم، فأخذ منهم نَكَّالًا، وأخرجهم عن ديرتهم، وأَحلَّ بها الدويش وأتباعه. أما فلاح بن حِثْلين فقد هرب، وظَلَّ ينتقل من مكان إلى آخر حتى قُبِض عليه وقُتِل في الأحساء سنة ١٢٦٢هـ[١].

وبعد مقتل فلاح بن حِثْلين أصبح ابنه راكان، الشاعر والفارس المشهور، رئيسًا لقبيلة العُجْمان. وقد أمضى راكان سنوات من رئاسته دون أن يحدث مشكلات لحكومة الإمام فيصل. لكنه بدا، سنة ١٢٧٦هـ، وكأنه قد وثق بقوة قبيلته بدرجة كبيرة، فأغار على إبل للإمام فيصل نفسه، وأخذها، ثم ارتحل إلى الصُبَيحية القريبة من الكويت، وقام بغارات على أطراف العراق. فجَهَّز الإمام جيشًا بقيادة ابنه عبدالله لمعاقبته هو من ومعه. وقبل أن يصل عبدالله إلى الصُّبَيحية هاجم فريقًا من العُجْمان فهزمهم. ثم اتَّجه إلى ذلك المكان، فوجد فيه فريقًا آخر من تلك القبيلة، فانتصر عليهم. وكان راكان قد تَحرَّك من هناك، ونزل الجَهْراء. فَتوجَّه عبدالله بمن معه إلى المكان المذكور، ودارت بينه وبين راكان معركة انتهت بهزيمة العُجْمان، وقتل حوالي سبع مئة رجل منهم. وفَرَّت فلولهم إلى داخل بلدة الكويت، واحتمت بها. وكان ممن سُرَّ بنتيجة المعركة زعماء البصرة والزبير، الذين تَعرَّضت أطراف بلديهما لغارات راكان وأتباعه[٢].

(١) الفاخري، ص١٧٩؛ ابن بشر، ج٢، ص١٤٥ - ١٤٦ و١٤٨.
(٢) إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر، ص٢٧ - ٢٨.

على أن قبيلة العُجْمان، رغم ما حَلَّ بها من خسارة في معركة الجَهْراء، لم تيأس من القدرة على النهوض. لكنها أدركت أنها غير قادرة على الانتقام إلا بانضمام حليف قوي إليها. وقد وجدت ذلك الحليف في فئات من قبيلة المنتفق. وبدأ المتحالفون من القبيلتين يغيرون على كثير من القوافل في شمالي شرق الجزيرة العربية وأطراف البصرة والزبير. واتَّخذوا من الجَهْراء مركزًا لنشاطهم. وحين علم الإمام فيصل بأعمالهم وخططهم التي كانوا يعدونها ضده، جهز جيشًا بقيادة ابنه عبدالله لمحاربتهم. وسار عبدالله بقواته من الحاضرة والبادية حتى هاجمهم في الجهْراء بعد سنة من محاربته للعُجْمان في ذلك الموضع. وكان النصر حليفه حيث أصبح المتحالفون بين قواته والبحر. وكان أولئك المتحالفون حوالي ألف وخمس مئة رجل، فمات كثير منهم قتلًا أو غرقًا. ولذلك عُرِفت تلك السنة لدى بعض سكان المنطقة بسنة الطبعة؛ أي الغَرَق[1].

على أن راكان بن حِثْلين استطاع أن يخترق صفوف المهاجمين ويهرب مع من سلم من قومه[2]. وبذلك النجاح الذي حَقَّقه عبدالله بن فيصل على المتحالفين خضدت شوكة قبيلة العُجْمان بقية فترة حكم الإمام فيصل.

٤- مشكلة القصيم:

ترجع أسباب مشكلة القصيم في فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الثانية إلى جذور تاريخية، من أَهمِّها الخلاف الذي كان موجودًا بين زعماء تلك المنطقة وزعماء جبل شَمَّر. ولَعلَّ بداية ذلك الخلاف لجوء بعض أنصار آل

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٠ - ٣٥.

(٢) وقد قال راكان وهو يخترق الصفوف على ظهر جواده:

يا قومنا ما من صديق جمعين والثالث بحر

والله لا بوج لها الطريق لعيون برَّاق النحر

انظر آل عبدالقادر، ج١، ١٦٠.

علي، أمراء الجبل سابقًا وخصوم عبدالله بن رشيد، إلى بُرَيدة. وقد حاول ابن رشيد، سنة ١٢٥٤هـ، أن يعتدي على أحد أولئك الأنصار في هذه البلدة، ففشل في مسعاه. وخرج إليه أميرها، عبدالعزيز بن محمد آل أبي عليَّان، فقتل ستة من رجاله، وأخذ كثيرًا مما كان معه من لباس وسلاح وركائب. ثم أخذ ابن رشيد إبلًا تابعة لأهل بُرَيدة[١]. وهكذا بدأ الاحتكاك غير الوُدِّي بين الطرفين. وتَطوَّر ذلك الاحتكاك إلى تَوتُّر في العلاقات أَدَّى إلى معركة بَقْعاء المشهورة سنة ١٢٥٧هـ. وكان من نتائج تلك المعركة، التي هُزِم فيها أهل القصيم وحلفاؤهم من عنزة، أن قُتِل أحد أبناء بُرَيدة، كما قُتِل صبرًا بعد انتهائها أمير عُنَيزة يحيى بن سُلَيم[٢].

وفي عام ١٢٦١هـ أخذ أمير عُنَيزة، عبدالله بن سُلَيم، إبلًا لعبدالله بن رشيد. وفشلت المفاوضات لردِّها إليه، فأغار أخوه عُبَيد على غنم عُنَيزة. وخرج من خَفَّ من أهل هذه البلدة مع أميرها لاسترجاع الغنم. لكن عُبَيدًا انتصر عليهم، وأسر الأمير عبدالله، ثم قتله صبرًا. ويبدو أن أهل البلدة المذكورة كانوا يعتقدون أن الإمام فيصلًا سيقوم بمعاقبة عبدالله بن رشيد على ما فعله أخوه عُبَيد. لكن ذلك الإمام اقتنع بما ذكره أمير الجبل من أسباب لما حدث[٣].

وفي سنة ١٢٦٣هـ جَهَّز شريف مكة، محمد بن عون، حملة عسكرية، وتَوغَّل بها في نجد حتى وصل إلى القصيم. وقد أشار ابن بشر إلى أن أناسًا من رؤساء أهل تلك المنطقة الموجودين في الحجاز قد زَيَّنوا للشريف غزو البلاد النجدية[٤]. وربما كان ذلك صحيحًا، وسواء كان ذلك هو السبب الوحيد للغزو أو

(١) ابن بشر، ج٢، ص١٠٢ - ١٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١١٧ - ١١٨؛ العثيمين، **نشأة إمارة آل رشيد**، ص٢٣١ - ٢٤٠.

(٣) ابن بشر، ج٢، ص١٤٦؛ ضاري الرشيد، ص١٦٧ - ١٧٩.

(٤) ابن بشر، ج٢، ص١٥٠.

لم يكن فإن الشريف، على أَيِّ حال، وجد تعاونًا من بعض زعماء القصيم حينما وصل إليها[1]. لكنه أدرك أن قوة الإمام فيصل كانت أعظم مما اعتقده. فمال إلى الصلح، وأهدى إليه الإمام هدية جليلة، فعاد إلى مكة المكرمة[2].

ومن الواضح أن الإمام فيصل بن تركي قد اعتقد أن لأمير عُنَيزة، إبراهيم بن سُلَيم، يدًا في إغراء الشريف بغزو نجد، وأنه فتح أبواب بلدته أمامه. ولذلك عزله عن إمارة تلك البلدة سنة ١٢٦٤هـ، وعَيَّن مَحلَّه ناصر بن عبدالرحمن السُّحَيمي. لكن هذا الإجراء أصبح مصدر فتنة بين أسرة الأمير المعزول وأسرة الأمير الجديد. فقد حاول عدد من آل سُلَيم، بزعامة عبدالله بن يحيى، اغتيال السحيمي. لكنهم لم ينجحوا في ذلك، وإنما نجحوا في إصابته بجروح. وحاولوا الاستيلاء على قصر الإمارة، الذي كان فيه أخوه مطلق، ففشلوا. ولم يبق أمامهم إلا الهروب من عُنَيزة. فهربوا منها إلى بُرَيدة، واحتموا بأميرها عبدالعزيز آل أبي عليَّان. وقد ألزمهم الإمام فيصل أن يفدوا إليه في الرياض لينظر في أمرهم.

أما السحيمي فقد قام بقتل الأمير السابق، إبراهيم بن سُلَيم، وجرح أخيه علي، كما قام أخوه مطلق بقتل أحد أعوان آل سُلَيم. فأمر الإمام السحيمي بالحضور إليه ليتحاكم مع عبدالله ابن يحيى ومن معه عند قاضي الرياض[3].

ويبدو أن الإمام فيصلًا رأى من المصلحة إبعاد الأسرتين المشار إليهما عن إمارة عُنَيزة، وتعيين أحد رجاله فيها. فبعث عبدالله المداوي إلى تلك البلدة. لكن أخا السُّحيمي رفض أن يُسلِّمه قصر الإمارة. ولَعلَّ المداوي شعر بأن السكان

---

(١) هناك من المصادر ما يشير إلى أن سبب الغزو عدم دفع الإمام فيصل إلى الدولة العثمانية- عن طريق الشريف- ما كان عليه أن يدفعه. انظر: وايندر، ص١٧٩ - ١٨٠.

(٢) ابن بشر، ج٢، ص١٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٥٧ - ١٥٨؛ الذكير، ص٧٤.

هناك لن يتعاونوا معه، فذهب إلى بُرَيدة ليدرس الوضع بتؤدة ورَوِيَّة. ثم استدعاه أهل عُنَيزة، فعاد إليها لكنهم ما لبثوا أن أظهروا بوادر الثورة. وحينما علم الإمام بذلك سأله السُّحيمي أن يعيده إلى إمارة البلدة لكي يقضي على ثورتها. فسمح له الإمام بالعودة إلى عُنَيزة. لكنه ما إن وصل إليها حتى انضم إلى الثائرين فيها. وقد نجح أولئك الثائرون في كسب أمير بريدة، ليصبح رئيسًا لثورة عامة في القصيم[1].

وبعد أن أصبحت ثورة القصيم عامة برئاسة عبدالعزيز آل أبي عُليَّان قاد الإمام فيصل بنفسه قوات كبيرة، وتَوجَّه إلى تلك المنطقة للقضاء على ثورتها سلميًّا أو عسكريًّا. وحينما وصل إلى بلدة المِذنَب بعث إلى زعماء القصيم يدعوهم إلى حَلِّ الأمر بطريقة سلمية، فاستجابوا لدعوته واتَّفقوا معه على أن يعودوا إلى طاعته ويلتزموا بما التزم به بقية سكان دولته. وبدا وكأن الأمور في تلك المنطقة قد عادت إلى مجاريها. لكن حادثة وقعت فبَدَّدت ما كان مؤملًا.

قبل أن يعود الإمام فيصل إلى الرياض علم أن فئات من قبيلة عنزة قد اجتمعت في القصيم. وكانت هذه القبيلة حينذاك حليفة لأهل تلك المنطقة. ويبدو أن الإمام قد رأى أن اتِّفاقه مع زعماء القصيم لا يشمل القبيلة المذكورة. فأمر ابنه عبدالله أن يهاجمها. ونَفَّذ الابن ما أمره به والده، وغنم بعض ما كان معها من الإبل والغنم. فقدم زعيمها إلى عُنَيزة، التي كان عبدالعزيز آل أبي عُليَّان لا يزال فيها. وهَبَّ عبدالعزيز وبعض أتباعه لينتقموا من عبدالله بن فيصل. وحينما تجاوزوا بُرَيدة قابلهم بدو من قومه معهم أغنام أرسلها إلى أبيه. فأخذوا الأغنام، وأمسكوا الرجال. وفَضَّل بعضهم الاكتفاء بذلك. لكن بعضهم الآخر

(١) ابن بشر، ج٢، ص١٥٨ - ١٥٩.

أَصرَّ على مهاجمة عبدالله بن فيصل ومن معه. وتقابل الطرفان في اليُتيِّمة، فانتصر عبدالله على أهل القصيم انتصارًا عظيمًا. وكان ذلك عام ١٢٦٥هـ[١].

وبعد معركة اليُتَيِّمة عاد عبدالعزيز آل أبي عُليَّان إلى عُنَيزة. وقد رأى سكانها غير مُتحمِّسين لدعوته لقتال الإمام، فهرب منها عائدًا إلى بُرَيدة. وهرب من عُنَيزة، أيضًا، ناصر السُّحيمي، واتَّجه إلى طلال بن رشيد[٢] الذي كان مع أتباعه في القوارة حينذاك بناء على توجيه من الإمام فيصل. واجتمع رؤساء هذه البلدة بعد هروب عبدالعزيز وناصر منها، وسألوا قاضيهم عبدالله أبا بطين أن يركب إلى الإمام فيصل، ويطلب منه العفو عنهم. وقد استجاب الشيخ عبدالله لسؤالهم بشرط أن يكفلهم محمد البسام، الذي كان مسموع الكلمة فيهم. وحين تَمَّ ذلك ذهب إلى الإمام وحصل منه على عفو لهم. وتَقدَّم ذلك الإمام بمن معه إلى تلك البلدة فدخلها، وجَدَّد أهلها البيعة له[٣].

ثم بعث الإمام فيصل إلى عبدالعزيز آل أبي عُليَّان في بُرَيدة، وطلب منه أن يستسلم له وإلا فإنه سيحاربه. لكن بعض أقارب عبدالعزيز وفدوا إلى الإمام، وتفاوضوا معه بشأنه، وبذلوا أموالاً وسلاحًا وخيلًا إليه، كما تَعهَّدوا بعدم حدوث أَيِّ مشكلة منه مستقبلًا. فعفا عنه الإمام، وأبقاه أميرًا في بلده، على أن ذلك الإمام اتَّخذ خطوة إدارية اعتقد أنها ستسهم في إقرار الأمن في القصيم، وتُقلِّل من نفوذ عبدالعزيز ومكانته فيها؛ إذ عَيَّن أخاه جلوي بن تركي أميرًا عامًّا لتلك المنطقة، ومَقرُّه في عُنَيزة[٤].

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٦٢ - ١٦٤.

(٢) في عام ١٢٧٥هـ ذهب ناصر السحيمي إلى الهلالية لينظر خيله الموجودة هناك، فسطا عليه عبدالله بن يحيى، وزامل بن عبدالله، وحمد بن إبراهيم آل سليم، وقتلوه. وهرب أخوه من عنيزة إلى أشيقر حيث توفي سنة ١٢٨٢هـ ابن عيسى، عقد الدرر، ص٢٤.

(٣) ابن بشر، ج٢، ص١٦٦ - ١٧٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٧٠ - ١٧١.

وفي عام ١٢٦٦هـ خرج الإمام فيصل من الرياض غازيًا بعض القبائل في أمكنة على حدود القصيم. ويبدو أن عبدالعزيز آل أبي عُليَّان لم يعد واثقًا كل الثقة من وضعه الجديد. فما إن اقترب الإمام وأتباعه من المنطقة حتى هرب من بلدته مُتَّجهًا إلى الشريف محمد بن عون في الحجاز. وحينما علم الإمام بهروبه ذهب إلى بُرَيدة، وعيَّن عبدالمحسن بن محمد -أخا الأمير الهارب- أميرًا عليها. وحاول عبدالعزيز أن يغري الشريف بغزو نجد، لكن تجربة الشريف السابقة، وما قام به عبدالله بن فيصل من غزوات على القبائل المتاخمة للأراضي الحجازية، أقنعا ذلك الشريف بعدم الإقدام على أَيِّ خطوة عسكرية ضد الإمام فيصل. غير أنه شفع لعبدالعزيز لدى الإمام حتى أعاده إلى إمارة بُرَيدة[١].

ولم تستمر الأمور في القصيم على ما كان يؤمل دعاة الاستقرار. ذلك أن آل سُلَيم وأنصارهم في عُنَيزة ثاروا على جلوي بن تركي، وأجبروه على مغادرة بلدتهم سنة ١٢٧٠هـ. وتَولَّى الإمارة بعد مغادرة جلوي عبدالله بن يحيى بن سُلَيم. فَجهَّز الإمام فيصل جيشًا بقيادة ابنه عبدالله لمحاربة تلك البلدة الثائرة. وحدثت بين عبدالله وأهلها عدة اشتباكات توصل الطرفان بعدها إلى صلح تَمَّ إبرامه في الرياض بين الإمام فيصل وعبدالله بن يحيى. وبموجب هذا الصلح تبقى البلدة تابعة للإمام، ويكون عبدالله بن يحيى أميرًا لها[٢].

على أن مشكلة القصيم لم تنته عند الصلح بين الإمام فيصل وأمير عُنَيزة. ففي عام ١٢٧٥هـ طلب ذلك الإمام من عبدالعزيز آل أبي عُليَّان أن يحضر إليه في الرياض. وحينما مثل بين يديه أوضح له ما كان قد أخذه

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٧٢ - ١٧٨.

(٢) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص١٦ - ١٧؛ دوتي، وترجمة عنوان كتابه: **رحلات في جزيرة العرب**، نيويورك، ١٩٢١م، ج٢، ص٤٥٩.

عليه من مآخذ، وعزله عن إمارة بُرَيدة، وعَيَّن بدلًا منه عبدالله بن عدوان آل أبي عُليَّان. لكن أقارب الأمير المعزول قتلوا الأمير الجديد بعد عام من تَولِّيه الإمارة. ومن الغريب أن الإمام فيصلًا عَيَّن أحد المشتركين في قتل ابن عدوان، وهو محمد الغانم، أميرًا للبلدة. على أن إمارة محمد لم تطل؛ إذ عزله الإمام عن الإمارة، وأعاد إليها عبدالعزيز آل أبي عُليَّان بعد أن تَعهَّد له بإصلاح الأمور في بُرَيدة، وإرسال من قتلوا ابن عدوان إلى الرياض أو نفيهم عن البلاد. لكن عبدالعزيز لم يَفِ بما تَعهَّد به للإمام فيصل؛ إذ قَرَّب المقاتلين إليه. وبعد أن انتهت معركة عبدالله بن فيصل مع العُجْمان وحلفائهم، سنة ١٢٧٧هـ، اتَّجه بقواته إلى القصيم. فخاف عبدالعزيز على نفسه، وغادر بُرَيدة إلى عُنَيزة. ثم خرج من هذه البلدة مُتَّجهًا مرة أخرى إلى الحجاز. لكن فرقة من جيش عبدالله بن فيصل، بقيادة أخيه محمد، لحقت به في مكان غير بعيد من عُنَيزة، فقتلته. وعَيَّن الإمام عبدالرحمن بن إبراهيم أميرًا في بُرَيدة[١].

ويبدو أن مقتل عبدالعزيز آل أبي عُليَّان في مكان يَعُدُّه أهل عنيزة حمى لهم كان سببًا من أسباب تَجدُّد الخلاف بين زعماء هذه البلدة والإمام فيصل[٢]. وقد تَوتَّرت العلاقات بينهما حتى تَحوَّلت إلى حرب بدأت في شوال سنة ١٢٧٨هـ. وكان قائد القوات التابعة للإمام في بداية الأمر عبدالرحمن بن إبراهيم، أمير بُرَيدة. ثم تَولَّى القيادة محمد بن فيصل، فأخوه عبدالله في السنة التي تلتها. وقد استمرت الاشتباكات بين الطرفين حوالي سنة كاملة. لكن المعركتين الكبيرتين في تلك الاشتباكات كانتا معركة رُوَاق، والمعركة المسمَّاة كون المطر[٣].

---

(١) ابن عيسى، عقد الدرر، ص٢٤ - ٢٥ و٣٥ - ٣٦. وابن إبراهيم من الفضول. وكانت أسرته مستقرة في بلد أبا الكباش قرب الدرعية. ثم استقرت في الرياض وحائل. وقد تولَّى أفراد من أسرته مناصب الإمارة في بلدان مختلفة من المملكة.

(٢) دوتي، ج٢، ص٤٥٩.

(٣) الكون: المعركة.

وقد انتصر أهل عُنَيزة في الأولى، وكادوا ينتصرون في الثانية لولا أن الله أنزل المطر، فأبطل أسلحتهم من البنادق التي تثور بالفتيل. وطالت محاصرة عبدالله بن فيصل لعُنَيزة إلا أنه توصل في نهاية الأمر إلى صلح مع زعمائها بذل في عقده طلال بن رشيد جهدًا بارزًا. وقد صحب عبدالله بن يحيى بن سُلَيم، أمير البلدة، عبدالله بن فيصل إلى الرياض حيث قابل الإمام فيصلًا، وجَدَّد له البيعة[1]. وعادت العلاقة بين زعماء بلدة عُنَيزة والإمام فيصل إلى مجراها الطبيعي. وبذلك انتهت مشكلة القصيم التي أخذت من وقت الإمام فيصل وطاقاته المادية الشيء الكثير.

٥- علاقته بإمارات الخليج وعمان:

لم تكن العلاقة بين دولة الإمام فيصل بن تركي والكويت في تلك الفترة مما يجعل المصادر التاريخية تهتم بها وتُعلِّق عليها. ومع أن المنهزمين من قبيلة العُجْمان أمام عبدالله بن فيصل، سنة ١٢٧٦هـ، هربوا إلى داخل الكويت، وأن عبدالله حاول أن يخرجهم حاكمها منها، فإن الأمر لم تحدث له مضاعفات سلبية. بل إن عبدالله لم يعد من هناك إلا وقد تبادل مع ذلك الحاكم رسائل الصداقة والمودة[2].

أما علاقة الإمام فيصل بحكام البحرين فكانت مختلفة تمام الاختلاف عن علاقته بحكام الكويت. فقد تَمكَّن في بداية فترة حكمه الثانية من استعادة قصر الدمام، الذي كان آل خليفة قد استولوا عليه منذ فترة. وتوصل مع حاكم

---

(١) انظر تفصيل تلك الحرب في ابن عيسى، عقد الدرر، ص٣٩-٤٢. دوتي، ج٢، ص٢٦٠ - ٢٦٣، الذكير، ص٨١ - ٨٤. ولمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى السلمان، ص١٨٠ - ٢١٢.

(٢) ابن بشر، ج٢، ص١٤٠.

البحرين حينذاك إلى اتفاق مشابه للاتِّفاق الذي كان موجودًا بين سلفيهما. وأَهمُّ ما فيه دفع ذلك الحاكم الزكاة إلى الإمام فيصل، ومساعدة الإمام له ضد أَيِّ عدوان خارجي. لكن العلاقة بين الطرفين لم تستمر وفق ما كان مؤملًا. بل خضعت لتَقلُّبات مختلفة نتيجة لظروف كُلٍّ منهما. فقد كان الوفاق يسود، أحيانًا، فيعملان بما سبق أن اتَّفقا عليه، ويدفع حاكم البحرين الزكاة إلى الإمام. وأحيانًا أخرى كانت العلاقات تَتوتَّر فيرفض ذلك الحاكم ما كان يدفعه إلى الإمام. وربما تَطوَّر الأمر إلى المناوشات العسكرية أو التهديد بالغزو. وكان الخلاف الموجود حينذاك بين آل خليفة أنفسهم، والتدخُّل البريطاني، من الأمور التي زادت المشكلة تعقيدًا. ولقد وقفت بريطانيا - كما كان متوقعًا - بجانب حاكم البحرين لما كان لها من نفوذ ومصالح خاصة في بلاده. ولم يكن وقوفها معه محصورًا في تهديدها للإمام فيصل بأن يَتجنَّب غزو البحرين، وإنما تجاوز ذلك إلى ضرب موانئه لعدم إبعاده لمعارضي ذلك الحاكم من آل خليفة عنها بحجة عدم ضمان أمنه ما داموا فيها. على أنه في أواخر عهد الإمام فيصل نجح في وساطته لِحَلِّ الخلاف الأُسَري بين آل خليفة. وعاد المعارضون لحاكم البحرين إلى بلادهم[1].

وأما بالنسبة لجهات عمان فقد أرسل الإمام فيصل إليها قوات بقيادة سعد بن مطلق المطيري سنة ١٢٦١هـ[2]، واستطاعت أن تَتوغَّل في الأراضي العمانية، واضطر حاكمها إلى دفع الزكاة إليه[3]. ومع أن نفوذ السعوديين في

(١) انظر تفصيل ذلك في المصدر نفسه، ج٢، ص١٧٧، ١٧٩ - ١٨٠؛ وايندر، ص١٨٥ - ١٨٦، ١٨٨ - ١٩١؛ نخلة، ص١٢٥ - ١٣٤.

(٢) وسعد بن مطلق هو ابن القائد مطلق، الذي كانت له جهود في بسط النفوذ السعودي في جهات عمان زمن الدولة السعودية الأولى.

(٣) وايندر، ص١٩٤؛ اعتمادًا على سالدانا حول نجد، ص١٤؛ كيلي، ج١، ص٦٧٦ - ٦٧٧.

تلك الجهات- بل وفي البُرَيمي ذاتها- تَعرَّض بعد ذلك لنكسات شديدة، إلا أنهم تَغلَّبوا في نهاية الأمر، بقيادة عبدالله بن فيصل، على الصعوبات التي واجهتهم، واستعادوا بعض ما فقدوه من نفوذ[1].

٦- علاقته بالدولة العثمانية:

من الواضح أن الإمام فيصل بن تركي كان على استعداد للتفاهم مع الدولة العثمانية. ربما كان سبب ذلك إدراكه لقوتها، وما قد تُؤدِّي إليه معاداتها من مشكلات. ومن المرجح أنه وافق على التبعية الاسمية لها، وعلى دفع مبلغ من المال كل سنة إليها رمزًا لتلك التبعية[2]. ولَعلَّ مما يُؤيِّد ذلك أن الإمام ذكر في إحدى رسائله إلى المقيم البريطاني في الخليج أنه تابع للسلطان العثماني[3]، وأن والي بغداد؛ مُمثِّلًا للدولة العثمانية، قد احتج على بريطانيا لاعتدائها على أراضي الإمام فيصل مُبرِّرًا احتجاجه بتبعية الإمام لذلك السلطان[4]. على أنه من الواضح أن هذه التبعية؛ سواء صَرَّح بها الإمام أو صَرَّح بها الوالي العثماني على العراق، إنما قُصِد بها، أساسًا، تقوية موقف من أشار إليها ضد ذلك العدو المشترك؛ وهو بريطانيا.

وكان دفع الإمام فيصل بن تركي المال إلى العثمانيين خاضعًا للظروف المحيطة بكلا الطرفين. فمن المرجح أن الإمام لم يدفع ما كان عليه أن يدفعه خلال العقد الثامن من القرن الثالث عشر الهجري، لأن سلطة الدولة العثمانية في غربي الجزيرة العربية قد تَعرَّضت لكثير من الهزات العنيفة. لكن حينما

---

(١) انظر تفصيل ذلك لدي ابن بشر، ج٢، ص١٥٥ - ١٥٦ و١٧٩؛ وايندر؛ ص١٩١ - ٢٠٢؛ نخلة، ص١١٥ - ١٢٤.

(٢) وايندر، ص١٧٩ و٢٠٦.

(٣) المصدر نفسه، ٢٠٧.

(٤) نخلة، ص١٣٣.

تَمكَّنت تلك الدولة من استعادة هيبتها في المنطقة المذكورة، وتَغلَّبت على مشكلاتها هناك عاد الإمام فيصل إلى دفع ما كان يدفعه إليها في الماضي[1].

٧- علاقته ببريطانيا:

كانت بريطانيا دائمًا تقف ضد أَيِّ دولة قوية تحاول مَدَّ نفوذها في الخليج وجهات عمان التي لها مصالح فيها. فقد وقفت ضد الدولة السعودية الأولى، ثم وقفت ضد محمد علي. ولم يكن موقفها من الإمام فيصل مختلفًا عن موقفيها السابقين؛ وبخاصة أن نفوذها في المنطقة قد ازداد بعد انسحاب القوات المصرية منها، وأصبحت مصالحها فيها أكثر من ذي قبل.

لقد امتنعت بريطانيا عن مساعدة المعارضين للإمام فيصل في البُرَيمي وما حولها في بداية عهده، وأرسل إليها الإمام رسالة عَبَّر فيها عن أمله في إقامة علاقات طيبة معها مثل تلك العلاقات التي كانت بينها وبين أبيه الإمام تركي. وحينما تَوغَّلت القوات السعودية في عمان نصحت بريطانيا القادة العمانيين أن يدفعوا إلى قائد تلك القوات ما أراده من أموال. لكنها وقفت ضد أَيِّ محاولة يقوم بها السعوديون للاستيلاء على مسقط وصحار.

وكان موقف بريطانيا بالنسبة للنزاع بين الإمام فيصل وآل خليفة مشابهًا، بدرجة كبيرة، للموقف الذي اتَّخذته في عمان. ذلك أنها لم تُشجِّع حاكم البحرين على عدم دفع الزكاة إلى الإمام، لكنها وقفت إلى جانبه ضد أَيِّ محاولة غزو لبلاده. بل هاجمت أراضي فيصل لعدم تَخلِّيه عن إيواء خصوم ذلك الحاكم[2].

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن علاقة فيصل بالعثمانيين انظر **الدولة السعودية الثانية**، لعبدالفتاح أبي علية، الرياض، ١٣٩٤هـ، ص١٥٠ - ١٥٤.

(٢) لمزيد من التفصيلات عن علاقة الإمام فيصل ببريطانيا، انظر وايندر، ص١٩٢ و٢١٧ - ٢٢١؛ نخلة، ص١٢٥ - ١٣٤؛ أبا علية، ص١٣٣ و١٤٢ - ١٤٧.

الدولة السعودية بعد الإمام
فيصل بن تركي

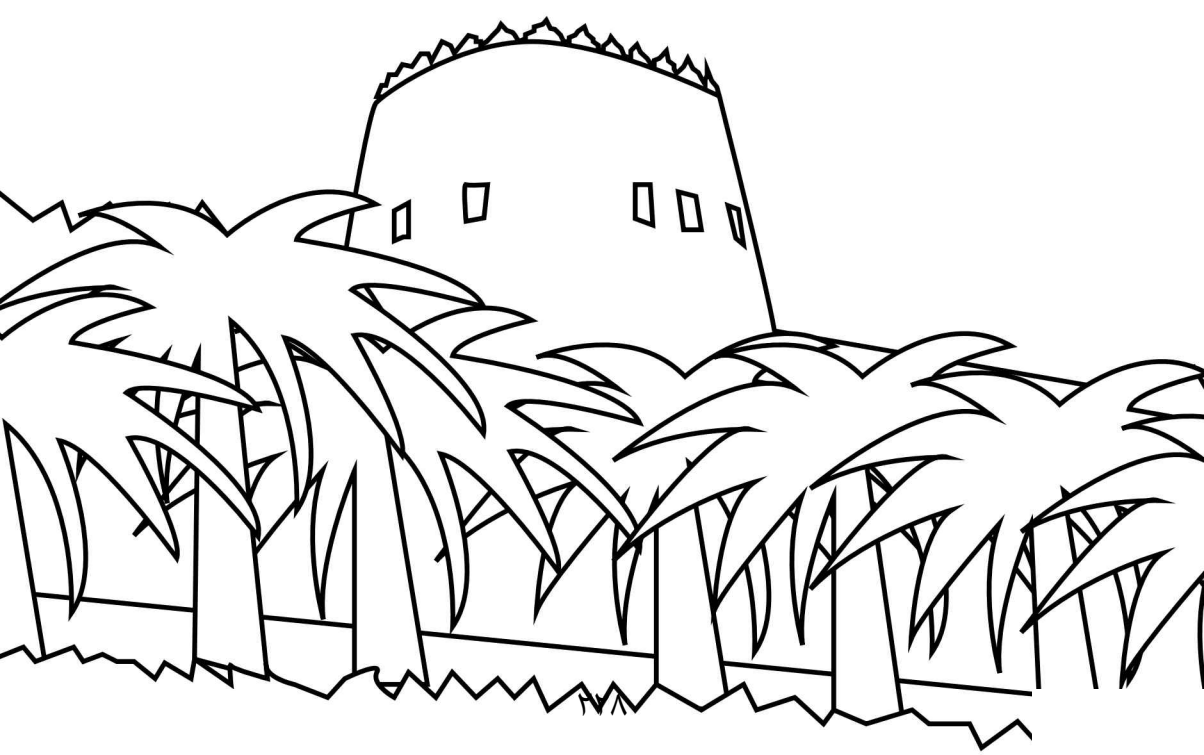

١ - النزاع على الحكم وانحسار الدولة:

في الحادي والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٨٢هـ توفي الإمام فيصل بن تركي[١]. وكان قد فقد بصره، أو كاد يفقده، في أواخر عمره، فأسند كثيرًا من أعباء الدولة إلى ابنه الأكبر عبدالله[٢]. وبعد وفاته بويع عبدالله بن فيصل بالإمامة. وممن بايعه بها أخوه سعود[٣]. غير أنه لم يمض عام واحد على تَولِّيه الإمامة إلا وقد خرج عليه ذلك الأخ ينازعه الحكم. وتختلف الروايات في سبب ذلك[٤]. لكن من المرجح أن الطموح إلى تَولِّي السلطة كان من أكبر العوامل التي دفعت سعودًا إلى الخروج على عبدالله.

وكان كثير من الحاضرة؛ وبخاصة علماء الدين، يقفون إلى جانب عبدالله بن فيصل ويُؤيِّدونه، لأنه الوارث الشرعي للإمامة سِنًّا وعهدًا. وكانت له خبرة في إدارة شؤون الدولة، وفي قيادة الجيوش. وقد وقف معه أخوه محمد، الذي سبق أن قاد بعض الغزوات في عهد أبيه. وكل ما ذكر بدا مرجحًا لكفة عبدالله في منافسة أخيه سعود له. وكان هذا الأخير يدرك ذلك تمام الإدراك، لكنه كان، فيما يبدو، قد أخذ عدة عوامل بعين الاعتبار. ومن هذه العوامل أن ضربات عبدالله

---

(١) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص٤٩.

(٢) وايندر، ص٢٢٨، الذكير، ص٨٦.

(٣) انظر رسالة الشيخ عبداللطيف، **الدرر السنية**، ج٧، ص٢٤٢، ورسالة ابنه الشيخ عبداللطيف، المصدر نفسه، ج٧، ص٢٤٤.

(٤) هنالك من يقول: إن عبدالله اضطهد سعودًا، ومنع الناس من الاتصال به مما دفعه إلى الثورة. انظر الذكير، ص٨٦. وقد ذكر سعود في رسالة إلى الشيخ حمد بن عتيق أمورًا متعددة جعلته يثور على أخيه عبدالله، ورد عليها الشيخ حمد بما يفنِّدها. انظر **الدرر السنية**، ج٧، ص٢٥٨ - ٢٦٢ ولعلَّ إمارة سعود للخرج، التي كانت ناجحة وطويلة نسبيًّا، قد جعلته يعتاد حياة معيَّنة تفرض عليه التزامات ربما صعب على أخيه عبدالله توفيرها له. على أن سعودًا عزل عن تلك الإمارة في أواخر عهد أبيه. وربما كان عزله بقرار من أخيه، الذي تولَّى أعباء الحكم الثقيلة عن والده حينذاك، فأضمر سعود في نفسه على أخيه ما أضمر، وبايعه عن كره، كما ذكر في رسالته إلى ابن عتيق.

الموجعة لقبيلة العُجْمان كانت لا تزال حديثة العهد، مما جعل تلك القبيلة تُكنُّ له العداء وتَتحيَّن الفرص للانتقام منه. وكان بينها وبين سعود صلة رحم[1]. وهذا عامل إضافي يمكن أن يزيد من حماستها للوقوف معه ضد أخيه عبدالله. ومن المرجح أن إمارة سعود الطويلة نسبيًّا في جنوبي نجد خلال عهد أبيه قد نَمَّت النزعة في نفسه إلى السلطة، وجعلته يأمل في وقوف السكان هناك إلى جانبه[2].

خرج سعود بن فيصل من الرياض ثائرًا ضد أخيه الإمام عبدالله. ولعلمه بأن غالبية سكان نجد لن يقوموا معه اتَّجه إلى محمد بن عائض في عسير آملاً منه المساعدة. وما إن علم أخوه بسفره إلى أبها حتى بعث وفدًا إلى هناك ليستميله ويقنعه بالعودة إلى الرياض. وكان ابن عائض من المتعاطفين جدًّا مع الحكم السعودي القائم على أساس الدعوة الإصلاحية النجدية. وكان لذلك يكره أن يحدث انقسام داخلي يُؤثِّر على ذلك الحكم. فلم يكن غريبًا أن يمتنع عن تقديم أيِّ معونة عسكرية لسعود ضد أخيه عبدالله. بل حاول مع الوفد المرسل إليه أن يثنيه عن عزمه على محاربة الإمام الشرعي أخيه الأكبر. لكن المحاولات لم تنجح في إقناع سعود عن ترك ما صَمَّم عليه[3].

وحينما فشل سعود بن فيصل في الحصول على معونة عسكرية من محمد بن عائض تَوجَّه إلى نجران حيث رَحَّب به رئيسها وأَيَّده[4]. ولم يكن ذلك الموقف غير متوقع من الرئيس النجراني، فقد كان لا يتعاطف مع الحكم السعودي

---

(١) وايندر، ص٢٣٠.

(٢) كان سعود قد تولَّى إمارة منطقة الخرج سنة ١٢٦٣هـ. انظر ابن بشر، ج٢، ص١٥٢. ومع أن الشيخ ابن عتيق قد أشار إلى أنه قد عُزل عن الإمارة في حياة أبيه، كما سبق أن ذكر، فإنه لم يحدد تاريخ ذلك العزل.

(٣) ابن عيسى، عقد الدرر، ص٥٢.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

القائم على أساس العقيدة السُّنيَّة التي نادى بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ولَعلَّه رأى أن تشجيع الانقسامات داخل الأسرة السعودية مما يضعف ذلك الحكم. وكانت قبائل نجران يامية الأصل، وهي لهذا تَمتُّ بصلة القرابة لقبيلة العُجْمان اليامية التي كانت علاقتها بعبدالله بن فيصل سيئة.

ثم وفدت إلى سعود بن فيصل وهو في نجران فئات من بعض القبائل؛ مثل العُجْمان وآل مُرَّة وآل شامر، فَتكوَّنت لديه قوة شَجَّعته على أن يسير بها لمحاربة أخيه عبدالله. وانطلق من نجران إلى وادي الدواسر حيث لقيت حركته الكثير من النجاح، وازداد عدد المنضمِّين إليه. وكان أخوه عبدالله على علم بتحرُّكاته. فجَهَّز جيشًا كبيرًا بقيادة أخيه محمد للوقوف في وجه تَقدُّم سعود. وتقابل الأخوان محمد وسعود بجيشيهما في المُعْتَلَى. فهُزِمَ سعود وجُرِحَ في المعركة، وقُتِلَ كثير من أتباعه؛ وذلك سنة ١٢٨٣هـ[١]. ثم سار سعود بعد هزيمته في المعتلى إلى مواطن آل مُرَّة، وظَلَّ عندهم حتى برئت جراحه، وبعد ذلك تَوجَّه إلى جهات عمان[٢]. ولم يكن مسيره إلى هناك، فيما يبدو، محض الصدفة؛ وإنما كان نتيجة دراسته لأوضاع تلك الجهات. ذلك أن القوى المحيطة بها؛ مثل سلطان مسقط وبريطانيا، لم تكن ذات مَودَّة لأخيه عبدالله.

أما عبدالله بن فيصل فإن النصر الذي حَقَّقه له أخوه محمد في المُعْتَلى أغراه باتِّخاذ إجراءات صارمة ضد من تعاون مع أخيه سعود. فأرسل، سنة ١٢٨٤هـ، عمه عبدالله بن تركي بقوات إلى الأحساء، وأمره أن يحبس من ظفر به من بادية العُجْمان، وأن يحرق بيوتهم. واستدعى أمير تلك المنطقة محمد بن أحمد السديري إلى الرياض، فعزله عن الإمارة، وعَيَّن بدلًا منه

(١) الفاخري، ص٨٨ - ١٨٩، المؤرخ البسام، ورقة ١٤٩ب؛ ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص٥٢ - ٥٣.

(٢) الذكير، ص٨٦؛ ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص٥٣.

ناصر بن جبر الخالدي[١]. وربما كان سبب ذلك العزل أن أخا محمد، تركي بن أحمد، أمير جهات عمان قد آوى سعود بن فيصل[٢]، وأن الإمام عبدالله خشي من اتِّفاق الأخوين في المنطقة الشرقية وجهات عمان على العمل ضده. ومهما كان السبب فإن عزل السديري، الذي كان محبوبًا لدى السكان، كان عامل ضعف في مركز الإمام عبدالله هناك. وفي عام ١٢٨٥هـ قاد هذا الإمام قوات إلى وادي الدواسر، واتَّخذ ضد أهله عقوبات اقتصادية[٣].

مكث سعود بن فيصل في جهات عمان حتى اغتيل الأمير تركي بن أحمد السديري سنة ١٢٨٥هـ. فلجأ إلى عَزَّان بن قيس عَدوِّ أخيه عبدالله في تلك الجهات[٤]. وكانت بريطانيا، بما لها من نفوذ في البحرين حينذاك، تكره الإمام عبدالله، ومن ثم تتعاطف مع أخيه سعود. فرأى هذا أن تلك البلاد أنسب له للاتِّصال بالقبائل المناصرة له في شرقي الجزيرة العربية؛ مثل آل مُرَّة والعَجْمان، فذهب إلى هناك حيث رحب به عيسى بن خليفة. وقد وفد إليه عدد من أنصاره. وبدأ يستعد لاستئناف نشاطه العسكري[٥].

وكانت أَوَّل خطوة قام بها سعود بن فيصل من البحرين مهاجمة المناطق التابعة لأخيه عبدالله في قطر. لكن عبدالله كان قد بعث سَرِيَّة إلى هناك تَحسُّبًا لأَيِّ طارئ. فاستطاع أتباعه أن يصدوا هجوم سعود ومن معه. فعاد المهاجمون من حيث أتوا[٦].

---

(١) المصدر الأخير، الصفحة ذاتها.

(٢) نخلة، ص١٤٠.

(٣) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص٥٤.

(٤) نخلة، ص١٤٠.

(٥) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص٦٤. وذكر هذا المؤلف أن من بين الذين وفدوا إلى سعود في البحرين محمد بن عبدالله بن ثنيَّان.

(٦) المصدر نفسه، ص٦٤ - ٦٥، وقد قتل في الهجوم محمد بن ثنيَّان.

ومع أن هزيمة سعود بن فيصل في قطر كانت صدمة أخرى له إلا أنه لم ييأس. بل واصل نشاطه واتصالاته بأنصاره في المنطقة الشرقية. وحينما اقتنع بقدرته على معاودة الهجوم اتَّجه من البحرين إلى العُقَير، فاستولى عليها. وانضمت إليه فئات من قبائل المنطقة، فَتوجَّه إلى الهفوف مقر أميرها من قِبَل أخيه عبدالله. وقد أغرى زعماء العُجْمان ذلك الأمير بالخروج لمقاتلة سعود، فخرج لمقاتلته. وحينما اقترب منه انقلب أولئك الزعماء ضده، وانضمُّوا إلى سعود ومن معه. وعاد أمير عبدالله منهزمًا إلى الهفوف. وطَوَّقه سعود بقواته حتى ضَيَّق عليه الحصار[1].

وما إن علم عبدالله بن فيصل بأخبار المنطقة الشرقية حتى جَهَّز جيشًا كبيرًا بقيادة أخيه محمد، وأرسله لمقاومة سعود. وعلم سعود باتِّجاه ذلك الجيش إليه، فرأى أن يرفع الحصار عن الهفوف ويقابله قبل أن يصل إلى بلدان الأحساء. وتقابل الأخوان، محمد وسعود، بجيشيهما في جُوْدة سنة ١٢٨٧هـ. وفي أثناء المعركة انضمَّت فئات من قبيلة سُبَيع، التي كانت مع محمد، إلى سعود[2]. فَدبَّت الفوضى في جيش محمد، وانتصر أخوه سعود عليه. وقد تَمكَّن المنتصر من أسر أخيه، وأخذه معه سجينًا. ثم عاد سعود بعد انتصاره في جودة ليستولي على بلدان المنطقة الشرقية دون صعوبة. وبذلك خرجت تلك المنطقة المُهمَّة عن حكم عبدالله بن فيصل[3].

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٥ - ٦٦، آل عبدالقادر، ج١، ص١٦٨ - ١٦٩.

(٢) الفاخري، ص١٩١؛ ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص٦٦. ويقال: إن سبب انقلاب تلك الفئات من سبيع على محمد أن عبدالله بن فيصل لم يقبل شفاعة أحد زعمائها لواحد من رؤساء العجمان سنة ١٢٨٦هـ. انظر سعود بن هذلول، **تاريخ ملوك آل سعود**، الرياض، ١٣٨٠هـ، ص٣٢، وقد كان لزعيم العجمان، راكان بن حثلين، جهد في إغراء زعيم سبيع في الانضمام إلى سعود، انظر آل عبدالقادر، ج١، ص١٦٩.

(٣) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص٦٦ - ٦٧.

ومن الواضح أنه كان لهزيمة جيش عبدالله بن فيصل في جُوْدة، واستيلاء أخيه سعود على المنطقة الشرقية، أثر كبير في نفسه، ذلك أنه جمع ثروته وغادر الرياض مُتَّجهًا إلى جبل شَمَّر.

وفي طريقه إلى هناك اتَّصل بأمير عُنَيزة، زامل بن سُلَيم، محاولًا أن يكسبه إلى جانبه. لكن ذلك الأمير لم يشأ أن يَتدخَّل في نزاع الأخوين حينذاك[1]. ويبدو أيضًا أن عبدالله لم يَتلقَّ من زعماء جبل شَمَّر ما يُشجِّعه على مواصلة سيره إلى هناك. فرأى أن يستنجد بوالي بغداد، مدحت باشا، ليساعده في تلك الآونة الحرجة[2]. ولَعلَّ من أسباب تَوجُّهه إلى ذلك الوالي العثماني محاولة الاستفادة من التنافس بين الدولة العثمانية وبريطانيا، التي كانت قد أَيَّدت أخاه سعودًا. وكان والي بغداد نشيطًا ومُتطلِّعًا إلى توسيع مناطق نفوذه. وما إن وصله مندوب عبدالله، عبدالعزيز أبو بطين، حتى أبدى استعداده لنجدته[3].

وفي أثناء ذلك وفد محمد بن هادي بن قَرْملة، رئيس قبيلة قحطان، على سعود بن فيصل في الأحساء، فلم يستقبله الاستقبال الذي كان يَتوقَّعه[4]. ومن الواضح أن السبب في ذلك ما كان يوجد من خلاف بين قبيلة قحطان وقبيلة العُجْمان عماد قوة سعود؛ إذ خشي هذا الأخير أن يكون إكرامه لابن هادي داعيًا لغضب ابن حِثْلين. فَقرَّر زعيم قحطان أن يَنضمَّ إلى صف عبدالله بن فيصل، وشَجَّعه على العودة إلى الرياض، فعاد إليها. وكان سعود قد بدأ سيره في اتِّجاه

---

(١) وايندر، ص٢٥٠. وكان زامل قد أصبح أميرًا لعنيزة بعد وفاة عبدالله بن يحيى سنة ١٢٨٥هـ. ابن عيسى، **عقد الدرر**، ٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٧. وقد لقيت هذه الخطوة انتقادًا من علماء الدين. انظر **الدرر السنية**، ج٧، ص٢٤٥.

(٣) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص٦٧.

(٤) كان محمد بن هادي فارسًا مغوارًا، وشاعرًا مجيدًا. وقد بلغت قحطان برئاسته شأوًا بعيدًا؛ إذ احتلت مكان الصدارة بين القبائل في نجد.

هذه المدينة إلا أنه لما علم بعودة أخيه عبدالله إليها رجع إلى الأحساء ليزيد من استعداداته. ثم زحف من هناك مرة أخرى. وما إن اقترب من الرياض حتى غادرها عبدالله إلى مضارب قحطان، حيث بقي ينتظر ما تسفر عنه حوادث الأيام. فدخل سعود بن فيصل تلك المدينة، وأخذ البيعة من سكانها. وقام أتباعه من البادية بأعمال نهب وتخريب، عانى منها أولئك السكان الشيء الكثير. وذلك سنة ١٢٨٨هـ[١].

ولما استقر سعود بن فيصل في الرياض جَهَّز قوات، واتَّجه بها لمحاربة أخيه عبدالله. ودارت بينهما معركة في البَرَّة[٢]. فانهزم عبدالله ومن منعه من قحطان. وعاد سعود بعد انتصاره إلى الرياض[٣].

وبينما كانت تلك الحوادث تجري جَهَّز والي بغداد جيشًا بقيادة نافذ باشا، وسَيَّره إلى شرقي الجزيرة العربية. وقد انضم إلى هذا الجيش جيش آخر من الكويت بقيادة عبدالله بن صباح وأخيه مبارك. وحين وصل الجميع إلى منطقة الأحساء هاجموا مراكز سعود بن فيصل، واستطاعوا أن يستولوا عليها. وأخرج نافذ باشا محمد بن فيصل من سجنه. وبعث إلى أخيه عبدالله يستقدمه إليه. ففعل عبدالله ما طلب منه القائد العثماني[٤].

وكان خروج المنطقة الشرقية من حكم سعود بن فيصل من الأمور التي شَجَّعت الموالين لأخيه في الرياض على الثورة ضده. فقام عليه عمه

---

(١) الدرر السنية، ج٧، ص٢٥٢ - ٢٤٣؛ ابن عيسى، عقد الدرر، ص٦٩.

(٢) البرَّة: قرية قريبة من ضرماء. انظر عنها عبدالله بن خميس، **معجم اليمامة**، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٠٠هـ، ج١، ص١٥٧ - ١٥٩.

(٣) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص٦٩ - ٧٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٧٠ - ٧١؛ نخلة ص١٦١ - ١٦٢. وهو من أحسن المصادر التي تناولت هذه الحملة.

عبدالله بن تركي، واضطره إلى مغادرتها[1]. وسار سعود من الرياض إلى الدِّلَم. ثم اتَّجه من هناك إلى الأحساء، وبدأ يقاوم الجيش العثماني فيها. لكنه فشل في مسعاه العسكري. فرأى أن يلجأ إلى الطرق السلمية، وأرسل أخاه عبدالرحمن إلى بغداد للتفاوض مع واليها. لكن ذلك الوالي، الذي لم يبعث جيشه إلا للاستيلاء على شرقي الجزيرة العربية، لم يبد أَيَّ استعداد للتفاوض حول سحب قواته من هناك؛ بل أبقى عبدالرحمن رهينة لديه[2].

على أن عبدالله بن فيصل لم يبق طويلًا في الأحساء. ذلك أنه أُنذِر بأن قائد القوات العثمانية فيها يُخطِّط لتسفيره إلى بغداد[3]. ويبدو أن الإنذار جاء في الوقت المناسب، وهو انتزاع عمه عبدالله ابن تركي حكم الرياض من أخيه سعود، كما سبق أن ذكر. فَدبَّر عبدالله حيلة هرب بها من المنطقة الشرقية مع أخيه محمد وابنه تركي. وحينما وصل إلى الرياض سَلَّمه عمه عبدالله مقاليد الأمور فيها[4].

أما سعود بن فيصل فبعد أن يئس من نجاح المفاوضات مع والي بغداد خَفَّ بمن تبعه من العُجْمان وغيرهم، واتَّجه إلى الأفلاج حيث انضم إليه بعض سكان جنوبي نجد. وما إن علم أخوه عبدالله، بِتحرُّكاته حتى بعث جيشًا بقيادة أخيه محمد، ومعه عمه عبدالله إلى الدِّلَم. وحينما حاصر سعود أخاه محمدًا ومن معه في تلك البلدة انقلب سكانها معه. فهرب محمد عائدًا إلى الرياض،

---

(١) ابن عيسى، عقد الدرر، ص٧١.

(٢) واينـدر، ص٢٥٩. وكان مع عبدالرحمن فهد بن صنيتان. وصنيتان لقب لعبدالله بن إبراهيم، أخي الإمام تركي.

(٣) ابن عيسى، عقد الدرر، ص٧٢.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها، ابن هذلول، ص٢٧ - ٣٨.

ووقع عمه عبدالله أسيرًا في يد سعود. وسجنه هذا الأخير حتى مات في سجنه بعد أيام قليلة. ثم واصل سعود زحفه حتى وصل إلى أطراف الرياض، حيث تقابل مع أخيه عبدالله في الجِزْعَة، وهزمه[1]. ودخل سعود العاصمة بينما ذهب عبدالله إلى المناطق القريبة من الكويت مع بادية قحطان. وذلك سنة ١٢٩٠هـ[2].

وبعد أن استقر سعود بن فيصل في الرياض، وأمضى حوالي شهرين فيها، خرج بأتباعه ومن انضم إليه من حاضرة نجد وباديتها، وقصد مسلط بن رُبَيعان وقومه من عُتَيبة[3]. ولكنه حينما التقى بالعتبان في طلال هزموه، وقتلوا كثيرًا ممن كانوا معه[4].

وفي عام ١٢٩١هـ استطاع عبدالرحمن بن فيصل مغادرة العراق، ووصل إلى البحرين، وتشير بعض المصادر إلى أن ذلك قد تَمَّ نتيجة لمساع بريطانية لدى السلطات العثمانية، ثم اتَّجه عبدالرحمن من البحرين إلى العُقَير، حيث انضم إليه كثير من المؤيِّدين. وزحف بهؤلاء على الهفوف، فتعاون معه أهلها، وقاموا على الحامية العثمانية فيها، فقتلوا عددًا من رجالها، وحاصروا الباقين منهم في الكُوْت. لكن إمدادات جديدة قدمت من العراق بقيادة رئيس قبيلة المنتفق،

---

(١) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص٧٢؛ ابن هذلول، ص٣٨.

(٢) الجِزْعة: قرب المصانع الواقعة جنوب منفوحة.

(٣) مسلط بن ربيعان رئيس الرُّوقة من قبيلة عُتَيبة. أما رؤساء برقا، القسم الآخر من هذه القبيلة، فآل حُمَيد. وقد برز منهم أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الذي تلاه محمد بن هندي الذي كان من أعظم رجال زمانه دهاء وشجاعة.

(٤) طلال: مورد ماء في عالية نجد. ابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث**، ص١٨٥ هامش ٢، ولمزيد من التفصيلات عن معركة طلال. انظر: عقد الدرر، ص٧٥ – ٧٦؛ ابن هذلول، ص٤٠ – ٤١. وقد خلدت هذه المعركة، وأوردت تفاصيلها، قصيدة شليويح العطاوي، أحد فرسان الروقة المشهورين، والتي مطلعها:

مبدا كلامي طلبتي ذكر الله ولالي عن الرب الكريم غناوي

وهي موجودة في كتاب الحاتم، ج٢، ص٢٢٥ – ٢٥٦.

وهزمت عبدالرحمن بن فيصل ومن معه. فترك الأحساء، وتَوجَّه إلى الرياض. لكنه ما إن وصل إلى هذه المدينة حتى توفي أخوه سعود، فَحلَّ مَحلَّه في الحكم[1].

ورغم الهزائم التي حَلَّت بعبدالله بن فيصل فإنه لم ييأس. وربما كان لانتصار ابن ربيعان على أخيه سعود في طلال، ثم لوفاة سعود، أثر في تشجعه على استئناف محاولاته لاستعادة الحكم. فبعث أخاه محمدًا بمن انضم إليه من عُتَيبة ليستولي على الوَشْم. وأسرع أخوه عبدالرحمن بقواته لِيصدَّه عنها، وتَمكَّن من هزيمته. لكن عبدالرحمن ذهب بعد ذلك إلى الدوادمي لقتال مسلط بن ربيعان وقومه. ومن سوء حظه أنه لم يجد ابن ربيعان وقومه وحدهم، وإنما وجد معهم فئات أخرى من عُتَيبة بقيادة ابن حميد، وهَذَّال الشيباني. فانتصروا عليه، وعاد إلى الرياض، وذلك سنة ١٢٩٢هـ[2].

وفي عام ١٢٩٣هـ قامت مشكلة بين عبدالرحمن بن فيصل وأبناء أخيه سعود، سببها مقتل فهد بن صنيتان آل سعود، المقرَّب من عبدالرحمن[3]. وكان موقف عبدالله بن فيصل قد تَحسَّن كثيرًا بعد انضمام قبيلة عُتَيبة إلى جانبه. فاتَّجه بأتباعه إلى الرياض لانتزاع الحكم من أخيه عبدالرحمن. وكان لضعف موقف هذا الأخير داخليًّا، وللجهود التي بذلها الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، أثر كبير في إقناعه بأن يخرج إلى أخيه عبدالله، ويتنازل له عن الإمامة. ومن

(١) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص ٧٧ - ٧٨ و٨٠؛ المؤرخ البسام، ورقة ١٥٤أ وعن مساعي بريطانيا لدى العثمانيين للسماح لعبدالرحمن بن فيصل بمغادرة العراق. انظر: نخلة، ص١٩٤. وكانت وفاة سعود في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٢٩١هـ. وعن ظروف تولِّي عبدالرحمن الحكم. انظر: الدرر السنية، ج٧، ص٢٥٣.

(٢) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص٨٠ - ٨١.

(٣) بينما يذكر ابن عيسى (المصدر نفسه: ٨٣) أن ابن صنيتان قتله محمد بن سعود بن فيصل يقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، المعاصر للحادثة: إن الذي قتله ابن جلوي؛ أي من ذرية جلوي بن تركي، لا من ذرية فيصل. انظر: الدرر السنية، ج٧، ص٢٥٤.

الواضح أن أبناء سعود بن فيصل لم يرضوا بما تَمَّ بين عَمِّيهما من صلح. ولذلك غادروا الرياض إلى الدِّلم[1].

وعلى أَيِّ حال فإنه بالرغم من استعادة عبدالله بن فيصل للحكم، إلا أن نفوذه لم يتجاوز من الناحية الواقعية بلدان العارض والبلدان القريبة منها. ومنذ تَولِّيه الحكم، بتنازل من أخيه عبدالرحمن عنه، ونفوذه يزداد ضعفًا يومًا بعد آخر أمام ازدياد قوة منافس نجدي جديد هو محمد ابن عبدالله بن رشيد. ولَعلَّه من المستحسن إعطاء لمحة موجزة عن أسرة هذا الأمير قبل تَولِّيه الإمارة.

٢- آل رشيد قبل حكم محمد بن عبدالله:

ينتمي آل رشيد إلى آل جعفر أحد بطون عَبْدة من قبيلة شَمَّر. والمعلومات التاريخية عن هذه الأسرة قبل نشاط مؤسس الإمارة فيها، عبدالله بن علي بن رشيد، قليلة جدًّا. ومما ذكرته المصادر عن أبي ذلك المؤسس أنه كان ورعًا متدينًا، وأنه كان جابيًا للزكاة من بادية شَمَّر في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز. وكان أخو علي، جَبْر بن رشيد، أَحد كُتَّاب ذلك الإمام وموضع ثقته[2].

وكان ابنا علي بن رشيد، عبدالله وعُبَيد، نشيطين منذ فترة شبابهما المبكر. ومن نشاطهما مرافقة القوافل المارة بجبل شَمَّر المتجهة إلى العراق أو القادمة منها إلى الحجاز عبر ذلك الجبل. وقد تَزَّوج عبدالله ابنة أمير جبل شَمَّر، محمد بن عبدالمحسن بن علي، الذي يلتقي معه من حيث النسب بآل جعفر، والذي كان من أشهر قادة الدولة السعودية الأولى. لكن خلافًا وقع بين

(١) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص٨٣ - ٨٤.

(٢) انظر عن تفصيلات ذلك: العثيمين، **نشأة إمارة آل رشيد**، ص٦٧ - ٧١.

عبدالله ابن رشيد وأخيه عُبَيد وبين الأمير صالح بن عبدالمحسن بن علي، الذي تَولَّى إمارة جبل شَمَّر بعد مقتل أخيه محمد بأيدي رجال إبراهيم باشا سنة ١٢٣٤هـ. ولَعلَّ من أهم أسباب ذلك الخلاف ما كان يوجد لدى هذين الشابين من طموح، دفعهما إلى التدخُّل في أمور يَعدُّها الأمير صالح من صميم اختصاصاته.

وقد أَدَّى الخلاف بين الأمير صالح بن عبدالمحسن وعبدالله بن رشيد وأخيه عبيد إلى نفيهما من حائل. وبعد إخراجهما من هذه البلدة اختفيا مدة في أحد الأمكنة القريبة منها. وكانا يَتسلَّلان، أحيانًا، إليها لزيارة أقاربهما وأصدقائهما. وقد أمر الأمير صالح واحدًا من عبيده بالقبض على عبدالله. لكن هذا الأخير احتال به، وقتله. فازداد غضب الأمير عليه وعلى أخيه عُبَيد، وأخرج أُمَّهما من حائل أيضًا[١].

وقد ذهب عبدالله بن رشيد بعد ذلك إلى العراق، بينما بقي أخوه عُبَيد مع أسرتهما مختفيًا قرب قاعدة جبل شَمَّر. وبعد إقامة عبدالله في العراق مدة تختلف المصادر في تحديدها وفي طبيعة نشاطه خلالها عاد إلى نجد، ووَفَد إلى الإمام تركي بن عبدالله آل سعود[٢]. وقد أصبح أحد أصدقاء ابنه فيصل المقرَّبين، وأحد قادته العسكريين. وكان مع فيصل في غزوته إلى جهة القطيف حينما بلغه خبر اغتيال أبيه الإمام تركي بمؤامرة دَبَّرها مشاري بن عبدالرحمن آل سعود. وقد قام عبدالله بجهد بارز في القضاء على مشاري تَخطيطًا وتَنفيذًا[٣].

وبعد أشهر من تَولِّي الإمام فيصل بن تركي الحكم عزل صالح بن عبدالمحسن بن علي عن إمارة جبل شَمَّر، وعَيَّن بدلاً منه

---

(١) المصدر، ص٩٠ - ٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٥ - ٩٩.

(٣) ابن بشر، ج٢، ص٦٥ - ٦٧.

عبدالله بن رشيد. وقد نتج عن ذلك خلاف شـــديد بين الأمير المعزول والأمير الجديد. وكانت نهاية ذلك الخلاف إخـــراج آل علي من حائل، ثم القضاء على صالح بن عبدالمحسن وأكثر أفراد أسرته[١].

ومع أن عبدالله بن رشيد فقد الإمارة عن طريق القوة التي بعثها إسماعيل بك وخالد بن سعود مع عيسى بن علي إلا أنه عاد إليها بعد فترة قصيرة بقوته الذاتية، ومباركة القائد خورشيد وتأييده، ولقد تَمكَّن من توطيد نفوذه في منطقة جبل شَمَّر والمناطق القريبة منها شمالاً خلال السنوات الواقعة بين فترتي حكم الإمام فيصل بن تركي الأولى والثانية. وكان من أبرز ما حَقَّقه من نجاح في تلك المدة انتصاره العظيم على أهل القصيم وحلفائهم من عنزة في معركة بَقْعاء سنة ١٢٥٧هـ[٢].

وحينما غادر الإمام فيصل بن تركي مصر، سنة ١٢٥٩هـ، قدم إلى عبدالله بن رشيد في حائل. فأكرمه. وسار تحت رايته حتى استولى على الرياض، وقبض على عبدالله بن ثُنيَّان. وظَلَّ صديقًا حميمًا للإمام فيصل، وزعيمًا تربطه به علاقة خاصة من ملامحها أنه كان مستقلًّا في غزواته شمالي الجزيرة العربية، وأنه كان يحتفظ بزكاة البلدان التابعة له إداريًّا أو بأكثر تلك الزكاة على الأَقلِّ[٣].

وبعدما توفي الأمير عبدالله بن رشيد، سنة ١٢٦٣هـ، خلفه في الإمارة ابنه الأكبر طلال، الذي وَسَّع حدود الإمارة بدرجة كبيرة. وكانت علاقته بالإمام فيصل بن تركي علاقة طيبة جدًّا. وظَلَّ محافظًا على تلك العلاقة الطيبة حتى

(١) العثيمين، **نشأة إمارة آل رشيد**، ص١١٥ - ١٣٤.

(٢) ابن بشر، ج٢، ص١١٧ - ١١٩؛ العثيمين، **نشأة إمارة آل رشيد**، ص٢٣١ - ٢٤٢.

(٣) المصدر الأخير نفسه، ص٢١٩ - ٢٣١. ومن مظاهر العلاقة الوطيدة بينهما أن عبدالله بن فيصل كان زوجًا لابنة عبدالله بن رشيد.

وفاة ذلك الإمام سنة ١٢٨٢هـ. وبعد حوالي عام من هذا التاريخ أصيب بمرض دفعه إلى الانتحار[١].

ولقد تَولَّى إمارة جبل شَمَّر بعد طلال بن عبدالله أخوه متعب. لكن عهده لم يدم إلا سنتين تقريبًا. ذلك أنه حدث خلاف بينه وبين ابني أخيه طلال، بندر وبدر. وحاول عمه عُبيد بن علي أن يصلح بينهما في بداية الأمر[٢]. لكن متعبًا، فيما يبدو، لم يتجاوب معه، ولَعلَّ فشل عُبَيد في الإصلاح بين الطرفين كان من بين الأسباب التي جعلته يغري الشابين أخيرًا بالقضاء على عَمِّهما متعب. وهكذا قاما بقتله، وتَولَّى الإمارة بندر[٣].

وكان محمد بن عبدالله بن رشيد حين مقتل أخيه متعب وافدًا على الإمام عبدالله بن فيصل في الرياض. فغضب غضبًا شديدًا على ما ارتكبه ابنا أخيه طلال. ولَعلَّ وجود عمه عُبَيد في حائل هو الذي جعله لا يَتوجَّه إلى هناك للثأر من الشابين القاتلين وانتزاع الإمارة. لكن عُبَيدًا توفي سنة ١٢٨٦هـ[٤]. وأَحسَّ الأمير بندر أن سلطته - وربما حياته - في خطر ما لم يصطلح مع عَمِّه محمد ابن عبدالله. فوفد إلى الإمام عبدالله بن فيصل. وأصلح الإمام بينه وبين عَمِّه على أن يَظلَّ بندر أميرًا لجبل شَمَّر، وأن يعود عَمُّه محمد إلى إمارة القوافل المارة بالجبل. وعاد هو وعَمُّه من الرياض إلى حائل مصطلحين[٥]. لكن محمدًا كان، على الأرجح، يضمر في نفسه ما يضمر من نوايا للتَّخلُّص من ابن أخيه وانتزاع الحكم منه.

---

(١) ابن عيسى، عقد الدرر، ص٥٢.

(٢) ضاري الرشيد، ص١٨٣.

(٣) ابن عيسى، عقد الدرر، ص٦٢ وهناك رواية شفهية متداولة بين أهل نجد تفيد أنه قد حدث مع وزير متعب ما أغضب عمه عبيدًا. فكان ذلك من أسباب غضبه على ابن أخيه؛ وبخاصة أنه لم يعزل ذلك الوزير.

(٤) هوبير: ص١٥٩، موزل، ص٢٤١.

(٥) ابن عيسى، عقد الدرر، ص٦٣.

وفي عام ١٢٨٩هـ كانت علاقة الأمير بندر بن طلال بقبيلة الظفير سيئة. فمنع التعامل معها اقتصاديًّا. وقد جرت العادة أن يستأجر عَمُّه محمد إبلاً من القبائل لإحضار أطعمة من العراق حين عودته من هناك بعد مرافقته لقافلة الحج. وقد عمد إلى استئجار إبل من قبيلة الظفير ذات العلاقة السيئة مع ابن أخيه الأمير بندر. وحين اقترب من حائل خرج الأمير- كعادته- لاستقباله. فعلم منه أنه قد استأجر إبلاً من القبيلة المذكورة، وغضب غضبًا شديدًا، ودار بينه وبين عَمِّه جدل حاد حول هذا الموضوع، وكانت نهاية ذلك الجدل أن احتال محمد بابن أخيه بندر وقتله. ثم قتل بقية إخوانه إلا واحدًا[1].

وكان مجيء محمد بن عبدالله بن رشيد إلى الإمارة، سنة ١٢٨٩هـ، في وقت بلغ فيه الخلاف بين أبناء الإمام فيصل بن تركي ذروته. وهكذا تَهيَّأت الأسباب لذلك الأمير ليبدأ في تنفيذ ما كان يدور في ذهنه من طموح لحكم نجد على حساب أولئك المتنافسين عليه من آل سعود.

٣- نهاية الدولة السعودية:

كان أول احتكاك غير وُدِّي بين الإمام عبدالله بن فيصل والأمير محمد بن رشيد سنة ١٢٩٣هـ؛ وذلك حينما أغرى أمير عُنَيزة، زامل بن سُلَيم، الإمام بالوقوف مع آل عُليَّان- حكام بُرَيدة سابقًا- ضد خصومهم آل مُهنَّا أبي الخيل أمراء هذه البلدة حينذاك. فلقد تَوجَّه الإمام عبدالله إلى عُنَيزة محاولاً القيام بهجوم على بُرَيدة مع آل عُليَّان وزامل بن سُلَيم وقبيلة عُتَيبة. لكن الفريق الأكبر من هذه القبيلةَ تأخَّر مجيئه إليه. وكان حسن بن مُهنَّا، أمير

(١) المصدر نفسه، ص٧٤. وكان عدد من قتلهم محمد من أولاد طلال خمسة، أما أصغرهم، وهو نايف، فلم يقتله.

بريدة، قد اتَّصل بالأمير محمد بن رشيد لينجده في ساعته الحرجة. وانتهز هذا الأمير الطموح الفرصة المواتية، فلَبَّى طلب ابن مُهنَّا أملاً في مَدِّ نفوذه الخاص. وأمام تَأخُّر تركي بن حُمَيد وقومه من عُتَيبة في الوصول إلى عُنيزة، ومعرفة الإمام عبدالله بتحرُّك ابن رشيد للوقوف مع أمير بُرَيدة، أقلع ذلك الإمام عن فكرة مهاجمة هذه البلدة. وبذلت جهود كان من نتيجتها أن انسحب كل من عبدالله بن فيصل ومحمد بن رشيد إلى قاعدة حكمه[1]. ومنذ تلك الحادثة أصبح محمد بن رشيد وحسن بن مُهنَّا حليفين، وأخذا يهاجمان المناطق النجدية التابعة للإمام عبدالله رسميًّا والقبائل الموالية له.

ويبدو أن ما حقَّقه محمد بن رشيد من نجاح قد دفع أهل المجمعة للتحالف معه. وفي عام ١٢٩٩هـ جهَّز الإمام عبدالله جيشًا لمحاربة هذه البلدة، ووضع حصارًا عليها. لكنها استنجدت بالأمير محمد بن رشيد، فهَبَّ لنجدتها، وانضم إليه حسن بن مُهنَّا وأتباعه. وحينما اقترب منها ابن رشيد ومن معه اضطر الإمام عبدالله إلى فك الحصار عنها. والعودة إلى الرياض[2].

وبعد عامين من الحادثة السابقة حاول الإمام عبدالله إعادة المجمعة إلى طاعته. فهَبَّ لنجدتها ابن رشيد وحسن بن مُهنَّا بأتباعهما، ودارت بين الفريقين

---

(١) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص٨٤ - ٨٥. والذي روى تأخر فريق من عتيبة عن القدوم إلى الإمام في عنيزة محمد العلي العبيد، الذي أشار، أيضًا، إلى أن ابن ربيعان كان يحدو على ظهر جواده قائلاً:

عقلت سَبْلا كم لي من يوم ... ما سايل عن بيرق في الشام

يا شيخنا ما لك علينا لوم ... لومك على برقا وابن بسام

وكان ابن بسام، أحد كبار رجالات عُنَيزة، معارضًا لغزو بُرَيدة، وسَبْلا اسم يطلق على إبل ابن ربيعان، وقصده بالبيرق الذي في الشام عَلَم ابن رشيد.

(٢) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص٩١ - ٩٢. تاريخ بعض الحوادث، ص١٩١. وقد دخلها محمد بن رشيد، وعيَّن سليمان بن سامي أميرًا فيها.

معركة في أم العصافير القريبة من تلك البلدة. وقد انتصر ابن رشيد ومن معه انتصارًا عظيمًا ثَبَّت مركزه أكثر من ذي قبل في إقليمي الوَشْم وسُدَير[١].

وفي أعقاب معركة أم العصافير بعث الإمام عبدالله بن فيصل أخاه محمدًا إلى الأمير محمد بن رشيد ليفاوضه. فأكرمه ابن رشيد، وتَخلَّى لعبدالله عن البلدان التي دخلت تحت نفوذه من سُدَير والوَشْم باستثناء المجمعة[٢]. وكانت تلك البادرة عملاً ذكيًّا من ابن رشيد، لأنه كان يدرك أن أمراء بلدان الإقليمين لن يتعاونوا مع الإمام عبدالله على أَيِّ حال. وهو إن أرضى الإمام نظريًّا فإنه لن يخسر شيئًا عمليًّا، لأن الأمراء المذكورين سينضمون إليه عاجلًا أو آجلًا.

على أن أبناء سعود بن فيصل لم يخلدوا إلى الراحة. بل كانوا يقومون بغزوات لعدد من القبائل. وكانت بعض غزواتهم مُوفَّقة[٣].

ولَعلَّ ما أحرزوه من نجاح جزئي، وما رأوه من ضعف عسكري في جانب عَمِّهم عبدالله. كانا من الأمور التي أغرتهم بدخول الرياض، والقبض عليه، والاستيلاء على مقاليد الأمور في هذه المدينة سنة ١٣٠٥هـ[٤].

وكان عمل أبناء سعود بن فيصل ضد عَمِّهم عبدالله فرصة أخرى لمحمد بن رشيد لتوسيع نفوذه. فقد تَوجَّه إلى الرياض مظهرًا أنه أتى إليها ليدافع عن الإمام الشرعي؛ وبخاصة أنه خال لتركي ابن الإمام عبدالله. وسواء كان مجيئه إلى هذه المدينة بناء على طلب من الإمام عبدالله كما

(١) انظر تفصيلهما في عقد الدرر، ص٩٣ - ٩٤. ومن كبار قتلى جيش الإمام عبدالله ابن عمه تركي بن عبدالله ابن تركي، وعبدالعزيز أبو بطين، وعقاب بن حميد من عتيبة.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٥.

(٣) من ذلك غزو محمد بن سعود، الذي كان فارسًا وشاعرًا، لبُرَيْه من قبيلة مطير سنة ١٣٠٠هـ. المصدر نفسه، ص٩٣.

(٤) المؤرخ البسام، ورقة ١٦٠أ؛ ابن عيسى، عقد الدرر، ص٩٨.

تقول بعض المصادر[١] أو لم يكن فإنه حينما اقترب منها خرج إليه نفر من زعمائها. واتَّفقوا معه على أن يخرج أبناء سعود ويعودوا إلى الخرج، وأن يدخل هو الرياض بدون قتال. وبعد دخوله إليها أخرج الإمام عبدالله من السجن، وعَيَّن سالم بن سبهان أميرًا فيها. ثم عاد إلى حائل ومعه عبدالله ابن فيصل وأخوه عبدالرحمن[٢]. وبذلك أصبحت العاصمة السعودية تحت نفوذ الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد، وأصبح الحكم السعودي منتهيًا تقريبًا.

على أن سالم بن سبهان- ومن ورائه محمد بن رشيد- كان يدرك أن وضعه في الرياض غير آمن ما دام أبناء سعود بن فيصل يقومون بنشاط عسكري في إقليم الخرج. فبدأ يُخطِّط للتخلُّص منهم. ولم تَمرَّ بضعة أشهر على تَولِّيه إمارة الرياض إلا وقد نجح في تنفيذ ما خَطَّطه؛ إذ تَوجَّه إلى الدَّلَم، وفاجأهم؛ فقتل ثلاثة منهم. أما الرابع، وهو عبدالعزيز، فقد كان ذاهبًا إلى حائل. وقد أبقاه الأمير محمد بن رشيد لديه هناك[٣]. وكما كان متوقعًا ضَجَّ أفراد الأسرة السعودية ومُؤيِّدوهم من عمل ابن سبهان، وأظهر محمد بن رشيد غضبه عليه واستياءه مما ارتكبه. فعزله عن إمارة الرياض، وعَيَّن بدلاً منه فَهَّاد بن رَخِيص[٤].

وبعد مقتل أبناء سعود بن فيصل اطمأن الأمير محمد بن رشيد إلى أنه قُضِي على مصدر من أهم مصادر الخطر بالنسبة لنفوذه في نجد، ولم يعد في

---

(١) المؤرخ البسام، ورقة ١٦٠أ؛ ضاري الرشيد، ص١٠٥.

(٢) المؤرخ البسام، ورقة ١٦٠أ؛ ابن هذول، ص٤٧. وقد ذكر هذا الأخير خطأ، أن الحادثة كانت سنة ١٣٠٢هـ.

(٣) ابن عيسى، عقد الدرر، ص٩٩. وقد أشار المؤرخ البسام (ورقة ١٦٠ ب ١٦١أ) إلى تعاون أناس من أهل الخرج مع سالم في التخطيط للقضاء على أبناء سعود. والذين قضى عليهم هم محمد وسعد وعبدالله، والقصة مفصلة لدى البسام أكثر من غيره.

(٤) ضاري الرشيد، ص١٠٩؛ ابن هذلول، ص٤٩.

حاجة إلى مراعاة أَيِّ زعيم من زعمائها. ومن هنا فإن علاقته بحسن بن مُهنَّا، أمير بُرَيدة، بدأت تَتغيَّر نوعًا ما. ولَعلَّ قوة حسن وموقع إمارته بين جبل شَمَّر وبقية الأقاليم النجدية كانا من أهم الأسباب التي دفعت حاكم نجد الجديد إلى البحث عن وسيلة للقضاء عليه أو إضعاف قوته. وكانت الشرارة التي أوقدت الخلاف بين الطرفين محاولة الأمير محمد أخذ الزكاة من بادية يَعدُّها الأمير حسن تابعة له؛ وذلك سنة ١٣٠٦هـ[١] وكانت بداية الخلاف بين هذين الأميرين إيذانًا ببداية التحالف بين الأمير حسن وأمير عُنَيزة، زامل بن سُلَيم[٢]. وهذا ما مَهَّد الطريق لتعود منطقة القصيم مُتَّخذة مرة أخرى أمام آل رشيد.

وفي عام ١٣٠٧هـ أذن الأمير محمد بن رشيد لعبدالله بن فيصل وأخيه عبدالرحمن بالعودة إلى الرياض. وكان عبدالله مريضًا، فتوفي بعد يومين من وصوله إلى هذه المدينة[٣].

ويبدو أن الأمير محمد بن رشيد قد خشي أن يستعيد عبدالرحمن بن فيصل نشاطه بعد وفاة أخيه عبدالله واستقراره في الرياض. ولذلك أعاد سالم بن سبهان ليكون رئيسًا للحامية التي كانت فيها. وبدا لعبدالرحمن أن إعادة سالم إلى هذه المدينة قُصِد بها التخلُّص منه عاجلًا أو آجلًا. وقد دفع حسن بن مهنَّا خروجه عن تحالفه مع الأمير محمد بن رشيد إلى أن يكتب إلى عبدالرحمن بن فيصل يُحرِّضه على التخلُّص من ابن سبهان ويَعِده بمناصرته[٤]. وقد دَبَّر عبدالرحمن حيلة استطاع بها القبض على سالم[٥].

---

(١) المؤرخ البسام، ورقة ٦٠أ؛ ضاري الرشيد، ص١٠٥.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٦١ب؛ الذكير، ص٩٤.

(٣) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص٩٩ - ١٠٠. وكانت وفاته في الثامن من ربيع الأول.

(٤) المؤرخ البسام، ورقة ١٦٢أ.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ١٦٢أ، و ب؛ ابن عيسى: **عقد الدرر**؛ ص١٠٠؛ الذكير. ص٩٥.

وكما كان متوقعًا لم يقف الأمير محمد بن رشيد موقف المتفرج إزاء القبض على سالم بن سبهان. فَجهَّز جيشًا، وتَوجَّه به من حائل إلى الرياض في مستهل عام ١٣٠٨هـ. واستطاع أن يتفادى أهل القصيم في مسيرته. وحينما وصل إلى أسوار الرياض قام بقطع كثير من نخيلها، وحدثت مناوشات بينه وبين أهلها. ثم خرج وفد منها للتفاوض معه. وكان رئيس الوفد محمد بن فيصل ومعه ابن أخيه عبدالعزيز بن عبدالرحمن- الملك عبدالعزيز- والشيخ عبدالله بن عبداللطيف والشيخ حمد بن فارس. واتَّفق الطرفان على أن يكون عبدالرحمن بن فيصل إمامًا للعارض والخرج. وأن يطلق سراح ابن سبهان مقابل إطلاق الأمير محمد بن رشيد لمن كانوا قد وفدوا إليه من آل سعود سنة ١٣٠٧هـ[١].

ومن الواضح أن الاتِّفاق كان كسبًا للإمام عبدالرحمن بن فيصل نسبيًّا. ولَعلَّ مما دفع الأمير محمد بن رشيد إلى الموافقة عليه أنه لم يقض بَعدُ على القوة الجديدة التي بدأت تنافسه، وهي قوة القصيم.

ولم يمكث الأمير محمد بن رشيد في قاعدة حكمه بعد عودته إليها من الرياض إلا شهرًا تقريبًا. ثم خرج منها بقواته لقتال أهل القصيم. وكان هؤلاء ومن انضم إليهم من البادية قد استعدوا للقائه. وحدثت بين الطرفين مناوشات في القَرْعاء رجحت فيها كفة أهل القصيم ومن معهم. ثم استخرجهم الأمير محمد بن رشيد من مواقعهم إلى أرض المُلَيداء الصالحة لكَرِّ الخيل وفَرِّها. فدارت بينه وبينهم معركة حامية الوطيس انتصر فيها عليهم انتصارًا عظيمًا. وقتل منهم حوالي ألف رجل بينهم أمير عُنَيزة، زامل بن سُلَيم. ثم قبض على الأمير حسن بن مُهنَّا فيما بعد، وأخذه معه سجينًا إلى حائل[٢].

---

(١) ابن عيسى، عقد الدرر، ص١٠٠؛ المؤرخ البسام، ورقم ١٦٣أ؛ ابن هذلول، ص٥٠ - ٥١.

(٢) ابن عيسى، عقد الدرر، ص١٠٠؛ المؤرخ البسام، ورقة ١٦٣أ، و ب، الذكير، ص٩٦ - ٩٧. والذكير من أكثر الذين أعطوا تفصيلات عن تلك المعركة.

وتُعدُّ معركة المُليداء من المعارك الفاصلة؛ إذ جعلت منطقة القصيم، المُهمَّة قوة واقتصادًا وموقعًا جغرافيًّا، خاضعة للأمير محمد بن رشيد مثلها في ذلك مثل الأقاليم النجدية الأخرى.

وكان الإمام عبدالرحمن بن فيصل قد جَهَّز حملة من أتباعه لنجدة أهل القصيم ومن معهم، وبدأ مسيره إلى هناك. لكنه تَأخَّر في سيره[1]. وما إن علم بأخبار هزيمتهم الساحقة حتى عاد إلى الرياض، وتَفرَّق أتباعه. ويبدو أن معركة المليداء قد تركت في نفس عبدالرحمن بن فيصل ما تركته معركة جُودة من يأس في نفس أخيه عبدالله من قبل ذلك بحوالي عشرين عامًا. فلقد أدرك أن موقفه بات حرجًا، وأن محمد بن رشيد سوف يَتوجَّه إليه للقضاء عليه. فغادر الرياض، وذهب إلى قبيلة العُجْمان[2]. وهذا شبيه بما فعله أخوه عبدالله حينما ترك هذه المدينة وذهب إلى قبيلة قحطان. وبعد مغادرة عبدالرحمن للرياض تَولَّى إمارتها محمد بن فيصل نائبًا عن الأمير محمد بن رشيد[3].

على أن ترك الإمام عبدالرحمن بن فيصل للرياض سنة ١٣٠٨هـ لم يكن نهاية المطاف بالنسبة لنشاطه. ذلك أن إبراهيم بن مُهنَّا -أخا أمير بُرَيدة السابق- وصل إليه مع عدد من أهل تلك البلدة سنة ١٣٠٩هـ. فَشجَّع ذلك الإمام وهاجم بأتباعه بلدة الدِّلَم، وانتزعها من رجال محمد ابن رشيد. ثم سار بمن انضم إليه إلى الرياض ودخلها. لكنه لم يمكث طويلاً؛ بل غادرها إلى إقليم المِحْمَل. وما إن علم الأمير محمد بن رشيد بتحرُّكاته حتى جَهَّز جيشًا، وتَوجَّه به

(١) يقول الذكير، ص٩٦؛ إنه أخذ في مسيره من الرياض إلى أن أتاه خبر هزيمة أهل القصيم نحو شهر.

(٢) ابن عيسى، عقد الدرر، ص١٠١؛ المؤرخ البسام ورقة ١٦٣ب؛ ابن هذلول، ص٥٢.

(٣) المؤرخ البسام، ورقة ١٦٤أ، ابن هذلول، ص٥٢.

لمقاتلة عبدالرحمن ابن فيصل ومن معه. والتقى الطرفان عند بلدة حُرَيملاء، فانهزم عبدالرحمن وأتباعه، وعاد للإقامة مع قبيلة العُجْمان[1]. وكانت هذه المعركة آخر معركة قادها أئمة الدولة السعودية الثانية، كما كانت بمثابة الإعلان بنهاية تلك الدولة.

*****

(١) ابن عيسى، عقد الدرر، ص١٠١؛ المؤرخ البسام، ورقة ١٦٤أ، وبينما يتفق ابن عيسى والبسام على أن عبدالرحمن دخل الرياض بدون قتال- كما ذكر أعلاه- يقول ابن هذلول ص٥٢: إن أخاه محمدًا صده عن دخولها. وقد قبض ابن رشيد على إبراهيم بن مُهنَّا بعد معركة حريملاء؛ فقتله.

من ملامح
الدولة السعودية الثانية

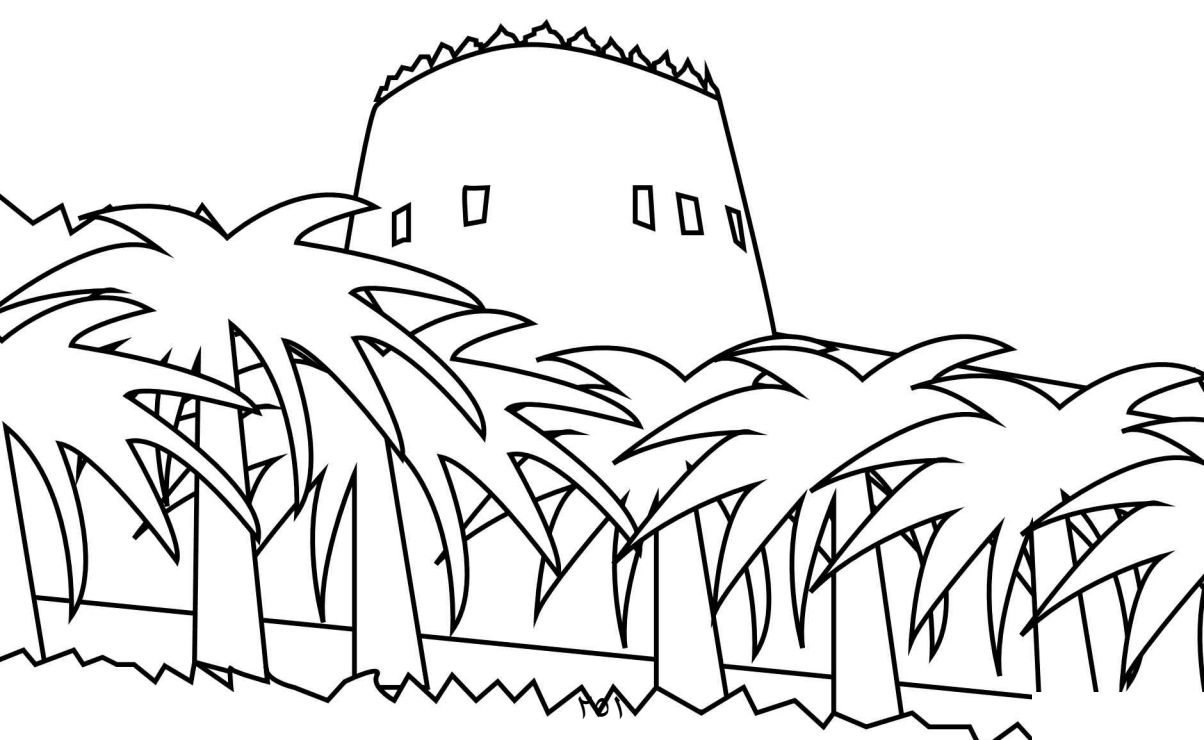

١ - الإدارة والحكم:

لم يمض عامان على نهاية الدولة السعودية الأولى إلا وقد بدأ آل سعود نشاطهم لتكوين دولة جديدة لهم. وكانت أولى محاولاتهم في هذا المجال تلك التي قام بها مشاري بن سعود سنة ١٢٣٥هـ. لكن محاولته لم تستمر إلا بضعة شهور؛ إذ قضى عليها محمد بن مشاري ابن مُعمَّر، الذي سبق أن اضطر إلى أن يتنازل لمشاري عن إمارة الدِّرْعيَّة. ثم تَسلَّم القيادة تركي بن عبدالله الذي واجه في بداية نشاطه صعوبات كبيرة من حملات محمد علي، حاكم مصر، ومن تعاون معه من سكان نجد؛ وبخاصة البادية. لكن ذلك النشاط تَكلَّل بالنصر سنة ١٢٤٠هـ. ومن هذا التاريخ إلى العقد الأول من القرن الثالث عشر الهجري والبلاد يحكمها أفراد من آل سعود. لكن هؤلاء الحكام كانوا يختلفون من حيث نسبة القوة والضعف، ومن حيث درجة الاستقلال والتبعية. فبينما كان الإمام تركي بن عبدالله أقوى حكام الدولة السعودية الثانية، وأكثرهم استقلالاً، كان خالد بن سعود مُمثلًا للحكم المصري في البلاد، ولم يتَمكَّن من البقاء في السلطة بعد انسحاب جيش محمد علي من نجد إلا مدة قصيرة جدًّا.

وإذا كان الإمام فيصل بن تركي قد استولى على المناطق التي سبق أن استولى عليها أبوه الإمام تركي بن عبدالله، فإن الخلاف الذي حدث بين أبنائه بعد وفاته كان السبب الجوهري في نهاية الدولة السعودية الثانية.

ولقد ظَلَّت الدعوة الإصلاحية التي قامت على أساسها الدولة السعودية الأولى هي الركيزة التي اعتمد عليها الحكم في الدولة السعودية الثانية؛ وبخاصة في عهدي الإمامين تركي بن عبدالله وابنه فيصل. وظَلَّ الانسجام الذي كان بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأبنائه وبين قادة الدولة السعودية الأولى قويًّا

بين الإمامين المذكورين وبين أحفاد ذلك الشيخ[1]. وقد تَوخَّى هذان الإمامان سيرة أسلافهما من آل سعود في استشارة ذوي الرأي والمشورة فيما يتعلَّق بأمور الدولة العامة[2].

على أن الإمام فيصل بن تركي بالذات لم يَتَّبع ما اتَّبعه قادة الدولة السعودية الأولى من عدم تعيين أناس من الأسرة الحاكمة في إمارات المناطق. فقد عيَّن ابنه سعودًا أميرًا لإقليم الخرج، وعَيَّن أخاه جلوي بن تركي حاكمًا عامًّا للقصيم. ولَعلَّ هدفه الأساسي من ذلك تثبيت الأمن والاستقرار في هذين الإقليمين. لكن وجود أخيه جلوي في القصيم، وإن نجح في تهدئة المشكلات فترة لا بأس بها، لم يمنع تَجدُّد تلك المشكلات وهو لا يزال هناك.

ومع أن سعود بن فيصل نجح في إدارة الأمور في الخرج إلا أن بقاءه في ذلك الإقليم فترة طويلة نسبيًّا ربما كان له أثر سلبي على مستقبل الدولة السعودية بعد وفاة أبيه. ولَعلَّ اعتياده على الأمر والنهي هناك قد نَمَّى لديه الرغبة في الحكم والتطلُّع إليه، فكان سببًا من أسباب خروجه على أخيه عبدالله.

وفي أواخر عهد الإمام فيصل بن تركي اعتلَّت صحته، وفقد بصره. فأصبح ابنه الأكبر وولي عهده، عبدالله، يقوم بأعباء الحكم والإدارة نيابة عنه.

وكان الإمام فيصل متسامحًا، بصفة عامة، مع أمراء الحاضرة، بينما كان أكثر صرامة في تعامله مع رؤساء البادية. ولَعلَّ سبب ذلك اقتناعه بأن الحاضرة، بطبيعتهم والظروف المعيشية لهم، أكثر حرصًا على مراعاة الأمن وعدم الإخلال به من البدو الرحَّل.

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص٢٨ و١٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٣ و٨٨.

ومن الواضح أن المشكلات التي أثارها أمراء الحاضرة في عهد الإمام تركي بن عبدالله كانت أَقلَّ من تلك التي أثارها أولئك الأمراء في عهد ابنه الإمام فيصل. ومن الواضح، أيضًا، أن علاقات أمراء المناطق بالإمام تركي كانت متشابهة من حيث الارتباط بالحكومة المركزية. لكن علاقات هؤلاء بالإمام فيصل كانت متفاوتة. فقد كانت إمارة جبل شَمَّر - مثلاً - في عهد هذا الإمام تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي، الذي كان من أبرز معالمه حريتها في القيام بغزوات لصالحها في شمالي الجزيرة العربية، واحتفاظها بكثير من زكاة البلدان التابعة لها إداريًّا إن لم يكن بها كلها. ولَعلَّ سبب ذلك ما كان يوجد من علاقة خاصة بين الإمام فيصل بن تركي ومؤسس هذه الإمارة، عبدالله بن رشيد، الذي لم يَتولَّ الإمارة المذكورة إلا بتعيين من ذلك الإمام، والذي كان من أبرز أعوانه في الوصول إلى الحكم في الفترتين الأولى والثانية من عهده.

٢- الشؤون العسكرية:

أما بالنسبة للنظام العسكري في تلك الفترة فكان مشابهًا للنظام العسكري في الدولة السعودية الأولى من حيث قيادة الجيش، وطريقة تكوينه، ووسيلة الإنفاق عليه، لكن الغزوات في الدولة السعودية الثانية كانت أَقلَّ من الغزوات في الدولة السعودية الأولى. وكانت - إلا ما ندر منها - مُوجَّهة ضد أناس في جهات تابعة للدولة من الناحية الرسمية بينما كانت الغزوات في الدولة السعودية الأولى- إلا ما ندر منها- مُوجَّهة إلى قُوَى خارج مناطقها لبسط نفوذها عليها.

٣- النظام المالي:

وكان النظام المالي في الدولة السعودية الثانية مشابهًا للنظام المالي في الدولة السعودية الأولى، من حيث مصادر الدخل ووجوه الإنفاق. لكن الدولة

السعودية الأولى كانت أكثر دخلاً لاتِّسَاع رقعتها، ووفرة غنائمها من غزواتها الكثيرة الناجحة.

٤- العلم والتعليم:

أما الناحية العلمية والثقافية فقد ظَلَّت جيدة. ذلك أن اهتمام قادة الدولة السعودية الثانية؛ لا سيما الإمامان تركي وفيصل، بالعلم والعلماء كان مشابهًا، إلى حَدٍّ ما، لاهتمام أسلافهم في الدولة السعودية الأولى. وكان من أبرز علماء البلاد في تلك الفترة عبدالرحمن بن حسن، حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وابنه عبداللطيف، وعبدالله أبو بطين. على أن التركيز العلمي ظَلَّ- كما كان سابقًا- على التوحيد والعقيدة. ولكن علوم اللغة العربية حظيت باهتمام أوفر من الاهتمام الذي حظيت به في الدولة السعودية الأولى.

وظهرت كتابات نثرية وشعرية فيها لمحات لا بأس به من حيث الجودة. أما الشعر العامي الجميل القريب من الفصحى فقد ازدهر ازدهارًا عظيمًا، وأُثِر منه الشيء الكثير. وممن أُثِر عنهم ذلك اللون من الشعر عدد من أفراد الأسرة السعودية وغيرهم من أمراء المناطق وزعماء القبائل. وقد أسهم بعض الشعر- إضافة إلى التمتع به- في توضيح كثير من الأحداث السياسية والاجتماعية.

٥- العلماء والقضاة:

شهدت الدولة السعودية الثانية وجود علماء أفاضل وقضاة أكفاء. وكان بعض هؤلاء العلماء والقضاة قد وُلِدوا في عهد الدولة السعودية الأولى. ومنهم من تَعلَّموا في ذلك العهد. بل إن منهم من تَولَّى القضاء في أواخره، لكن أكثر أعمالهم وإنتاجهم كان في عهد الدولة السعودية الثانية. وكان من أبرز أولئك العلماء والقضاة:

١- عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب. وقد وُلِد في الدِّرعية سنة ١١٩٣هـ، وتتلمذ على علمائها، وَتولَّى القضاء في الدِّرعية، كما تَولَّاه فترة قصيرة في مكة. وكان مع عبدالله بن سعود في معركة وادي الصفراء سنة ١٢٢٦هـ. وقد دافع عن الدِّرعية مع المدافعين عنها. ثم أُخِذ إلى مصر، وجالس علماءها، وناقشهم. ثم عاد إلى نجد عام ١٢٤١هـ، وأصبح يَتولَّى الشؤون الدينية في دولة الإمام تركي بن عبدالله. وظَلَّ في منصبه حتى وفاته في عهد الإمام عبدالله بن فيصل سنة ١٢٨٥هـ[١].

٢- عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن. وُلِد في الدِّرعية سنة ١٢٢٥هـ، وأُخِذ مع أبيه إلى مصر بعد استسلام هذه البلدة لإبراهيم باشا. وتَعلَّم في الأزهر مختلف العلوم الشرعية والعربية. ثم عاد إلى نجد سنة ١٢٦٤هـ، فأصبح الساعد الأيمن لأبيه عبدالرحمن في إدارة الشؤون الدينية. ولما حدث النزاع بين أبناء الإمام فيصل بعد وفاته بذل جهدًا كبيرًا لتخفيف وطأة ذلك النزاع. وقد توفي عام ١٢٩٣هـ[٢].

٣- عبدالله بن عبدالرحمن أبو بطين. وُلِد في روضة سُدَير سنة ١١٩٤هـ. وتَعلَّم فيها، ثم في شقراء، ثم في الدِّرعية. ولما دخلت الطائف تحت الحكم السعودي عُيِّن قاضيًا لها. ثم ولي قضاء جهات عمان. وفي عهد الإمام تركي بن عبدالله تَولَّى قضاء الوَشْم، ثم تَولَّى قضاء القصيم، مُتَّخِذًا من عُنَيزة مقرًّا له؛ وذلك من سنة ١٢٥١هـ إلى سنة ١٢٧٠هـ. وبعد هذا استقر في شقراء حتى وفاته سنة ١٢٨٢هـ. وهو من أكثر علماء زمنه النجديين تأليفًا لكتب جيدة[٣].

---

(١) الشيخ البسام، ص٥٦ - ٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ج١ - ص١ / ٦٣ - ٧١.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٦٧ - ٥٧٥.

٤- عبدالله بن عبداللطيف. وُلِد خلال إقامة والده المؤقَّتة في الأحساء علم ١٢٦٥هـ، فنشأ في بيت جَدِّه لأُمِّه، قاضي تلك البلاد، عبدالله الوهيبي، وتَتلمذ على علمائها الأفاضل. ثم انتقل إلى الأفلاج، واستقر فيها، حتى أقنعه قاضيها حمد بن عتيق بالانتقال إلى الرياض، ففعل. وأصبحت له مساهمة كبيرة في إصلاح الأمور العامة. وقد استقدمه الأمير محمد بن رشيد إلى حائل، فمكث فيها فترة، ثم عاد إلى الرياض. ولما بدأ الملك عبدالعزيز آل سعود حكمه أصبح عونًا له في تسيير الشؤون الدينية. وقد توفي عام ١٣٣٩هـ[١].

٥- حمد بن عتيق. وُلِد في الزلفى سنة ١٢٢٧هـ. ثم انتقل إلى الرياض، وتتلمذ على علمائها. وقد تَولَّى قضاء الخرج، ثم الحلوة، ثم الأفلاج، واستمر قاضيًا للبلدة الأخيرة حتى وفاته سنة ١٣٠١هـ[٢].

٦- الأمراء وقادة الجيوش:

كان الإمام تركي بن عبدالله آل سعود هو القائد لأتباعه قبل بداية دولته، وظل يقود بعض الغزوات بعد ذلك، ولما قدم إليه ابنه فيصل من مصر تَولَّى قيادة أكثر الغزوات. وكان وضع عبدالله بن فيصل في فترة حكم أبيه الثانية مشابهًا لوضع ذلك الأب في عهد الإمام تركي. ولما حدث النزاع بينه وبين أخيه سعود كان كل منهما يقود أتباعه أحيانًا، وأحيانًا كان أخواهما محمد وعبدالرحمن يقودان أولئك الأتباع.

على أنه برز في عهد الدولة السعودية الثانية عدد من الشخصيات التي تَولَّت مناطق، أو قيادة جيوش، ونجحت نجاحًا كبيرًا. ومع أن هناك عددًا من

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٧٢ - ٨١.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٢٨ - ٢٣٢.

أمراء المناطق وزعماء القبائل الذين كانت لهم جهود مُهمَّة في تاريخ تلك الفترة، فإن بعض هؤلاء وأولئك قد ورد في الحديث عن الدولة السعودية الثانية ما وَضَّح تلك الجهود مما لا يحتاج إلى تلخيص أو إعادة؛ وبخاصة أن قسمًا منهم لم يكونوا دائمًا على وفاق مع قادة تلك الدولة. ولذلك فإن الكلام الموجز هنا، سيكون خاصًّا ببعض الأمراء والقادة الذين اعتمدت عليهم الدولة كثيرًا. ومن أشهر هؤلاء:

١- أحمد بن محمد السديري. وفد إلى الإمام تركي بن عبدالله سنة ١٢٣٩هـ على رأس جماعته أهل الغاط مبايعًا. ثم عَيَّنه إسماعيل بك أميرًا لسُدير عام ١٢٥٣هـ، فأحسن السيرة بأهلها. ثم أَمَّره خورشيد باشا على الأحساء فترة من عام ١٢٥٥هـ.ثم عيَّنه عبدالله بن ثنيان أميرًا للقطيف سنة ١٢٥٨هـ. ثم عَيَّنه الإمام فيصل بن تركي أَميرًا للإحساء سنة ١٢٦٠هـ. وكان له جهد كبير في تثبيت الحكم السعودي هناك، وفي جهات عمان عندما نقل إليها أميرًا سنة ١٢٧٠هـ. وقد توفي بالأحساء عام ١٢٧٨هـ[١].

٢- تركي بن أحمد السديري. عَيَّنه الإمام فيصل بن تركي أميرًا في الأحساء عام ١٢٧٠هـ، ثم حَلَّ محلَّ أبيه في جهات عمان بعد سنة ١٢٧٨هـ. وكان له جهد مشابه لجهد أبيه في الأحساء، ثم في الجهات العمانية. وظَلَّ هناك حتى اغتيل عام ١٢٨٥هـ[٢].

٣- محمد بن أحمد السديري. عَيَّنه خورشيد باشا أميرًا للإحساء عام ١٢٤٥هـ. وكان أميرًا لسُدَير، ثم عَيَّنه الإمام فيصل أميرًا في بُرَيدة سنة

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص٢١، ٩٢، ٩٤، ١٠١، ١٠٣، ١٠٨ - ١١٢، ١١٥، ١٢٦، ١٤٢، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٣، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠؛ ابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث**، ص١٦٤ و١٧٥.

(٢) وايندر، ص٢٠٢، ٢٣١ - ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٦.

١٢٧٩هـ. ثم أَمَّره في الأحساء عام ١٢٨٠هـ. وكان مع سعود بن فيصل في معركة طلال ضد الرُّوقة من عُتَيبة عام ١٢٩٠هـ، فقُتِل في تلك المعركة[١].

٤- عمر بن عُفَيْصان. كان مع الإمام تركي بن عبدالله في عِرْقة سنة ١٢٣٩هـ، ثم عَيَّنه ذلك الإمام أميرًا للخرج سنة ١٢٤١هـ، ثم أرسله قائدًا سَريَّة إلى عمان سنة ١٢٤٤هـ. وفي عام ١٢٤٥هـ غزا جهة الأحساء. ولما دخلت تحت الحكم السعودي تلك السنة عَيَّنه أميرًا لها. وفي سنة ١٢٤٨هـ قاد الجيوش المُتَّجهة إلى عمان، فنجح هناك. وظل أميرًا للإحساء حتى عام ١٢٥٤هـ عندما هرب منها خوفًا من خورشيد باشا، وعدم ثقة به، ثم أعاده عبدالله بن ثُنيَّان إلى إمارة الأحساء سنة ١٢٥٨هـ[٢].

*****

(١) ابن بشر، ج٢، ص٢٦، ١١٣، ١١٥، ١٤٩، ١٦١، ١٨٠؛ ابن عيسى، عقد الدرر، ص٤٢، ٤٤و ٧٦.

(٢) ابن بشر، ج٢، ص١٨، ٢٧، ٤٢، ٤٥، ٤٩ - ٥٠، ٥٥، ٦٥ - ٦٦، ٧٧، ٩٠، ٩٨ - ٩٩، ١٠٥ - ١٠٦، ١٠٨ - ١٠٩، ١١٥، ١٢٠، ١٢٣ و١٢٤ - ١٢٦.

المصادر

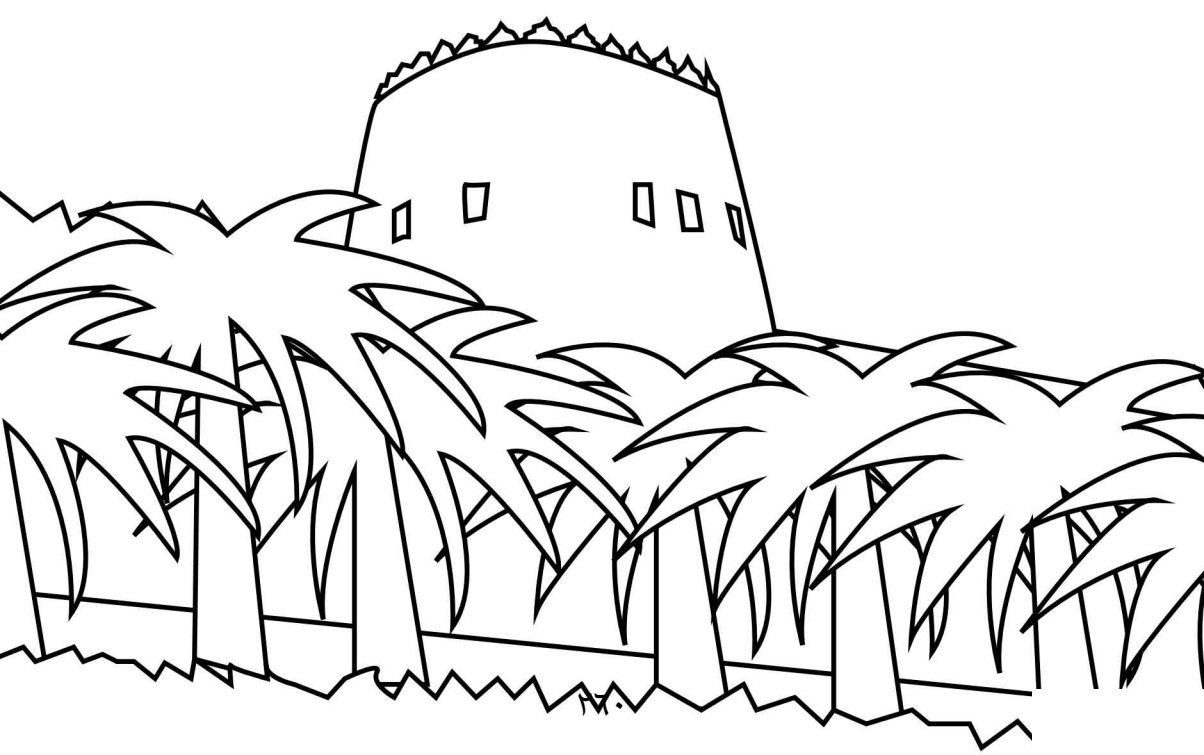

١- مصادر باللغة العربية:

أ- أعمال غير منشورة.

- البسام، عبدالله بن محمد. **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، نسخة نقلها عن الأصل نور الدين شريبة سنة ١٣٧٥هـ.
- الذكير، مقبل بن عبدالعزيز. مسودة تاريخ لم يقرر مؤلفه عنوانًا له، وهي موجودة في كلية الآداب، جامعة بغداد، رقم ٥٦٩.
- الزامل، ناصر. **قرامطة البحرين**، رسالة ماجستير لم تنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ.
- ابن سند، عثمان. **مطالع السعود بطيِّب أخبار الوالي داود**، مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، رقم ٥٨٤٠.
- ابن علوان، مرتضى. **رحلة**، لم يضع لها كاتبها عنوانًا، مخطوطة في مكتبة برلين، رقم ٦١٣٧.
- العنقاوي، عبدالله. **تاريخ الجزيرة العربية من القرن الثالث الهجري**، مطبوعة بآلة كاتبة.
- العيسى، ميّ. **المخلاف السليماني في عهد الدولة السعودية الأولى**، رسالة قدمت إلى قسم التاريخ بجامعة الملك سعود جزءًا من متطلبات الماجستير، وذلك سنة ١٤٠٣هـ.
- ابن لعبون، حمد. عدة أوراق خطية من تاريخه.

ب- أعمال منشورة:

- البسام، عبدالله بن عبدالرحمن. علماء نجد خلال ستة قرون، مكتبة النهضة الحديثة بمكة، ١٣٩٨هـ.
- ابن بشر، عثمان بن عبدالله. عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن

آل الشيخ، الطبعة الثانية من قِبَل وزارة المعارف السعودية، ١٣٩١هـ.

- البهكلي، عبدالرحمن بن أحمد. نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود، تحقيق محمد العقيلي، دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، ١٤٠٢هـ.
- بوركهارت، ل. مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة عبدالله العثيمين، الرياض، ١٤٠٥هـ.
- الثنيَّان، محمد. «انقضاض عُنَيزة على جند خورشيد باشا وحصاره لها»، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤٠٧هـ، ص٢٤٧-٢٧٩.
- الجاسر، حمد. في شمال غرب الجزيرة، دار اليمامة، ١٣٩٠هـ.
- مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، دار اليمامة، ١٣٨٦هـ.
- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، دار اليمامة، ١٣٩٧هـ.
- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: المنطقة الشرقية، دار اليمامة، ١٣٩٩هـ و١٤٠٠هـ.
- الجبرتي، عبدالرحمن. عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الطبعة الثانية، دار الجيل ببيروت، ١٩٧٨م.
- الحاتم، عبدالله. خيار ما يلتقط من الشعر النبط، الطبعة الثانية، دمشق، ١٣٨٧هـ.
- ابن حجر، شهاب الدين. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٥هـ.
- ابن الحسين، يحيى. غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة ١٣٨٨هـ.
- الحميدان، عبداللطيف. «إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية»، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ١٥،

١٩٧٩م، ص٦٩ - ١٤٠.

• «التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية»، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ١٦، ١٩٨٠، ص٣١ - ١٠٩.

- الحنبلي، راشد بن علي. مثير الوجد في أنساب ملوك نجد، تحقيق عبدالواحد راغب، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٣٩٩هـ.
- الخضيري، علي بن عبدالرحمن. علي بن المقرَّب العيوني؛ حياته وشعره، بيروت، ١٤٠١هـ.
- ابن خميس، عبدالله بن محمد. معجم اليمامة، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٠٠هـ.
- الخويطر، عبدالعزيز بن عبدالله. عثمان بن بشر: منهجه ومصادره، الطبعة الثانية، الرياض، ١٣٩٥هـ.
- دحلان، أحمد بن زيني. خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، القاهرة، ١٣٠٥هـ.
- الرفاعي، عبدالرحمن. عصر محمد علي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٣٧٠هـ.
- الريكي، حسن. لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، دون ذكر لسنة الطباعة.
- الرشيد، ضاري بن فهيد. نبذة تاريخية عن نجد، أملاها ضارب الرشيد، وكتبها وديع البستاني، وحققها عبدالله العثيمين، الرياض، ١٤١٩هـ.
- ابن زريق، حميد. الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، وزارة التراث القومي والثقافة بعمان، ١٣٩٧هـ.
- الزيلعي، أحمد. مكة وعلاقتها الخارجية (٣٠١ - ٤٨٧هـ)، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض (جامعة الملك سعود حاليًا)، ١٤٠١هـ.

- السباعي، أحمد. تاريخ مكة، الطبعة الثانية، دار قريش للطباعة، مكة ١٣٨٧هـ.
- السخاوي، شمس الدين. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، ١٣٥٣هـ.
- السمان، محمد. الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية، ١٢٣٨ - ١٣٠٩هـ، عنيزة، ١٤٠٧هـ.
- السليماني، علي بن حسين. العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، القاهرة، ١٣٩٣هـ.
- السمهودي، علي. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، القاهرة، ١٣٢٦هـ.
- الشبل، عبدالله بن يوسف. «الدولة الأخيضرية»، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد ٦، ١٣٩٦هـ، ص٤٥٩ - ٤٦٦.
- آل الشيخ، سليمان بن عبدالله. التوضيح عن توحيد الخلّاق في جواب أهل العراق، القاهرة، ١٣١٩هـ.
- آل الشيخ، عبدالرحمن بن حسن. «رسالة في الردّ على ابن منصور»، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الثانية، الرياض، ١٣٨٨، ج٩، ص٢١٤ - ٢٣٠.
- آل الشيخ، عبدالرحمن بن عبداللطيف. علماء الدعوة، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- آل الشيخ، عبداللطيف بن عبدالرحمن. «رسالة إلى محمد بن علي»، الدرر السنية، ج٧، ص٤٤٣ - ٢٤٤.
- آل الشيخ، عبدالله بن محمد. «رسالة حول دخول سعود بن عبدالعزيز ومن معه إلى مكة»، الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية، جمع سليمان بن سحمان، الطبعة الثانية، المنار، ١٣٤٤هـ، ص٣٥ - ٥٠.

- عبد الرحيم، عبد الرحيم عبدالرحمن. الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥ - ١٨١٨م)، (١١٥٨ - ١٢٣٣هـ)، الطبعة الثالثة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٦م.
- محمد علي وشبه الجزيرة العربية، ١٢٣٤ - ١٢٥٦هـ / ١٨١٩ - ١٨٤٠م، دار الكتاب الجامعي بالقاهرة، ١٩٨١م.
- آل عبد القادر، محمد بن عبدالله. تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، مطابع الرياض، ١٣٧٩هـ.
- ابن عتيق، حمد. «رسالة إلى سعود بن فيصل»، الدرر السنية: ج٧، ص٢٥٨ - ٢٦٢.
- العثيمين، عبدالله. الشيخ محمد بن عبدالوهاب: حياته وفكره، دار العلوم بالرياض، ١٩٧٩م.
- العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤١١هـ.
- نشأة إمارة آل رشيد، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤١١هـ.
- العجلاني، منير. تاريخ البلاد العربية السعودية. ويتضمن المجلد الأول الكلام عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعهد محمد بن سعود، دار الكاتب العربي بيروت، دون ذكر لسنة الطباعة.
- تاريخ البلاد العربية السعودية، عهد عبدالعزيز بن محمد، دون ذكر لمكان الطباعة وسنتها.
- تاريخ البلاد العربية السعودية: عهد سعود الكبير، دون ذكر لمكان الطباعة وسنتها.
- تاريخ البلاد العربية السعودية: عهد عبدالله بن سعود، دون ذكر لمكان الطباعة وسنتها.
- العزَّاوي، عباس. تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد، ١٣٧٣هـ.

- عزّي، سليمان. تاريخ عزّي، القسطنطينية، ١١٩٩هـ.
- العصامي، عبدالله. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، القاهرة، ١٣٨٠هـ.
- العقيلي، محمد بن أحمد. التصوف في تهامة، مطابع الأصفهاني بجدة، ١٣٨٤هـ.
  - من تاريخ المخلاف السليماني، مطابع الرياض، ١٣٧٨هـ.
- أبو علية، عبدالفتاح. الدولة السعودية الثانية ١٢٥٦ - ١٣٠٩هـ/١٨٤٠ - ١٨٩١، الرياض، ١٣٩٤هـ.
- ابن عيسى، إبراهيم بن صالح. تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠ إلى ١٣٤٠هـ، دار اليمامة، ١٣٨٦هـ.
  - عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، طبع ذيلًا لعنوان المجد في طبعته المذكورة سابقًا.
- العيسى، محمد الفهد. «مدينة الدرعية»، العرب، العدد الرابع، ١٣٨٦هـ: ٣٢٤ - ٣٣٠.
- ابن غنَّام، حسين. روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، القاهرة، ١٣٦٨هـ.
- الفاخري، محمد بن عمر. الأخبار النجدية، تحقيق عبدالله الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دون ذكر لسنة الطباعة.
- فؤاد حمزة. قلب جزيرة العرب، القاهرة، ١٣٥٢هـ.
- ابن فهد، النجم عمر. إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم شلتوت، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ.
- الكركوكلي، رسول. دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء، ترجمة موسى

نورس، بيروت، ١٣٨٥هـ.

- كيلي، جون. بريطانيا والخليج، ترجمة محمد أمين عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة بعمان، القاهرة، ١٩٧٩م.
- ابن لعبون، حمد. تاريخ حمد بن محمد بن لعبون، مكة، ١٣٥٧هـ.
- المبارك، عبدالعزيز. «الوثائق الشخصية»، العرب، العدد الأول، ١٣٨٧هـ، ص٥١ - ٥٩.
- محمد بن عبدالوهاب. مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٨هـ.
- ابن المقرَّب، علي. ديوان ابن المقرَّب، تحقيق عبدالفتاح الحلو، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
- المنقور، أحمد بن محمد. تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور، تحقيق عبدالعزيز الخويطر، الرياض، ١٣٩٠هـ.

• الفواكه العديدة في المسائل المفيدة، دمشق، ١٣٨٣هـ.

- المنيف، عبدالكريم. بنو خالد وعلاقتهم بنجد ١٠٨٠ - ١٢٠٨هـ، الرياض ١٤١٠هـ.
- مؤلف مجهول. كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، تحقيق عبدالله العثيمين، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٣هـ.
- نخلة، محمد عرابي. تاريخ الأحساء السياسي (١٨١٨ - ١٩١٣)، ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٠هـ.
- النهرواني، قطب الدين. البرق اليماني في الفتح العثماني، دار اليمامة، ١٣٨٧هـ.
- ابن هذلول، سعود. تاريخ ملوك آل سعود، الرياض، ١٣٨٠هـ.

*****

٢- مصادر بغير العربية

أ-أعمال غير منشورة:

- EL Batrik, A.H.
- Turkish and Etyptian Rule in Arabia (1810 - 1840), ph, D. thesis, University of London, 1953.
- Sha'afy, Muhammad,
- The First Sa'udi in Arabia (with special reference to its administrative, millaty and economic feature) in the light of Unpublished Material from Arabic and Europian Sources, ph. D. thesis, University of leeds, 1967.

ب- أعمال منشورة:

- Bari, M.A.,
- "The Early Wahhabis and Sharifs of Makka, journal of Pakistan Historical Society. Vol III, 1955, pp. 19 - 104 Burckhardt, J.I.
- Notes on the Bedouins and Wahanys, London, 1831.
- Travels In Arabia, New York, 1829.
- Doughty, C.M.,
- Travels in Arabia Deserta, New York, 1921.
- De Gaury, G.
- Rulers of Mecca, London, 1951.
- Huber, C.,
- Journal d'un Voyage en Arabia (1933 - 1884). Paris, 1888.
- Longrigg, S.H.
- Four Centuries of Modern Iraq, Oxford, 1952.
- Mandaville, j.,
- "The Ottoman Province of Hasa in the Sixteenth and seventeenth Centuries". Journal of the American Oriental Society, 90 1970, pp. 486 - 513
- Mortel, R.,
- "Zaydi Shi,ism and the Hasanid Sharifs of Mecca, "Int J. Middle Eastern Studies, 19, 1981, pp. 455 - 472.
- Musil, A.,

- Northern Negd, New York, 1926.
- Niebuhr. C.,
- Travels Through Arabia and Other Countries In The East, tr. Into English by R. Heron, Edinburgh, 1792.
- Palgravem W.G.,
- Narrative of a Year's Journey through Central and Eastern Arabia (1862 - 63), London, 1865,
- Voll, W.M.,
- "Muhammad Haya Al-Sindi and Muhammad Iben Abdel Wahhab, an Analysis of Intelectual Group in Eighteenth Century Medina" Bulletin of the School of Oriental and African Studies, 1975, 38 pp. 32 - 39.
- Winder, B.,
- Saudi Arabia in the Nineteenth century, New York, 1965.

*****

صدر للمؤلف

أ) تأليفاً

- **تاريخ المملكة العربية السعودية، الجزء الأول.**
- **تاريخ المملكة العربية السعودية، الجزء الثاني: عهد الملك عبدالعزيز.**
- بحوث ومحاضرات وتعليقات عديدة في تاريخ المملكة العربية السعودية.
- خواطر حول القضية.
- الشيخ محمد بن عبدالوهاب: حياته وفكره.
- العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت.
- قراءة في دراسات عن إمارة آل رشيد.
- قراءة في كتابات عن تاريخ الوطن.
- كتابات حول التصهين.
- مقالات عن الهم العربي.

ب) ترجمة:

- بعثة إلى نجد، تأليف: فيلبي.
- توحيد المملكة العربية السعودية، تأليف: محمد المانع.
- من حديث بوركهارت عن الخيل والإبل العربية، تأليف: بوركهارت.
- مواد لتاريخ الوهابيين، تأليف: بوركهارت

ج) دراسةً وتحقيقاً:

- نبذة تاريخية عن نجد، إملاء: ضاري الرشيد.
- كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، لمؤلف مجهول.
- لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تأليف: حسن الريكي.

د) شعراً:

- بوح الشباب.
- دمشق وقصائد أخرى.
- صدى البهجة.
- عودة الغائب.
- لا تسلني.